

سِتُّ مَنْظُومَاتٍ

فِي الرَّدِّ عَلَى الصُّوفِيِّ

يوسف النّباني

للعلماء والفضلاء شيخ علي به يوسف - شيخ إبراهيم به عيسى
شيخ به سحماه - شيخ عبدالعزیز السويح - شيخ محمد بهجت البيطار

شيخ محمد به حسن المروفي

رحمهم الله جميعاً

اعتنى بها

سليمان بن صالح الخراشي

الذّلائل الأثرية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبْتٌ مِنْظُومَاتٍ

فِي الرَّدِّ عَلَى الصُّوفِيِّ

يوسف النّبّهاني

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م



عمان - الأردن - تلفاكس : ٦٥٦٥٨٠٤٥ / ٠٠٩٦٢

خامس : ٧٩٥٩٤٣٤٥٦ / ٠٠٩٦٢ - ص ب : ٩٢٥٥٩٥ - الرمز البريدي : ١١١٩٠٠

الرمز الإلكتروني : alatharya1423@yahoo.com

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن أعداء الدعوة السلفية، ودعاة السوء، كانوا ومازالوا يبذلون جهدهم في الصد عن سبيل الله تعالى، والدعوة إلى الباطل؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٦]، ولكل قوم وارث - كما قيل -، فمن هؤلاء الصادين عن توحيد رب العالمين؛ المدعو يوسف بن إسماعيل النبهاني، الصوفي الخرافي، صاحب الكتب التي يجيز فيها الاستغاثة بالأموات، والأشعار المشتملة على ألوان من الغلو والإطراء المتجاوز لحدود الشرع الحنيف.

إلا أن الله - سبحانه وتعالى - بحكمته العظيمة يُقيم حُرَّاساً لشريعته في كل زمان ومكان، ينفون عنه زيغ الزائغين وتحريفهم، ويبينون للناس أحوالهم، وقد وفق الله - عز وجل - ثلَّة من العلماء والأخيار للتصدي لانحرافات وخرافات، فردوا عليه نثراً ونظماً، ومن تلك الردود: ست منظومات متتالية، أنشأها جماعة منهم في مقابل قصيدته الرائية، التي استطال فيها على عرض شيخ الإسلام، مجدد دعوة التوحيد، الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله -، وعلى من يسميهم «الوهابية»، مفترياً عليهم الأكاذيب المتنوعة، كعادة أسلافه من المناوئين - فقابلها أولئك العلماء بالإبطال والكشف.

وهذه المنظومات الست هي:

- ١ - منظومة الشيخ علي اليوسف - رحمه الله - ^(١).
 - ٢ - منظومة الشيخ المؤرخ إبراهيم بن عيسى - رحمه الله - ^(٢).
 - ٣ - منظومة الشيخ سليمان بن سحمان - رحمه الله - ^(٣).
 - ٤ - منظومة الشيخ عبدالعزيز بن إبراهيم السويح ^(٤).
 - ٥ - منظومة الشيخ بهجة البيطار - رحمه الله - ^(٥).
 - ٦ - منظومة الشيخ محمد بن حسن المرزوقي - رحمه الله - ^(٦).
- وقد أحبت القيام ببعثها إلى عالم المطبوعات؛ مساهمة مني في نشر العلم النافع، خاصة وأن أهل الباطل لازالوا - إلى اليوم - يطبعون كتب الصوفي النبهاني، ويوصون بها ^(٧).

-
- (١) حصلت على صورتها من الأخ عبدالله البسمي - وفقه الله - وتوجد لها صورة في مكتبة المتحف العراقي ببغداد (برقم ٨٨٦٣).
 - (٢) حصلت على صورتها من الدكتور أحمد البسام - وفقه الله -، وقد نشر صورتها في كتابه: «قراءة في بعض المذكرات والرسائل الشخصية للشيخ ابن عيسى»، (ص ١٠٥-١٠٩).
 - (٣) مطبوعة ضمن ديوانه. واعتمدت على الطبعة الأخيرة للديوان؛ بعناية الشيخ أبي عبدالرحمن الظاهري - وفقه الله -.
 - (٤) صورتها من دارة الملك عبدالعزيز بالرياض. وتوجد لها صورة في مكتبة المتحف العراقي ببغداد (برقم ٨٧٢١).
 - (٥) صورتها من مكتبة الشيخ محمد نصيف - رحمه الله -، صورها لي الأستاذ الكريم: خالد السريحي - وفقه الله -، وتوجد لها صورة في مكتبة المتحف العراقي ببغداد (برقم ٨٧٢١).
 - (٦) حصلت على صورتها من الأخ عبدالله البسمي - وفقه الله -.
 - (٧) ومن آخر طبعات كتابه الشرقي «شواهد الحق» طبعة دار الكتب العلمية المحققة (١) بتاريخ ٢٠٠٧/٧/٧م. ومثله في السوء: كتابه الآخر: «مفرج الكروب ومفرج القلوب» المطبوع عام

بقي أن أشير إلى أنني لم أتمكن من الحصول على منظومتين أخريين في الرد على رائية النبهاني، هما:

١ - منظومة الشيخ حسين بن حسن آل الشيخ - رحمه الله - المتوفى سنة ١٣٢٩ هـ. بجزيرة زعاب بعمان. ذكرها له صاحب «مشاهير علماء

١٤١٥ هـ. انظر منه هذه الصفحات: (١٣ و ١٦ و ١٣٥).

ومما يأسف له المسلم أن يقوم بعض الفضلاء بالمساهمة في نشر كتبه، وكيل المديح له، دون تحذير من شطحاته ومؤلفاته الخرافية! كما فعل الأستاذ محمد خير يوسف - عفى الله عنه -، عندما أعاد طباعة كتاب النبهاني «أربعون حديثاً في الثناء على الله» عام ١٤٢٦ هـ، قائلاً في ترجمته (ص ٩) - والتعجب مني -: «أما المؤلف، فعلم مشهور (!)، ومحدث لامع (!)، وقاضٍ كبير (!)، ومصنفٌ جليل (!)...» إلى آخر مديحه، دون إشارة إلى أفكاره الخرافية التي هي مدار كتبه ومؤلفاته. فلعل الأستاذ يستدرك هذا في الطبعة القادمة، ويحتسب الأجر في عدم غش أبناء الأمة بمثل هذا التليس. ومثل هذا: قول الأستاذ محمود الأرناؤوط - عفى الله عنه - في ترجمته: «ولا يُنكر فضله على العلم في بعض ما خلفه إلا خصومه، ومن سلك مسلكهم (!)، ولا ينتصر له إلا أحبابه، ومن سلك مسلكهم، وهذا حال الكبار من الناس في كل زمان ومكان (!!)». (أعلام التراث، ص ٥١). ومثله - أيضاً -: قول الأستاذ يوسف المرعشلي - عفى الله عنه - في ترجمته: «وهو ممن خدم السنة النبوية، والسيرة المطهرة، وذلك بنشر الكتب العديدة، ومنها..» - ثم ذكر كتابه «شواهد الحق..» وقال عنه: «وهو من أمتع مؤلفاته وأنفسها!!» (نثر الجواهر والدرر في علماء القرن الرابع عشر: ١٦٧٨/٢ - ١٦٨٠).

قلت: قال الله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢]، وأي محادة لله أشد من تصنيف الكتب للدعوة إلى الشرك به - عز وجل -، والاستغاثة بغيره - سبحانه -؟! إلا أن يكون المرء ممن لم يشرب قلبه عقيدة السلف الصالح، التي من لوازمها: الحب في الله، والبغض فيه. والله الهادي.

نجد»^(١)، قال: «وكان - يرحمه الله - شاعراً طويل النفس في الشعر، له قصيدة تبلغ سبعين بيتاً رد بها على أمين بن حنشل العراقي، وقصيدة رائية تبلغ مائتي بيت، رد بها على قصيدة يوسف النبهاني، أملى عليّ أخوه العلامة عمر بن الشيخ حسن من حفظه قطعة منها، وهي هذه الأبيات:

لك الحمدُ حمداً لا أطيق له حَضراً	وأُتبع حمدَ الله مني له الشُّكراً
وأسأله عوناً على كلِّ مبطلٍ	ولاسيَّما الأعمى الذي أيد الكفراً
وذلك شاميٌّ لنبهانٍ يتمي	وما كان من أهل النباهة والذكرى
ولكنه قد كان وُسنان تائهاً	كما أُلِفَ المخذول من قبله الشعرا
وأبدى مقالاً كان أقوى دلالة	على فسقه طوراً على كفره طورا
تخير حرف الرءاء عاجزاً وإنما	يعدون حرف الرءاء يا ذا لهم عيرا
وليس بكفاء للجواب وإنه	لأدنى الورى طُراً وقد أشبه الفأرا
ولكنَّ خوفي من غبي يظننا	تركناه عاجزاً أو رضىنا بما أجرى
أجبناه رداً كافياً في اختصاره	ونرجو إله الحق يمنحنا الأجر

إلى أن قال:

وقولك: وهابية ضل سعيهم	فظنوا الردى خيراً وظنوا الهدى شرا
كذبتَ لعمر الله ما ضل سعيهم	ولكنه سعيُّ الذي خالف الأُمرا
كمثلك مفتوناً يرى الشر ضده	ويحسب فعلَ الخير من جهله شرا
ومن دان بالتوحيد عندك كافرٌ	ومن دان بالكفران نال به الأجر»

(١) ص (١٢٧). وله ترجمة - أيضاً - في «علماء نجد خلال ثمانية قرون» (٥٩/٢)، و«روضة

الناظرين» (٧٩/١). وانظر: «معجم مصنفات الحنابلة» للطريقي (٢٢٠/٦).

٢- منظومة الشيخ أحمد بن عيسى - رحمه الله - شارح نونية ابن القيم - رحمه الله - . قال الشيخ عبدالله البسام - رحمه الله - في ترجمته^(١):
معدداً آثاره: «نظم مطوّل ردّ به على يوسف بن إسماعيل النبهاني، وقد انتهى منه في رابع عشر ذي الحجة ١٣٣٢هـ، ويقع في نحو مئتي بيت. ومطلع النظم:

لك الحمد يا من يعلم السرّ والجهر
لك الحمد في السراء مني وفي الضرا
ومنها في مدح علماء الدعوة:

هم الأنجم الزهر الذين بعلمهم
غدا ثغر هذا الدين بالبشر مفترا
هم الأمة الناجون والفرقة التي
تمسك بالحق المبين على الضرا

هذا، وقد قدمت قبل نشر المنظومات: ترجمة للنبهاني، وبياناً لحاله ومصنفاته، مع ذكر أقوال العلماء فيه، وما أثاره في رائيته من شبهات، مع الرد المختصر عليها، والإشارة إلى من توسع في الرد^(٢).

أسأل الله - تعالى - أن ينفع بهذه المنظومات، ويغفر لأصحابها، ويجمعنا بهم في جنات عدن، ﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].
وصلّى الله على نبينا محمد، وآله وصحبه وسلم.

كتبه/ سليمان بن صالح الخراشي

Alkarashi@hotmail.com

(١) «علماء نجد خلال ثمانية قرون» (١/ ٣٢٨-٣٢٩)

(٢) ونشرت في خاتمة الكتاب رسالة صغيرة نادرة للشيخ عبدالقادر السندي - رحمه الله - في الرد عليه. وهي لا تغني عن الردود المؤصلة في المسائل المثارة.

ترجمة الصوفي يوسف النبهاني وأقوال العلماء فيه^(١)

قال الزركلي في الأعلام^(٢):

يوسف بن إسماعيل بن يوسف النبهاني: شاعر، أديب، من رجال القضاء. نسبته إلى «بني نيهان» من عرب البادية بفلسطين، استوطنوا قرية «إجزم» - بصيغة الأمر - التابعة لحيفا في شمالي فلسطين. وبها ولد ونشأ. وتعلم بالأزهر بمصر (سنة ١٢٨٣-١٢٨٩هـ)، وذهب إلى الآستانة فعمل في تحرير جريدة «الجوائب» وتصحيح ما يُطبع في مطبعتها. ورجع إلى بلاد الشام (١٢٩٦)، فتنقل في أعمال القضاء؛ إلى أن كان رئيساً لمحكمة الحقوق ببيروت (١٣٠٥) وأقام زيادة على عشرين سنة. وسافر إلى «المدينة» مجاوراً، ونشبت الحرب العالمية (الأولى) فعاد إلى قريته وتوفي بها. له كتب كثيرة، قال صاحب «معجم الشيوخ»^(٣): «خلط فيها الصالح بالطالح، وحمل على أعلام الإسلام، كابن تيمية وابن قيم الجوزية، حملات شعواء، وتناول بمثلها الإمام

(١) له ترجمة في «حلية البشر» (٣/ ١٦١٢)، و«فهرس الفهارس» (٢/ ٤٢٧)، و«معجم المؤلفين» (١٣/ ٢٧٦)، و«الأعلام الشرقية» (٢/ ٦٠٠)، و«من أعلام الفكر والأدب في فلسطين» ليعقوب العودات (٦١٧-٦٢٢)، و«أعلام الأدب والفن» للجندي (٢/ ٣٤٢)، و«علماءنا في بيروت..» للداعوق (١/ ١٣٠-١٣١)، وفي مقدمة كتابه «علامات قيام الساعة» بقلم بسام الجابي (٥-١٧)، ومقدمة كتابه «شواهد الحق».

(٢) (٢١٨/٦).

(٣) (٢/ ١٦٤)، وسيأتي كلامه كاملاً - إن شاء الله -.

الآلوسي المفسر، والشيخ محمد عبده، والسيد جمال الدين الأفغاني وآخرين. من كتبه: «جامع كرامات الأولياء - ط» مجلدان، و«رياض الجنة في أذكار الكتاب والسنة - ط»، و«المجموعة النبهانية في المدائح النبوية - ط» أربعة أجزاء، و«وسائل الوصول إلى شمائل الرسول - ط»، و«أفضل الصلوات على سيد السادات - ط»، و«تهذيب النفوس - ط» اختصره من رياض الصالحين للنووي، و«حجة الله على العالمين - ط» في المعجزات النبوية، و«الفتح الكبير - ط» ثلاثة مجلدات في الحديث، و«نجوم المهتدين - ط» في دلائل النبوة، و«السابقات الجياد في مدح سيد العباد - ط»، و«الشرف المؤبد لآل محمد - ط»، و«الأنوار المحمدية - ط» اختصر به المواهب اللدنية للقسطلاني، و«خلاصة الكلام في ترجيح دين الإسلام - ط»، و«هادي المريد إلى طرق الأسانيد - ط» ثبته، و«الفضائل المحمدية - ط»، و«الأساليب البديعة في فضائل الصحابة وإقناع الشيعة - ط»، و«منتخب الصحيحين - ط» حديث، وفي خزانة الرباط الرقم ٣١٠٢ كتاني، إضبارة أوراق وكراريس، كلها بخط النبهاني، اختصر بها بعض الأربعينات في الحديث وغيرها، وخمس رسائل، (في المجموعة ١١٦٣ كتاني) من تأليف النبهاني عليها خطه، ولعل بعضها بخطه، كل رسالة منها تشتمل على ٤٠ حديثاً: الأولى في «فضل عثمان» والثانية في «فضل أبي بكر وعمر وغيرهما» والثالثة في «فضل أبي بكر» والرابعة في «فضائل عمر» والخامسة في «فضائل علي». وله «الرائية الصغرى - ط» قصيدة طويلة فيها هجاء لجمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده والسيد محمد رشيد رضا. وله قصائد مدح

بها بعض الكبراء في صباه، واعتذر عنها بأن «الشعر صنعة لإظهار المهارة والحدق، لا للإخبار بالحق والصدق»، ولمحمود شكري الألوسي كتابان في الرد عليه، أحدهما «غاية الأمانى في الرد على النبهاني - ط» والثاني «الآية الكبرى في الرد على الرائية الصغرى».

وقال الأستاذ عبد الحفيظ الفاسي - رحمه الله - بعد أن ترجم للنبهاني في «معجم شيوخه»^(١) - متحدثاً عن مؤلفاته -: «وهي وإن كانت له فيها حسنات، فهي لا تقابل ما له فيها من السيئات؛ وذلك لما خلط بها من الخرافات، ونسبة المقامات العظيمة لمن لا قدم له فيها من الطعام، وادعاء الكرامات، حتى لمن عرفوا بعدم التمسك بالتقوى، ولا مستند له فيها إلا مجرد القول والدعوى، أو نقل فلان عن فلان عن فلان، ولو كان هيان بن بيان، أو الاغترار بظواهر الأحوال وعدم البحث عن حقائق الرجال، وبعبكس ذلك عمد إلى علماء الإسلام الذين خدموا السنة والدين خدمة لم يشاركهم فيها غيرهم في عصرهم، بشهادة الموافق والمخالف لهم، كشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، فحمل عليهما حملة شعواء في كتابه «شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق»، كما حمل بعد ذلك في «رائيته الصغرى في ذم البدعة وأهلها ومدح السنة الغراء» على الإمام الألوسي المفسر الكبير وأبنائه الأعلام».

وقال عنها - أيضاً -: «قد ملأها النبهاني بتأييد البدع، ورصعها بخرافات وأوهام، دنس بها صحيفته ووجه الدين الإسلامي النقي

(١) كما سبق، وعنوانه: «رياض الجنة» (١٦١-١٦٦).

الطاهر، وأبقاها حجة ووسيلة يتدرع ويحتج بها الطاعنون في الإسلام، والثالبون لتعاليمه الصحيحة الحقة، على أن الإمام المصلح الشهير السيد محمود شكري الألوسي البغدادي قد ألف كتابه «غاية الأمانى في الرد على النبهاني»، وكتاب «الآية الكبرى على ضلال النبهاني في رأيته الصغرى»^(١)، راداً في الأول ما جاء في كتابه «شواهد الحق» من الجهالات والنقول الكاذبة، والآراء السخيفة، والدلائل المقلوبة، وما تعدى به طوره من سب أئمة العلم وأنصار السنة، وراداً في الثاني على ما في رأيته الصغرى، كما ألف غيره: «الداهية الكبرى على الرائية الصغرى»، وسيُناقش الحساب على كل ذلك يوم تُبلى السرائر.

قلت: أما كراماته التي يدعيها - كما قال الفاسي - وينسبها إلى من هم على مشربه في الخرافة؛ فإليك شيئاً منها؛ ليتبين لك نماذج من مضامين كتبه، ومدى التضليل الذي مارسه هو وأمثاله من الخرافيين على الأمة الإسلامية:

قال في كتابه «كرامات الأولياء» عن أحد أوليائه: «من كراماته أنه كان له اطلاع على أهل القبور، وما هم عليه من عذاب وسرور، وله في ذلك حكايات وخوارق عادات، منها أنه قيل له: إن بعضهم يقول في قبر الإمام أحمد بن عيسى أنه ليس بقبره حقيقة، فزاره في بعض زياراته وهو متوجه لبعض حاجاته، فحصل له عند القبر هيئة وذهول، ثم أفاق وهو يقول: اجتمعتُ بروحانية الإمام أحمد بن عيسى وسألته عن قبره هل هو هذا

(١) طُبِعَ سنة ١٤٢٣ هـ، بتحقيق الأخ الفاضل: عمر الأحمد.

حقيقة؟ فقال: نعم!

ومنها: أنه طلب من بعض العرب خشبة كبيرة ليجعلها أبواباً لداره، فقال له ذلك البعض: وأنا أريد منك حاجة: أريد أن أحفظ القرآن عن ظهر قلب، فقال الشيخ: افتح فمك، ففتحه، فتفل فيه ثلاث مرات، فحفظ القرآن في أسرع زمان»^(١)!!

وقال عن آخر: «ومنها ما حكاه لي ولده سيدي أبو الحسن رضي الله عنه قال: كنت مع والدي ومعنا عمود رخام على جملين، فجئنا إلى قنطرة ضيقة لا تسع سوى جمل واحد، فساق الشيخ رضي الله عنه الجمل الآخر فمشى على الهواء بالعمود!

ومنها: أنه أراد أن يعدي من ميت غمر إلى زفتا، فلم يجد المعدية؛ فركب على ظهر تمساح وعدى عليه»^(٢)!!

وقال عن ثالث: «ومنها: أنه قبل موته بأيام كان يقول لزوجته: إذا أنا مت فلا تصيحوا ولا تنوحوا عليّ، فإني متوجه من مكان إلى آخر، وهي تقول له - وكانت هي أيضاً من أولياء الله تعالى -: ما يمكن نخالف عادة أهل بلدنا، فإذا لم نفعل ذلك يعيبونا ويقولون إنك عندنا ممتهن، فقال لها: إن كنتم تفعلون ذلك تفتشون عليّ ما تجدوني، فلما مات ناحوا عليه وبكوا، فلما جهزوه وأتوا به إلى المسجد للصلاة عليه، فبينما هم ينتظرون إمام المسجد ليصلي عليه، جاء بعض الناس ومسه يتبرك ببدنه، فلما

(١) ص (٣٢٨).

(٢) ص (٣٢٤).

وضع يده على الساتر الذي يضعونه فوق التابوت على الميت لم يجده في التابوت، فأخبر الناس، فضجوا وتحيروا وصاروا يفتشون عليه، ويظنون أنه سقط، حتى جاء بعض أكابر السادة بني الزيلعي فأمرهم أن يقرؤوا سورة يس أربعين مرة، فلما أتموها وجدوه مكانه»^(١)!!

وقال في ترجمة الزنديق الحلاج: «ومن كراماته أنه كان يُخرج للناس فاكهة الشتاء في الصيف وعكسه، ويمد يديه في الهواء ويعيدها مملوءة دراهم، مكتوباً عليها: قل هو الله أحد، ويسميا دراهم القدرة»^(٢). قلت: هذه مجرد نماذج للخرافات التي يبثها النبهاني في كتبه؛ ليُضل بها المسلمين، ويصرفهم إلى عبادة وتعظيم العباد، بدلاً من توحيد العبادة لله - عز وجل -.

أقوال العلماء فيه وفي كتبه:

قال العلامة محمود شكري الألوسي: «النبهاني على ما حكى لي من رآه أنه كذاب، كثيراً ما يحدث بمنامات لا أصل لها، وفي الحقيقة إن غالب هؤلاء المبتدعة كذلك، وهم بيت الكذب، كما أنهم المنهمكون على الدنيا، وهذا من علائم دجاجة العصر، قبحهم الله تعالى»^(٣).

وقال عن توليه القضاء في المحاكم الشرعية: «ثم أين زهده وورعه وتقواه، وقد صرف عمره في الأحكام القانونية في المحاكم الجزائية والبدائية والحكم بغير ما أنزل الله؟ أما يستحي من هذا حاله أن يُدخل

(١) ص (٣٣٣).

(٢) ص (٤٠٣).

(٣) «غاية الأمان في الرد على النبهاني»، ص (١٦٦). وانظر: (٢/ ٤٣٩-٤٤١).

نفسه في عداد المسلمين، فضلاً عن عباد الله الصالحين، والعلماء العاملين؟ وهو صفر اليدين من كل فضيلة، عارٍ عن أردية المناقب الجميلة»^(١).

وقال - أيضاً -: «إن الرجل جاهل...، سقيم الفهم بأخبار العدول الثقات، ورواية الصادقين من الرواة»^(٢).

وقال الشيخ جمال الدين القاسمي في رسالة منه للشيخ محمد نصيف - رحمهما الله -: «وأما النبهاني فدعوه يُمْت بغیظه، قاتله الله من رجلٍ خرافي، أضرَّ بتأليفه كثيراً من البسطاء، ولكن سوف يخزيه الله بنشر ذلك الكتاب. على أن مظهر هذا العصر هو نبذ أمثال تأليفه العارية من العلم والأدب، فلا تحرصوا إلا على محاربته بنشر آثار شيخ الإسلام وأمثالها، لا بالمقالات في الجرائد؛ فإن الجهاد معه هو في بث أثر السلف ومشر بهم»^(٣).

وسئل الشيخ محمد رشيد رضا - رحمه الله - سؤالاً جاء فيه: «ذكر الشيخ يوسف النبهاني في كتابه شواهد الحق (ص ١٠١) أحاديث استدل بها على وجود الأقطاب والأبدال والأنجاب والأوتاد والنقباء، ووجود الخضر عليه السلام.. ولم يذكر النبهاني سنداً، ولا من أي كتاب من كُتُب الحديث أخرجها، فأرجوكم أن تفيدوني: هل تصح هذه الأحاديث؟ وهل الخضر عليه السلام حي إلى هذا الزمان؟ وما قولكم فيمن يُكذَّب

(١) السابق (٢/٤٣٢).

(٢) السابق (١/٦٨).

(٣) «جمال الدين القاسمي»، لظافر القاسمي، ص (٥٩٠).

بوجود الخضر وغيره من الأقطاب؟ نرجوكم الجواب الكافي الشافي.
فأجاب الشيخ بقوله: نقول قبل كل شيء: إن الشيخ يوسف النبهاني لا يوثق بعلمه ولا بنقله، ولا ينبغي أن تحفلوا بكتبه، وقد سُئِلنا غير مرة عن بعض الخرافات التي يبثها في كتبه المملقة، فلم نجب السائلين بشيء؛ إذ كان يتوقف ذلك على مراجعة الكتب التي يسألون عما ورد فيها، وأي عاقل يسمح بإضاعة وقته في مراجعة تلك الكتب؟!

أما وقد ذكرتم في هذا الرقيم ما سألتكم عنه؛ فإليكُم الجواب، والله الهادي إلى الصواب - ثم نقض الشيخ خرافات النبهاني -^(١).

وقال - أيضاً - الشيخ رشيد رضا: «تركنا عملنا ورحلنا إلى عاصمة دولتنا؛ لأجل السعي العملي النافع لدولتنا وأمتنا وديننا، وكنا ونحن مجدون في هذا السعي، نأخذ المرة بعد المرة مكتوبات من الشرق والغرب والجنوب، يطالبنا فيها أصحابها بالرد على الدجالين والمفرقين من أعداء الإصلاح؛ كالنبهاني والشيخ أحمد جمال التونسي، وصاحب جريدة جديدة في سنغافورة، والشيخ محسن العاملي، ويرسلون إلينا رسائل وقصائد وجرائد لهؤلاء المفرقين طلاب المال والجاه عند العامة، فما كنا نسمح بأن نضيع شيئاً من وقتنا؛ لمطالعة ما يرسلونه إلينا من رسائل وجرائد هؤلاء المفسدين؛ لأن الوقت والمال قد صرفا إلى ضد سعيهم، فنحن نشكر للذين طالبونا بالرد غيرتهم، ونذكّرهم بقوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، ولكنني

(١) «مجلة المنار» (محرم ١٣٢٦ هـ).

رأيت بعض إخواننا مغرورين بالنبهاني؛ لما كتبه من الأوراد والصلوات ونحوها، فأقول لهؤلاء المغرورين: إن هذه الكتب كمسجد الضرار؛ صورتها خدمة للدين، وهي في معناها مفسدة ضارة.

لم يكن يوجد شيء من هذه الكتب وأمثالها في القرون الثلاثة الأولى؛ وهي بشهادة النبي ﷺ خير القرون؛ أيام كان الإسلام في كماله الديني، وإنما راج أمثال هذه الكتب في أيام ضعف المسلمين في الدين والعلم والمدنية، وكانت هذه الكتب من أسباب ضعفهم؛ إذ صرفتهم عما أتاهم الله من المواهب والقوى التي فاز بها سلفهم، وعلقت آمالهم بالأموات، وصرفتهم عن تدبر القرآن والتعبد به، وبما ورد في السنة من الأدعية والأذكار إلى أوراد من وضع الناس الذين لا حق لهم في التشريع، فيضعوا للناس عبادات ما أنزل الله بها من سلطان، وإن خلطوها بشيء من المأثور ترويجاً لها، وكتب النبهاني مملوءة بالروايات الموضوعة المكذوبة، والمنكرة، والضعيفة الشديدة الضعف؛ ولذلك قلنا من قبل: إنه لا يوثق بعلمه ولا بنقله.

كان لهذا الرجل جاه في حكومة الاستبداد الماضية^(١)؛ بتملقه لأعوان عبد الحميد الذين كادوا يقضون معه على هذه الدولة، وكانوا يستعينون بقصائد النبهاني في مدحهم ومدح سلطانهم، على غش الأمة به من طريق الدين، وناهيك بأكاذيب الشعراء المتملقين، وتأثيرها الذي

(١) ينظر لمعرفة موقف الشيخ رشيد من الدولة العثمانية: «رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب» للدكتور محمد سلمان، ص (٤٨٨ وما بعدها).

يستبعون به الغاوين، ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ (٢٢٤) أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ
وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿[الشعراء: ٢٤٤-٢٤٦]﴾، كان
النبهاني يمدح أبا الهدى^(١) لما كانت كلمته عند عبدالحميد هي الكلمة
العليا، فكان يرفعه إلى الدرجات العلى، ويجعله من أئمة الدين وأقطاب
الأولياء العارفين، فلما غلبه وبزه عزت العابد^(٢) في الزلفى؛ قلب له
النبهاني ظهر المجن، وصار يتقرب إلى عزت العابد بذمه، ويدعي أن
عزت هو ركن الدولة والإسلام بعد عبدالحميد، الذي يربو غلوه في
مدحه على كل غلو.

في ظل هذا الجاه الباطل والمدح الكاذب والغش للمسلمين
والعثمانيين، كان يُروج النبهاني كتبه الملقّة، وناهيك بنفوذه في المحكمة
النظامية ببيروت، وكان يمهد بذلك السبيل لادعاء المهديّة لنفسه، كما
نقل إلينا بعض المطلعين على مخبّآته، ومن تمهيداته ومقدماته لذلك: ما
كان يدعيه من الرؤى والمنامات.

أين المسلمون الذين تركوا الفواحش والمنكرات، وقاموا بما ورد

(١) أبو الهدى الصيادي، الصوفي الرفاعي الشهير، ارتقى من درويش يرتزق بضرب الدف إلى أن
أصبحت له حظوة كبيرة عند السلطان عبدالحميد. توفي عام ١٣٢٨ هـ - ١٩٠٩ م. له ترجمة
في «الأعلام» (٩٤/٦). وقد جمع الأستاذ حسن سويدان ما قيل فيه من معاصريه في كتاب
سماه: «أبو الهدى الصيادي في آثار معاصريه». ويُنظر لبيان حاله: كتاب «جناية أبي الهدى
الصيادي» للأستاذ عبدالرحمن الشايع.

(٢) من مشهوري الساسة في عهد انهيار السلطنة العثمانية، كان سكرتيراً عند السلطان
عبدالحميد، اتصل به بواسطة أبي الهدى الصيادي، ثم وقع التنافس بينهما. توفي عام
١٣٤٣ هـ - ١٩٢٤ م. «الأعلام» (١/١٦٩-١٧٠).

في الكتاب والسنة من الفرائض والمندوبات، والأدعية والذكر والفكر، وسائر أعمال البر، ثم وجدوا فراغاً لقراءة أورد النبهاني وصلواته؟! وأين من قرأ التفسير والحديث الصحيح والتوحيد والفقه ثم وجد فراغاً لقراءة ما لفقه من الكتب، وخلط فيه بين الحق والباطل؟! ألا إن أمثال هذه الكتب هي التي خدرت أعصاب المسلمين، حتى غفلوا عن أنفسهم، فملكت الأجانب عليهم أمرهم، فليتهم كانوا كذلك الأعرابي الذي حلف أنه لا يزيد على ما فرض عليه ولا ينقص منه، فقال النبي ﷺ: «أفلح الأعرابي إن صدق» رواه الشيخان. وفي رواية: «دخل الجنة إن صدق»، فإن الإسلام ما جاء لجعل أتباعه كعباد بني إسرائيل في الصوامع، ولا كرهبان النصارى في الأديار، بل جاء ليجعلهم سادة الأرض ووارثيها؛ لتكون لهم مزرعة للأخرة.

يا حسرة على المسلمين، كيف سلبوا استقلال عقولهم وبعدوا عن هداية ربهم وسنة نبيهم وسيرة سلفهم، وساروا وراء الدجالين الذين استهواهم، وسلبوا منهم قلوبهم وأموالهم، ومهدوا بذلك السبيل للأجانب فسلبوا ملكهم، وأزالوا من بلادهم حكم شريعتهم، فأضاعوا دينهم ودنياهم، ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [النحل: ٣٣].

كان النبهاني يُشغل جمهور المسلمين بكتبه وقصائده عن الأخطار المحيطة بهم من كل جانب، وعن كل ما يجب عليهم؛ للدفاع عن دينهم وأنفسهم؛ بالخضوع والعبودية الظاهرة للسلطان عبدالحميد ورجاله، والخضوع والعبودية الباطنة له ولأمثاله، وما كان انتصارهم لعبادة أصحاب القبور وتأويل عبادتهم بتسميتها توسلاً واستشفاعاً إلا تمهيداً

لأنفسهم، وقد فضح الزمان كيدهم الأول، وكلما استيقظ المسلمون من غفلتهم افتضح كيدهم الآخر، ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩] والعاقبة للمتقين.

ومن أراد الاطلاع على جهل النبهاني وخلطه في كتبه فليقرأ كتاب (غاية الأمانى في الرد على النبهاني)؛ وهو مجلدان لأحد العلماء المحققين، وقد طبع في مصر^(١).

وقال الشيخ رشيد رضا في موضع آخر من مجلة «المنار»:

«جناية حديشية وخيانة دينية للشيخ يوسف النبهاني:

بهذه المناسبة أنه قراء المنار لاتقاء الاعتماد على أحاديث كتاب (الفتح الكبير، في ضم الزيادة إلى الجامع الصغير)، المطبوع بمصر سنة ١٣٥٠هـ؛ فإن الشيخ يوسف النبهاني الدجال المشهور جمع أحاديث الجامع الصغير والزيادات عليه وحذف منه رموز المؤلف للأحاديث الصحاح والحسان والضعاف؛ ليتوهم المطلع عليه أن كل ما فيه صحيح أو مقبول يُحتج به، على أن تلك الرموز لم تكن كافية للتمييز بينها»^(٢).

وقال - أيضاً -:

«طُبِعَ الجامع الصغير ممزوجاً بذيله هذا عن نسخة تولى مزجها الشيخ يوسف النبهاني المشهور بنشر الخرافات والمنكرات

(١) «مجلة المنار» (شوال ١٣٢٨هـ).

(٢) «مجلة المنار» (جمادى الآخرة ١٣٥٣هـ). ويُنظر مقدمة العلامة الألباني - رحمه الله -

لـ«صحيح الجامع»؛ حيث ذكر سبباً آخر لصنيع النبهاني، (١/ ٢٩).

والموضوعات، فخان الله ورسوله ومؤلف الجامع؛ بحذفه منها علامات الصحة والحسن والضعف؛ ليعتقد قراؤها الذين يقل أن يوجد فيهم محدث بأن كل أحاديثها معتمدة، يجب على المسلم اعتقاد ما فيها، والاعتماد عليها في العمل على عللها ومنكراتها، فليحذر هذا من اطلع عليها»^(١).

وقال الشيخ سليمان بن سحمان - رحمه الله - في رده على أحمد باشا العظيم: «وأما قوله: وللشيخ يوسف النبهاني - حفظه الله - فمن شاء فليرجع إليها فيستضيء من أنوارها ويرتوي من رحيقها.

فالجواب: أن يقال: مَنْ يوسف النبهاني وما يوسف؟ لا أكثر الله في الناس أمثاله، وقطع دابره وشتت أوصاله، ومن كان على طريقته ونحلته، من أحزابه وإخوانه وأهل ملته، لأنهم من الغواة الصعافقة المتمعلمين، ومن أهل الجهالة المتمردين الغالين^(٢)، المتبعين غير سبيل المؤمنين، والساكنين على طريق الغلاة من المشركين ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾ ^(٣) إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿[نوح: ٢٦، ٢٧]، وكان هذا الرجل المسمى بيوسف النبهاني من أهل فلسطين، من أنباط قرية إجزم من أهل حيفا ثم سكن في بيروت، وكان قاضياً فيها يحكم

(١) السابق.

(٢) قلت: قد اعترف النبهاني بجهله، في كتابه «أسباب التأليف»، ص (٣٣٢)، بقوله: «وأكرر القَسَم بالله العظيم، أنني أعلم نفسي علماً صحيحاً يقيناً، لا أشك فيه، بلا تواضع مني، ولا إظهار خلاف ما هو الواقع، الذي أتقنه من نفسي؛ أنني غير متقن لعلم واحد من العلوم النقلية والعقلية.. اللهم إلا أن تكون مهارتي في جودة الشعر»!

بالقانون، ويدع الحكم بكتاب الله وسنة رسوله؛ ومن العجب العجائب أن هذا الرجل يدعي محبة النبي ﷺ، ووضع فيه مدائح تجاوز فيها الحد وأفرط فيها، ومع ذلك يحكم بالقانون المخالف لشريعة الرسول، المأخوذ عن حكم الإفرنج من النصارى، ويدع حكم الله ورسوله!! وهذا من أشنع التناقض وأبشعه، وصنّف كتاباً في الاستغاثة بالنبي ﷺ، ورد عليه أئمة أهل الإسلام وبيّنوا ما في كتابه من الأغلاط والأوهام والغلو المفرط الذي خرج به من دين المسلمين، إلى دين عباد القبور من المشركين، وكان في عقيدته على طريقة أهل الاتحاد كابن عربي وأمثاله من أهل الكفار والعناد ﴿الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبَلَدِ﴾ ١١ ﴿فَاكْثَرُوا فِيهَا الْفُسَادَ﴾ [الفجر: ١١، ١٢١]، وهم من أكفر خلق الله على الإطلاق، ومن أهل الزندقة والنفاق، وكان يجحد علو الله على خلقه واستواءه على عرشه، وأنه ليس فوق السماء إله يُعبد، ولا يُصلى له ويُسجد، بل ليس فوقه عندهم إلا العدم المحض، وبيان ذلك بقوله في رائيته الصغرى:

وهم باعقاد الشرك أولى لقصرهم	على جهة للعلو خالقنا قصرنا
هو الله رب الكل جل جلاله	فما جهة بالله من جهة أخرى
تأمل تجد هذي العوالم كلها	بنسبة وسع الله كالذرة الصغرى
فحينئذ أين الجهات التي بها	على الله من حُقم بهم حكّموا الفكرا
وإن اختلافاً للجهات محقق	فكم ذا من الأقطار قطرٌ علا قطرا
وكل علو فهو سُفل، وعكسه	وقل نحو هذا في اليمين وفي اليسرى
فمن قال علو كلها فهو صادق	وذلك قد يقضي بآلهة أخرى
فمن ياترى بالشرك أولى اعتقادهم	أولئك أم أصحاب سنته الغراء

وقد أجبته على رائيته بنحو من أربع مائة بيت ونيفاً؛ فأدحضت حجته وبيّنت ضلالته، والله الحمد والمنة، فهل يسوغ لمن يؤمن بالله ورسوله واليوم الآخر أن ينقل عمن هذه حاله، وهذا دينه وطريقته ونحلته، أو يُحرض على النظر في كتبه المشتملة على الكفر بالله والشرك به؟ ولكن هذا الرجل الذي ألّف هذه الرسالة إن لم يكن أسوأ حالاً منه فليس دونه»^(١).

وقال الشيخ محمود شكري الألوسي - رحمه الله - معلقاً على قول

النبهاني:

فباربّ زدني منه حباً وزده بي وفي طيبة اختم لي على دينه العُمرا
«أقول: ختم القسم الخامس من قصيدته بهذا الدعاء؛ ليظهر للناس أنه من عباد الله الصالحاء، مع أن كلامه يدل دلالة صريحة أنه من المارقين؛ لما فيه من الكذب والزور والإفك، والخط على العلماء العاملين، والأئمة المتقين، هذا مع ما كان منه من الغي والضلالات، والزيغ والجهالات، فكيف يُختم له بالإيمان، أو يستجيب الله له دعائه؟ وما دعاؤه إلا في ضلال وخسران! ولا بد من ذكر نبذة من أحواله على سبيل الإجمال، ليقف الناظر على ما هو عليه من الضلال، وقد أخبر بذلك بعض الرجال المجاورين له، وهذا بعض ما فصله فقال: «وصل إليّ كتاب «غاية الأمان» والصارم الهندواني، المبيد أهل الإفك المتخذين دينهم لهواً ولعباً، وتكسباً عليه وتكذيباً، المشوّهين وجه الملة

(١) «كشف غياهب الظلام»، ص (٢٩٧-٢٩٩).

والدين، ولم يعبدوا مولاهم مخلصين، حيث جبلت طباعهم على النفاق، وتعظيم المارقين الفساق، وتلونوا تلون الحرباء، بما طبعوا عليه من الكذب والرياء، فحمد الله الذي عافانا وإياكم من أحوالهم، وحماكم بفضلهم عن مقاصدهم وآمالهم، ونزهكم عن أعمالهم وأفعالهم، وقد طالعنا أول الكتاب فرأيناه لطيف المباني جليل المعاني، وقد يحسد على تكرار اسمه فيه البغي النبهاني! لأنه أقل من ذلك، وإن موّه على الأغبياء بما موّه ما هو عليه من المناهج والمسالك». وقد أخبرنا عن بعض ترجمته رجل آخر من سكنة بلدته فقال: «إنه من قرية (إجزم) من قضاء حيفا بفلسطين، ومن أبناء بعض الفلاحين الخاملين، ممن ليس له نصيب من الأطيان، ولا حظ في عقار ولا بستان، فذهب إلى الأزهر، وقرأ القرآن ومن المتون ما تيسر، واشتغل بنظم الشعر والقريض، ومعرفة الكناية والتعريض، ولم يحصل سوى هذر من الكلام، ووساوس وأوهام، وكان يسمع أن الأولياء من الأموات والأحياء هم المتصرفون في الأرض والسماء، فاتخذ هذا الاعتقاد الباطل وسيلة لنيل آماله عند بعض المقربين، لاسيما وهو من المداهنين الذين يرقعون الدنيا بالدين، فظن أنه فاز بالوجهة، والعلم الأتم، فأسرج في طلب الدنيا وألجم.

إني أريدك للدنيا وزيتها ولا أريدك يوم الدين للدين^(١)

فهام في وادي الخرافات، وتقوّل على الأحياء والأموات، ولفق ما

(١) البيت لبشار بن برد في قصيدة مطلعها:

أثني عليك بما لا منك تولينا

حتى متى ليت شعري يابن يقطينا

لَفَقَّ من المنامات، وخدم شيخ السجادة، وأوهم أن حبه وولاءه من العبادة، فتوصل بذلك إلى نيل نيابة القضاء، ثم ترقَّى لرئاسة محكمة الجزاء، ثم نقل لرئاسة الحقوق، فكان منه ما كان من الجور والعقوق؛ فتحمل ما تحمل من الآثام، بظلمه الأرامل والأيتام، هذا ما عدا ما هو عليه من فساد العقيدة، وعدم اتصافه بالخصال الحميدة، وهو أقل من أن يؤلَّف في ذمِّه كتاب، أو يُحسب له حساب». انتهى المقصود من نقله، وقد ذكر غير ذلك مما لا يستبعد من مثله.

وكتب آخر فقال: «هو حديث النعمة، خبيث الطعمة، ليس له أصل نابت، ولا فرع ثابت، يكاد من لؤمه يعدي من تسمَّى باسمه، أو يجلس إلى جنبه، قد أرضع بلبان اللؤم، ورُبِّي في حجر الشر، وقُطِم عن ثدي الخير، ونشأ في عرصة الخبث، لا أمس ليومه، ولا شرف لقومه، يمشي إلى حتفه بأخمصيه، ويبحث عن مديته بيديه، ويطير بجناحه إلى موضع اجتياحه، تتحفَّزه إلى مصرعه الأضاليل، وتُعجله إلى مهلكه الأباطيل، ليس عنده حياء، ولا مراعاة حقوق وإخاء، وله عُجْبُ طاووس، وجثة جاموس، ولحية طويلة، وروح ثقيلة، يقول من نظر إليه: ألا لعنة الله عليه». وقال آخر - وهو من الأعلام الأفاضل المجاورين لبلد النبهاني -: «قد زارني في هذا العيد أحد الأصدقاء، وجر الحديث إلى ما أُلِّفه النبهاني في هذه الأيام من كتابه المسمَّى بـ(جواهر البحار في فضل المختار)، وذكر منامات ابنته عائشة له، وتسميته إياها بالمبشرات! فقال لي: لو أنا نرد عليه بمثل ما يستدل؛ لذكرنا مناماً لأحد صالحى بيروت، بل من لا يختلف أحد منهم في صلاحه، وهو أنه رأى النبي ﷺ، وقال له:

إني لست براضي عن النبهاني - أو ما بما معناه - ثم زارني أحد الكاملين، وكان سبق له وظيفة في (بيروت) فسَمّي لي الرجل، وقد وعدني هذا الكامل بأن يذكر لي ترجمة حال النبهاني الصحيحة، التي يعملها، وأنه سيقدمها لنا، ونقدمها للسيادة». انتهى.

وذكر لي آخر ما ذكر من أحواله مما لا يسوغ لي ذكره في هذا المقام، ونعوذ بالله تعالى من المقت والخذلان، والحاصل أنه رجل سوء بذيء اللسان، كذاب دجال! ونسكت عن أشياء أخرى، فما كل معلوم يقال.

هذا ونسأل الله العظيم أن يبصره من ضلّالته، ويوقظه من غفلته وجهالته، ويُعرفه بنفسه قبل خروج نفسه، حتى لا يستحقّر أبناء جنسه، وأن يوفقه للعود إلى دينه، ويهيئ له من ينقذه من نيران جحيمه، وإلا فلا يفيد الحب الكاذب، والانتساب إلى أي مذهب كان من المذاهب، إنما النجاة في الموت على الإيمان، في أيّ مكان كان»^(١).

وقال الشيخ إسماعيل بن عتيق: «يوسف بن إسماعيل النبهاني القاضي الشرعي في بيروت، له شطحات لا تُغتفر؛ فمن كتبه: شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق، وكتاب: الأنوار المحمدية في المواهب اللدنية»^(٢).

وقال الشيخ مشهور حسن سلمان: «كتب يوسف النبهاني فيها كثير من الطامات، وهو من أوائل من رفع راية العداء للدعوة السلفية،

(١) «الآية الكبرى»، ص (١٢٧-١٣١)، بتحقيق الأخ الكريم عمر الأحمد.

(٢) مقدمة كتاب «القول الفصل النفيس في الرد على المفتري داود بن جرجيس» للشيخ

عبدالرحمن بن حسن - رحمهما الله -.

وأعلامها الأجلاء، وعلى رأسهم: شيخ الإسلام ابن تيمية، وكتبه طافحة في الطعن على الشيخ الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب، وقد حذر من كتبه غير واحد من الأعلام»^(١).

كتابه «شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق»!

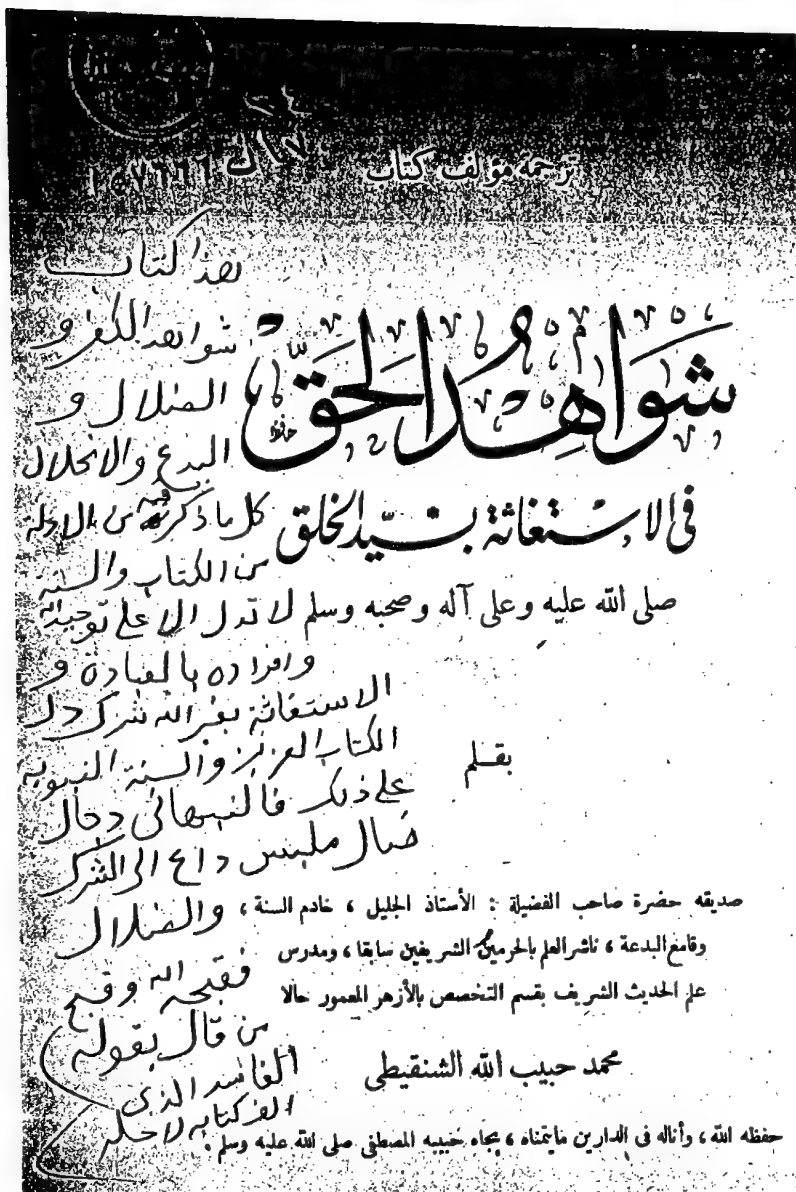
أما كتابه: «شواهد الحق» فهو - كما سبق - قد شيد به أركان الشرك، وأصل لصرف العبادة لغير الله - عز وجل -، فكان من حقه أن يسمى كما قال الشيخ محمد بن مانع - رحمه الله -: «هذا كتاب شواهد الكفر والضلال والبدع والانحلال، كل ما ذكر فيه من الأدلة من الكتاب والسنة لا تدل إلا على توحيد الله، وإفراده بالعبادة، والاستغاثة بغير الله شرك دل الكتاب العزيز، والسنة النبوية على ذلك، فالنبهاني دجال، ضال، ملبس، دافع إلى الشرك والضلال، فقبحه الله، وقبح من قال بقوله الفاسد الذي ألف كتابه لأجله»^(٢).

سبب المنظومات:

قال الشيخ محمد بن سبيل في تقديمه لكتاب الألوسي «غاية الأمانى في الرد على النبهاني»: «عندما عزمْتُ على كتابة هذه الترجمة - أي ترجمة الألوسي - اتصلت بالعالم السلفي، الشيخ محمد نصيف بجدة، والذي كان له مساهمة فعالة في سبب تأليف الكتاب وطبعته الأولى،

(١) «كتب حذر منها العلماء» (١/٢٦٩).

(٢) هذا ما كتبه الشيخ ابن مانع - رحمه الله - بخطه على غلاف نسخته من «شواهد الحق»، كما في الصورة المرفقة. ومثله في الشناعة: كتاب المبتدع حسن السقاف «الإغاثة بأدلة الاستغاثة»! ﴿تَنَبَّهْتَ قُلُوبَهُمْ﴾.



صورة نسخة الشيخ ابن مائع - رحمه الله - من كتاب «شواهد الحق» للنبهاني، وعليها تعليقه.

فأفاد بما ملخصه: أنه عندما ظهر كتاب النبهاني المسمى «شواهد الحق» وقرأه الشيخ محمد نصيف، ورأى ما فيه من التلفيق والتحريف، والاستدلال السخيف، وذكر الأحاديث الباطلة الموضوعة، والضعيفة الواهية، وتهجمه على المحققين من علماء السلف، وتجويزه دعاء الأموات والاستغاثة بهم، وغير ذلك مما يُخالف صريح الكتاب وصحيح السنة، عندما قرأه كتبَ للعالم العلامة الشيخ محمود شكري الألوسي، يطلب منه أن يقوم بالرد على النبهاني، ويدحض أباطيله، ويتنصر للحق وأهله، فلم يمض سنة إلا وقد جاء الرد المسمى «غاية الأمانى في الرد على النبهاني» للشيخ محمود الألوسي، واتفق الشيخ محمد نصيف والشيخ عبدالقادر التلمساني - من تجار جدة المحسنين، والعلماء السلفيين - على أن يقوموا بطبعه، وتكاليف الطبع بينهما نصفين. وكان الشيخ التلمساني آنذاك في مصر، فاتفقا أن يقوم بطبعه فرج زكي الكردي بمطبعته في مصر، فقام بطبعته الأولى، وقد وضع المؤلف على طرة الكتاب: تأليف: أبي المعالي الحسيني، إشارة إلى كنيته ونسبه الحسيني، وزاد عليها السلامي الشافعي؛ لثلا يتضح اسمه خوفاً؛ على نفسه، وذلك أن العلماء السلفيين في ذلك العصر يخافون على أنفسهم في معارضة أهل البدع والخرافيين - كالنبهاني وغيره -، والسبب في ذلك أن السلطان عبدالحميد سلطان الدولة العثمانية قد قرب المشايخ من أهل الطرق، من الصوفية أنصار البدع، فلذلك خاف السيد محمود شكري الألوسي من إظهار اسمه على طرة الكتاب، وكذلك صاحب المطبعة فرج الله زكي خاف على نفسه، ولم يذكر اسمه إلا رمزاً (ف، ج، ز)، ولا اسم

مطبوعته، ولا البلد التي فيها المطبعة، وكذلك الشيخ عبدالقادر التلمساني والشيخ نصيف خافا على أنفسهما من نفس العلة؛ لأن السلطان عبدالحميد في ذلك الوقت له النفوذ في بغداد ومصر والحجاز، وهي البلدان التي فيها المؤلف والطابع والمطبعة»^(١).

وقال الشيخ رشيد رضا - رحمه الله -:

«غاية الأمان في الرد على النبهاني» كتاب مؤلف من سفرين كبيرين لأحد علماء العراق الأعلام، المكني بأبي المعالي الحسيني السلامي الشافعي.

رد فيهما ما جاء به النبهاني من الجهالات، والنقول الكاذبة، والآراء السخيفة، والدلائل المقلوبة في جواز الاستغاثة بغير الله تعالى، وما تعدى به طوره من سب أئمة العلم وأنصار السنة؛ كشيخ الإسلام ابن تيمية.

بيّن المؤلف في كتابه هذا الحق في مسألة الاستغاثة وما يتعلق بها، وأطال فيما لا بد من الإطالة فيه؛ من تكذيب ما عزى إلى ابن تيمية كذباً وبهتاناً من الأقوال الباطلة، وما عزى إليه مما ظن الناقلون لجهلهم أنه انفرد به، وهو لم ينفرد به، وما زعموا أنه باطل لعدم الوقوف على دليله، وجاء بالنقول الصحيحة من كتبه وكتب غيره من العلماء، التي تفند أقوال المعترضين الكاذبين والجاهلين تفنيداً، وتقذف بالحق على الباطل فيدمغه فيكون زهوقاً.

وفي هذا الكتاب ما لا أحصيه من الفوائد العلمية في: التوحيد والحديث والتفسير والفقه والتاريخ والآداب والتصوف، وما انفرد به بعض المشاهير، فأنكره العلماء عليه، كالإنكار على الغزالي وابن العربي الحاتمي وغيرهما.

فعلى هذا الكتاب نُحيل الذين يكتبون إلينا من الشرق والغرب، يسألوننا أن نرد على النبهاني، وكذا من اغتروا بقوله ونقوله، وظنوا أن قولنا في الاعتذار عن عدم قراءة كتبه والرد عليها، أنه لا يوثق بعلمه ولا بنقله، هو من قبيل السب.

وحاشا لله ما هو إلا ما نعتقد فيه وفي كتبه، بعد النظر في بعضها ورؤية ما فيها من الأحاديث الموضوعة، والنقول المكذوبة، والاستنباطات الباطلة، ممن جعل نفسه بالاستنباط مجتهداً، وهو ينكر الاجتهاد، ويعترف بأنه ليس أهلاً له.

وقد قرظ هذا الكتاب طائفة من العلماء تقاريطاً حسنة، فكانهم كلهم ردوا على النبهاني ما جمعه كحاطب ليل^(١).

قلت: ولما اطلع النبهاني على كتاب الألوسي السابق «غاية الأمانى» سقط في يده، وعجز عن نقضه بالبرهان والدليل، ففرع إلى النظم يُفرغ فيه غيظه، ونظم قصيدة رائية ركيكة، ذات خمسة فصول، هجا بها جمال الدين الأفغاني، والشيخ محمد عبده، والشيخ رشيد رضا، والألوسي، ثم أتبعهم

(١) «مجلة المنار»، شوال ١٣٢٧هـ.

- خامساً - بهجاء دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - (١)، بسبب أن الجميع - رغم تباين مشاربهم - يخالفون بدعه الشريكة القبورية. فالأفغاني ومحمد عبده من رؤوس المدرسة العصرانية المتعقلنة المنحرفة، وقد بين العلماء والكتّاب حقيقة دعوتهما (٢).

نستفيد من رده على أصحاب المدرسة العقلية :

ومن المعلوم أن أهل السنة يدورون مع الحق، ويأخذونه من الموافق والمخالف، ومنهجهم من المذاهب والأعيان: رد باطلهم، والاستفادة من صوابهم، وهذا - كما قال ابن القيم - رحمه الله - (٣): «يُنَّ بحمد الله عند أهل العلم والإيمان، مستقر في فطرهم، ثابت في قلوبهم، يشهدون انحراف المنحرفين في الطرفين، وهم لا إلى هؤلاء، ولا إلى هؤلاء، بل هم إلى الله ورسوله متحيزون، وإلى محض سنته منتسبون، يدينون دين الحق أنى توجهت ركائبه، ويستقرون معه حيث استقرت مضاربهم، لا تستفزهم بداوات (٤) آراء المختلفين، ولا تزلزلهم شبهات المبطلين، فهم الحكماء على أرباب المقالات، والمميزون لما فيها من الحق والشبهات،

(١) محمود شكري الألوسي، سيرته ودراساته اللغوية، للشيخ محمد بهجة الأثري، ص (١١٢) بتصرف يسير. وانظر أيضاً: «أعلام العراق» له، ص (١٤١).

(٢) كما تجده في رسالة: «دعوة جمال الدين الأفغاني في ميزان الإسلام» للأستاذ مصطفى غزال، ورسالة: «المدرسة العقلية الحديثة في التفسير» للدكتور فهد الرومي، ورسالتني: «العصرانية قنطرة العلمانية» (مطبوعة ضمن كتاب: نظرات شرعية في فكر منحرف).

(٣) في «بدائع الفوائد» (٢/ ١٦٥).

(٤) بداوات: جمع بداوة، وبداوة الشيء أول ما يبدو منه.

يردون على كل باطله، ويوافقونه فيما معه من الحق، فهم في الحق سلمه، وفي الباطل حربُه، لا يميلون مع طائفة على طائفة، ولا يجحدون حقها لما قالته من باطل سواه، بل هم ممتثلون قول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوِّمٍ عَلَىٰ ءَلَا تَعْدِلُوا ءَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

ولهذا: فلا مانع أن نستفيد مما عند مدرسة الأفغاني ومحمد عبده العقلية من ردود على خرافات أهل التصوف؛ كالنبهاني وغيره. وفي المقابل نستفيد مما عند المتصوفة^(١) أو غيرهم من الرد على تجاوزات أصحاب المدرسة العقلية؛ سواء في إنكارهم للمعجزات، أو تأويلهم لما يظنونه معارضاً للعقل، أو تساهلاتهم السلوكية.

فيحسن هنا نقل جزء مما ذكره النبهاني في رائيته، وكتابه «العقود اللؤلؤية» - مع هوامشه - لأهميته في كشف رأسي المدرسة العصرية العقلية: الأفغاني ومحمد عبده^(٢).

(١) كالشيخ الصوفي محمد الجنبهي، الذي ألف كتاباً سماه «بلايا بوزا» في الرد على محمد عبده ومدرسته، وقد كان معاصراً له، وأظنه أول من نبه كتابياً إلى خطورة هذه المدرسة العقلية. وقد نقل عن كتابه: الدكتور محمد محمد حسين في «الإسلام والحضارة الغربية». وكالصوفي يوسف الدجوي - أحد علماء الأزهر - الذي رد على تأويلات محمد رشيد رضا - رحمه الله - بكتاب سماه «صواعق من نار على صاحب المنار».

(٢) وقد نقل كثيراً منه: الدكتور محمد محمد حسين - رحمه الله - في كتابه «الإسلام والحضارة الغربية» ص (١٠٠-١١٢). والأستاذ عيسى محمد ماضي في رسالته «يوسف النبهاني الشاعر الفلسطيني الرائد!»، رسالة دكتوراة بالأزهر، (لم تطبع بعد)، وبعض الهوامش منه.

قال النبهاني في مقدمة رائيته: «التنبية الثاني: أن هؤلاء المفتونين الضالين المضلين قد مشوا ببدعتهم على أثر البروتستانت^(١) من النصارى الذين يدعون إصلاح دين النصرانية بتركهم العمل بأقوال أئمتهم السابقين، والاقتصار على ما في التوراة والإنجيل من أحكام الدين، وقد أخطأ هؤلاء الطغام بتقليدهم أولئك الأقوام؛ لأن ما زاده أئمتهم على التوراة والإنجيل ليس له أصل فيهما، وإنما هو من ترتيب مجامعهم، أما أئمة الإسلام فلم يزدوا على الكتاب والسنة شيئاً من عند أنفسهم، بل جميع أحكام المذاهب الأربعة إما مأخوذة من صريح الكتاب والسنة، وهو أكثر الأحكام، أو مستندة إلى الإجماع الذي هو مستند إليهما أو إلى أحدهما، أو مستندة إلى القياس الصحيح عليهما أو على أحدهما، فليس هناك حكم في المذاهب الأربعة خارج عن الكتاب والسنة من كل الوجوه، ولا يمكن أن يستعملوا القياس إلا إذا لم توجد آية أو حديث يصلح للاستدلال.

(١) ذكر ألفرد سكاون بلنت التشابه بين دعوة البروتستانت ودعوة الأفغاني فقال: «... وكان هم الأفغاني في الأستانة أن يُطلق العقول من الأغلال التي قيدتها طوال الأجيال الماضية، ويقيم الحجة على أن الدين الإسلامي ليس شيئاً ميثاً ولكنه نظام يصلح للإنسانية المتطورة في جميع العصور فهو لا يأبى التطور، وكل هذا يماثل ما حدث في إحياء المسيحية بأوروبا في القرنين الخامس عشر والسادس عشر، على أن الغريب في شأن الإسلام هو أن يعود الفضل في نشوء روح النقد بين أهله إلى رجل تربى في بلاد رجعية كآسية الوسطى وتعلم في جامعة سحيقة كجامعة بخارى (التاريخ السري لاحتلال إنجلترا مصر ص ٧٨)، وراجع أيضاً عقد الشيخ مصطفى صبري لموازنة بين دعوة الأفغاني ومحمد عبده، ودعوة لوثر وكلفن في كتابه (موقف العقل والعلم والعالم في رب العالمين وعبادة المرسلين (١/ ١٤٤-١٤٥).

التنبيه الثالث: أنا نحمد الله تعالى على أن لم نكن من هذه الفرقة الضالة المضلة التي حدثت فينا معاشر المسلمين في هذا العصر، فإنه لا بد من حدوثها تصديقاً لقول الصادق المصدوق عليه السلام: «التبعن سنن من قبلكم شبراً بشبر وذراعاً بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه». قالوا: اليهود والنصارى؟ قال: فمن؟» فرقة^(١) البروتستانت إنما حدثت في النصارى في نحو ثلاثمائة سنة، وسموا أنفسهم المصلحين لدين النصرانية، فلا بد أن يكون في المسلمين فرقة تتبعهم في وصفهم المذكور؛ تصديقاً لقول الصادق المصدوق عليه السلام، فظهر الشيخ جمال الدين الأفغاني أولاً ثم تبعه تلاميذه، وشرهم الشيخ محمد عبده، ثم تلاميذه وشرهم الشيخ رشيد القلموني، ثم كثروا وتفرقوا في البلاد، وسموا أنفسهم المصلحين^(٢)، وهم أهل الجهل والفساد، وأعداء الصلاح والإصلاح.

التنبيه الرابع: يصدق على هؤلاء المفسدين الذين سموا أنفسهم المصلحين: قوله تعالى في أوائل سورة البقرة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي

(١) أشار الكونت فيليب طرازي إلى التشابه بين دعوة مارتن لوثر لإصلاح المسيحية ودعوة محمد عبده لإصلاح الإسلام - كما يزعم - راجع «تاريخ الصحافة» (١/٢٨٩-٢٩٠). علماً بأن مارتن لوثر قد أعرب عن احتقاره للقرآن الكريم ورفض قراءته عن الفرنسية - راجع مقالاً للأستاذ القزاز في مجلة هدي الإسلام، العدد الثالث والرابع، مجلد (١٩) ربيع أول وربيع ثاني (١٩٧٥).

(٢) راجع مجلة «الضياء» السنة السابعة، ص (٩٥-٩٩، ١٩٠٤-١٩٠٥) حيث أوضحت ما كان ينويه الشيخ محمد عبده من إصلاح الدين الإسلامي، وفي توسيع نطاق العلم في الجامع الأزهر، حتى يكون كإحدى الكليات الكبرى في أوروبا.

الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾
 [البقرة: ١١، ١٢]، وقد نقل الحافظ السيوطي في تفسيره «الدر المنثور»،
 ومثله البيضاوي وابن جرير الطبري، عن سلمان الفارسي رضي الله عنه،
 أنه قرأ هذه الآية: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ
 مُصْلِحُونَ﴾ فقال: لم يجيء أهل هذه الآية بعد. انتهى، وهي لعمرى آية
 باهرة ومعجزة ظاهرة مطابقة لما قبلها وما بعدها من الآيات لأوصاف
 هذه الفرقة الخاسرة، وكنت كلما قرأت هذه الآيات يخطر في بالي أنها
 موافقة لأوصاف هؤلاء الجماعة المفسدين الذين يزعمون إصلاح
 الدين، فلما راجعت التفسير المذكور ورأيت قول سلمان المفسر
 تيقنت أنهم هم المرادون، وإن شملت ما قبلهم ممن يدعون الإصلاح
 وهم أهل الفساد.

وكما كان ذلك في وصف المنافقين في عصر سيد العباد ﷺ، وإن
 كنت لا أحكم على هؤلاء بالكفر وإن خالفوا طرق السداد، وهم في
 ضلالهم درجات: الشقي، والقريب منه، والمغفل القريب من السعيد،
 وإن داموا على ما هم عليه في التلاعب بالأحكام وعداوة أئمة الإسلام
 فمأهم من الكافرين ببعيد». ثم قال في رائيته:

وكم من قرون قد توالى ولم يُجَلَّ
 بدعوى اجتهاد مطلق عالمٌ فُكِرَا
 فكيف ادعاه الجاهلون بعصرنا
 فما أقبح الدعوى وما أفضع الأمرا

وأولهم قد كان شيخاً مشرداً به ملك الأفغان أجرى الذي أجرى^(١)

(١) مشرد مطرود، وذلك أن جمال الدين الأفغاني لما أراد الإفساد في الدين في بلاد الأفغان طرده ملكها، وقد كان يزعم أنه من أقربائه، في جهة أخرى، يدعي الشرف وملك الأفغان لا يدعيه، هذا قبل مجيئه إلى الآستانة للمرة الأولى مطروداً من إيران، وهناك أقوال كثيرة في أن جمال الدين إيراني شيعي وليس أفغانياً سنياً، وقد ذهب إلى هذا الشيخ مصطفى عبدالرازق حيث يرى أن جمال الدين وإن كان في الحقيقة فارسياً فقد انتسب إلى الأفغان لأمرين:

(١) أن يكون من السهل عليه الظهور بمظهر السني لا الشيعي.

(٢) أن يستطيع الخلاص من رقابة الحكومة الإيرانية لرعاياها في الخارج، «مجلة العروة الوثقى، المقدمة، مصطفى عبدالرازق» ص (١٨).

وأشار إلى هذا أيضاً: أرنست رينان الذي تحاور مع جمال الدين، فقال: «... إن الشيخ جمال الدين الأفغاني متحرر مما علق بالإسلام من أوهام وخرافات، وهو من العناصر القوية القلب التي تسكن مرتفعات إيران المجاورة لتخوم الهند، حيث تكمن روحه الآرية تحت نقاب ضعيف من الإسلام» (كتاب جمال الدين الأسد أبادي المعروف بالأفغاني. ترجمة الدكتور عبدالنعم حسنين. ص ١٦٦-١٦٧)، وقد تلقى الأفغاني تعليمه في النجف على يد الشيخ مرتضى أثناء زيارته للعبات مع والده سنة ١٢٦٦هـ، وبقي أربع سنوات ثم سافر إلى الهند لاستكمال تعليمه، وكان عمره ست عشرة سنة، ثم وصل إلى بمباي سنة ١٢٧٠هـ (جمال الدين الأسد أبادي، عبدالنعم حسنين. ص ٦٤)، كما أن جمال الدين كان يلبس زي علماء الدين الإيرانيين طيلة وجوده في إيران، وقد نشر الدكتور عبدالنعم حسنين في كتابه الذي ترجمه عن الفارسية، ومؤلفه ابن أخت جمال الدين، وهو ميرزا لطف الله خان، وفيه يوضح أن جمال الدين إيراني شيعي مولود في قرية أسد أباد، وهي معروفة في إيران وليس من قرية أسعد أباد الأفغانية، وفي هذا الكتاب نُشرت صورة لجمال الدين وهو باللباس الإيراني مع لفيف من علماء الشيعة بزيهم المعروف وخلفه ابن أخته مؤلف الكتاب المذكور. (راجع كتاب جمال الدين الأسد أبادي، ص ٧٩).

ويقول الأستاذ عبدالرحمن الرافعي في كتابه عن (جمال الدين الأفغاني ص ١٣٤): «... ثم استدعاه ناصر الدين شاه فارس، فلبى الدعوة وقصد إلى طهران، فاستقبله الشاه بصدر رحب وأثنى على فضله، وجعله مستشاره الخاص في إصلاح شؤون بلاده، فكان له نعم المرشد الأمين وكانت لهجته صريحة كعادته في نصيح الشاه وأشار عليه بتغيير كل شأن معيب في

شؤون الحكومة». وفي ص (١٣٥) يقول: «ولما كان معرض باريس لعام ١٨٨٩ رجع جمال الدين إليها، وفي عودته منها التقى بالشاه في ميونخ عاصمة بافاريا فاعتذر له عما فرط منه - أي شاه إيران - ودعاه إلى صحبته إذ كان يرغب في الانتفاع بعلمه وتجاربه، فأجاب الدعوة وسار معه إلى فارس، وأقام في طهران، فحفه علماء فارس وأمرأؤها وأعيانها بالرعاية والإجلال، واستعان به الشاه على إصلاح أحوال المملكة، وسن لها القوانين الكفيلة بإصلاح شؤونها، فعمل بجد فيما عهد إليه، ووضع دستوراً لفارس، وجعلها ملكية دستورية» فلو كان جمال الدين أفغانياً سنياً لما كانت له هذه الصلة بإيران وشاهها، وكيف يحضر الشاه رجلاً سنياً ليصلح المملكة والقوانين، والمعروف أن هناك عداءً تاريخياً مستحكما، ثم كيف يلتف رجال الدين الإيرانيين حول رجل سني، فتكون كلمته مسموعة وإشارته مطاعة؟! كل هذا يجعلنا نجزم أن جمال الدين كان إيرانياً شيعياً، ويبدو لي من الاهتمام البالغ من جمال الدين بإيران وشؤونها أنه كان يرمي إلى إقامة دولة شيعية كبرى، لذلك ادعى الأفغانية وأنه سني ليكون مسموع الكلمة في تجواله بين المسلمين، لذلك كانت دعوته وأفكاره تغلف بأسلوب فلسفي جدلي، وهو ما تمتاز به كتب الشيعة الدينية، وقد كان الأفغاني يركز على اللامذهبية لتساوى المذاهب جميعها، فينهدم صرح المذهب السني بتساويه مع بقية المذاهب المهجورة، وقد كان يسعى لأن تكون إيران صاحبة السيادة في العالم الإسلامي، فهو يقول: «... إن إيران مركز الإسلام، وإن لها حق السيادة طبعاً، على شرط ألا يحكمها عنصر تركي وأن يكون حكمها بيد أبنائها» (جمال الدين الإيراني ص ١٩٦). ويقول جمال الدين أيضاً: «... وليس يبعد على همم الإيرانيين وعلو أفكارهم أن يكونوا أول القائمين بتجديد الوحدة الإسلامية وتقوية الصلات الإسلامية، كما قاموا في بداية الإسلام بنشر علومه وحفظ أحكامه وكشف أسرارها، وما قصرُوا في خدمة الشرع الشريف بأي وسيلة، ومنهم البخاري ومسلم والنيسابوري والنسائي والترمذي وابن ماجه وأبوداود والبغوي وأبو جعفر البلخي الكليني وغيرهم، ومنمن أنبتهم إيران: أبوبكر الرازي الطبيب الشهير، والإمام الفخر الرازي ممن نشأوا في طهران... إلخ من العلماء، إن أهل فارس كانوا من أول القائمين بخدمة اللسان العربي وضبط أصوله وتأسيس فنونه، ومنهم سيويه وأبو علي الفارسي والرضا، ومنهم عبد القاهر الجرجاني مؤسس علوم البلاغة لبيان إعجاز القرآن وفهم دقائقه على قدر الطاقة البشرية... إلخ من علماء اللغة والتصوف والفقه... فأني فضل كان ولم يكن لهم فيه اليد الطولى، وأي مزية من الله من بها على الإسلام ولم يكونوا

من السابقين لاقتنائها؟! نعم وفيهم جاء قول النبي ﷺ: «لو كان العلم في الثريا لناله رجال فارس» فيا أيها الفارسيون تذكروا أياديكم في العلم، وانظروا إلى آثاركم في الإسلام، وكونوا للوحدة الدينية دعامة كما كنتم للنشأة الإسلامية وقاية، أنتم بما سبق لكم أحق الناس بالسعي في استرجاع ما كان لكم من فتوة الإسلام، أنتم أجدر المسلمين بوضع أساس للوحدة الإسلامية، وما ذلك يبعد على طيب عناصركم وقوة عزائمكم، أظن أنه لا يخفى عليكم أن هذا الوقت هو أحسن الأوقات لندائكم بالوحدة مع الأفغانيين والتحالف معهم على العادين؛ لتكونوا بالاتحاد معهم حصناً حصيناً وحزباً منيعاً تقف دونه أقدام الطامعين» (العروة الوثقى. العدد الصادر يوم الخميس ١٤ أغسطس ١٨٨٤).

وقد ذكر الدكتور عبدالنعم حسنين في مقدمة ترجمته لكتاب ميرزا لطف الله خان عن جمال الدين تسعة شواهد تثبت أن جمال الدين الإيراني شيعي (ص ٩-٢٩)، وقد كانت الصفحة الأولى من الكتاب صورة لجمال الدين مكتوباً تحتها «جمال الدين في زي علماء الشيعة الذي كان يلبسه في إيران» ومن خلال اطلاعي على ما كتب عن جمال الدين اعتقد أن الذين قالوا بأفغانيته اعتمدوا على مصدر واحد، هو الشيخ محمد عبده الذي أخذه من لسان جمال الدين نفسه وليس من مصدر آخر، كما أنني لا أستبعد أن يكون سبب فتور العلاقات بين السلطان عبدالحميد وجمال الدين هو اكتشاف السلطان لهوية الأفغاني الإيرانية الشيعية، خصوصاً بعد مقتل السلطان ناصر الدين شاه إيران الذي كان للأفغاني في قتله اليد الطولى لخلاف سياسي بينهما، حيث أرسل خليفته مظفر الدين شاه عريضة موقعة من أعيان قرية أسد آباد الإيرانية التي ولد فيها الأفغاني بأنه إيراني شيعي، تحريضاً للسلطان عبدالحميد عليه، وفي مجلة «العرفان» كتب السيد صالح الشهرستاني مقالة عن جمال الدين قال فيها: «... وإني وإن كنت واثقاً منذ أن شرعت قبل ما يقرب من (٤٢) سنة في البحث عن تاريخ حياة هذا العالم المصلح اللبق، أي منذ أن نشرت أولى مقالاتي عنه على الصفحات (٥٨، ٢٣٥، ٤٠٤) من المجلد (٢٤) من مجلة «العرفان» الزاهرة المؤرخ في سنة ١٣٥٢ هـ - ١٩٣٣ م نعم تأكدت من مليته الإيرانية وأرومته العلوية نتيجة لتحقيقاتي عنه في العراق وإيران، وفي مختلف الأسفار والمؤلفات التي بحثتها، ولكن خلال هذه السنوات الطويلة تعززت لدي تلك الثقة أكثر وأكثر، وزال عن ذهني بعد ما كان يراودني أحياناً من الشك في إمكان ما يذهب إليه كثير من الكتاب العرب من تبعية جمال الدين الأفغاني، وذلك على إثر زيادة

التحقيق والتتبع والاستزادة مما كتبه الباحثون عنه خلال العقود الأخيرة في القرن العشرين، وخاصة بعد اطلاعي مؤخراً على كتاب طبعته جامعة طهران باللغة الفارسية تحت رقم (٨٤١) وباسم مجموعة (إسناد ومدارك جاب نشده درباره سيد جمال الدين مشهور بأفغاني) أي مجموعة الوثائق والمستندات غير المطبوعة عن السيد جمال الدين المشهور بالأفغاني، لجامعيه الأستاذين: الدكتور أسفر مهدوي وأبر قسار، والمطبوع في مطبعة جامعة طهران سنة ١٣٤٢ هـ مجلة العرفان (٦٥٥) أيار مارس حزينان الموافق ربيع الثاني وجمادى الأولى ١٣٩٤ هـ ص (٥٩٩-٦٠٠)، وقد وجدت في صفحة (٦٠٠) من العدد نفسه صورة للسيد جمال الدين بالملابس الإيرانية الشيعية مع نخبة من العلماء الإيرانيين الشيعة.

ومما يؤيد عندي شيعية جمال الدين الشبهات التي كانت تحرم حول معتقداته وأفكاره التي أراد بها أن يهجن الإسلام، فقبول بالرفض والطرده من علماء الأزهر، خصوصاً الشيخ عlish والشيخ الشرييني والشيخ يوسف الدجوي وغيرهم، وبقي عداًء مستحكماً بين علماء الأزهر وأتباعه، حتى إن جمال الدين نفسه كان يدعو إلى الفرعونية الجاهلية.

يقول الأستاذ سليم العنحوري بعد أن وصف المركز الذي وصل إليه الأفغاني بفضل الماسونية: «إنكم معاشر المصريين قد نشأتم في الاستعباد، وريتم بحجر الاستبداد، وتوالت عليكم قرون منذ زمن الملوك الرعاة، حتى اليوم وأنتم تحملون عبء نير الفاتحين، وتعنون لوطأة الغزاة الظالمين، تسومكم حكوماتهم الحيف والجور، وتنزل بكم الخسف والذل، وأنتم صابرون بل راضون، ویتنزف قوام حياتكم ومواد غذائكم المجموعة بما يتحلب من عرق جباهكم بالقرعة والسوط وأنتم في غفلة معرضون، فلو كان في عروقكم دم في كريات حيوية، وفي رؤوسكم أعصاب تتأثر فتثير النخوة والحمية، لما رضيتم بهذا الذل والمسكنة، ولما صبرتم على هذه الضعة والخمول، ولما قعدتم على الرضاء وأنتم ضاحكون، تناوبتكم أيدي الرعاة ثم اليونان والرومان والفرس ثم العرب والأكراد والمماليك، ثم الفرنسيين والعلوين، وكلهم يشق جلودكم بمبضع نهمه، ويهبط عظامكم بأداة عسفه، وأنتم كالصخرة الملقاة في الفلاة لا حس لكم ولا صوت، انظروا أهرام مصر وهياكل منفيس وأثار طيبة ومشاهد سيوة وحصون دمياط، شاهدة بمنعة آبائكم وعزة أجدادكم.

وتشبهوا بهم إن لم تكونوا مثلهم إن التشبه بالرجال فلاح

(كتاب سحر هاروت، ص ١٨٠-١٨٣)

تسمى جمال الدين مع قبج فعله
يقولون: هذا المصلح الأكبر الذي
مذاهب أهل العلم ممن تقدموا
وأبدع هذا الشيخ للناس مذهباً
غدا كل عبد فيه صاحب مذهب
فقد كان تنوراً لطوفان غيهم
أتى مصرَ مطروداً فعات بقطرها
كما وضعوا لفظ المفازة للصحر^(١)
به صار حكم الدين في عصرنا يُسرا
توافق أحوال الزمان الذي مرا
يوافق في تيسير أحكامه العصر^(٢)
به صار في الأحكام مجتهداً حراً
ولكن محل الماء فار لهم جمر^(٣)
فيا قبحه شيخاً ويا حُسنه قطراً^(٤)

والسؤال هو: هل يصدر مثل هذا الكلام ممن يدعو إلى جامعة إسلامية بنية صادقة؟! وعلى إيرانية جمال الدين يشهد بروكلمان بذلك فيقول: «... ومهما يكن من أمر فقد كان الإسلام ولا يزال هو المهيمن على الحياة الدينية في مصر، وإنما يرجع الفضل في ذلك في المحل الأول لتأثير جمال الدين، وهو فارسي أثر لأغراض سياسية أن ينتسب إلى الأفغان حيث قضى سني شبابه»، (الإسلام في القرن التاسع عشر ١٠٢-١٠٣).
كما كتبت مجلة الإخاء الإيرانية التي تصدر في طهران عدة مواضع كانت تصرح في جميعها بإيرانيته فتقول: «المصلح جمال الدين أسد آبادي المعروف بالأفغاني». (راجع العديدين ٤٥١، ٤٥٤ من المجلة).

- (١) وقد سموا الصحراء مفازة تفاولاً وإلا فهي مهلكة، ومن هذا القبيل تسمية هذا الأفغاني الضال المضل جمال الدين وهو من أقبح المفسدين في الدين.
- (٢) منها تحليله لرأب القبض. راجع «جمال الدين الأفغاني»، عبد الرحمن الرافعي، ص (١٦٥).
- (٣) التنور هو الذي يخبز به، وقد كان ظهور طوفان نوح عليه السلام من التنور، فجمال الدين هذا بمنزلة التنور؛ لضلال هذه الفرقة، ولكنه لم يُقر لهم ماء وإنما فار ناراً.
- (٤) يقول الأستاذ سليم بك العنحوري: «... وبعد أن أقام في الهند ردهاً جاء فروق عاصمة الدولة العلية فاتصل بصدرها «أمين غالي باشا» وحظى لديه، ولما رغب إليه الصدر أن يخطب في دار الشورى، ارتجل خطبه في الصناعات غالي فيها إلى حد أن أدمج النبوة في عداد الصناعات المعنوية، فشغب عليه طلبة العلم، وشدت عليه صحف الوقت، بما ألجا

وكنـت بذاك الحين فيها مجاوراً
بتاريخ ست والثمانين قد تلت
حضرت بـفقه الشافعي خطيبة
وجاء جمال الدين يوماً لدرسه
ففاضت عليه من معارف شيخنا
وإذ شم منه الشيخ ريح ضلاله
وذاكرته يوماً فأخبر أنه
ومن بعد هذا حاز في مصر شهرة
وحين أتاه ذلك الحين عبده
أسر لهم محو المذاهب كلها
بأزهرها صاحبت أنجمه الزهراً^(١)
مع المائتين الألف في الهجرة الغرا
على شيخ شربين فألفيته بحراً^(٢)
فألقي على الأستاذ أسئلة تترى^(٣)
سيولاً أرتـه علمه عنده قطرا
وإلـحاده أولاه مع طرده زجراً^(٤)
كأستاذنا لم يلق في مصره حبرا
وألقي دروساً للفلاسف في مصر
وأمثاله أفضى لهم ذلك السرا
ليرجع هذا الدين في زعمه بكرا

الصدر إلى إبعاده قصد مكة مجاوراً، وجاور هناك عاماً وبعض عام، أخذ في خلالها مبادئ اللسان العربي، ثم جاء مصر». (كتاب سحر هاروت ص ١٧٨).

(١) كنت مجاوراً في مصر في الجامع الأزهر سنة ١٢٨٦ هـ وهي التي حضر فيها جمال الدين الأفغاني إلى مصر.

(٢) شيخ شربين هو شيخنا الإمام العلامة الشيخ عبدالرحمن الشرييني شيخ الجامع الأزهر رحمه الله.

(٣) تترى: متتابعة.

(٤) الإلحاد: الميل والعدول عن الحق. يقول الأستاذ سليم بك العنحوري: «وبرز في علم الأديان حتى أفضى به ذلك إلى الإلحاد والقول بقدميه العالم، زاعماً أن الجراثيم الحيوية المنتشرة في الفضاء هي المكونة بترق وتحويل طبيعيين... وأن القول بوجود محرك أول حكيم وهم نشأ عن ترقى الإنسان في تعظيم المعبود على حسب ترقيه في المعقولات. (كتاب سحر هاروت ص ١٧٦).

فلم يلف منهم غير خل موافق
فساق على الإسلام منهم جحافلاً
أغاروا على الإسلام في كل بلدة
شياطين بين المسلمين فرقوا
قد اختصروا بالجهل دين محمد
لقد زعموا إصلاحه بفسادهم
كفثران قصر أفسدت فيه جهدها
فما بالهم لا يصلحون نفوسهم
وقد جاء في القرآن ذكرُ فسادهم
وفي دره المشور سلمان قائل
وها هم أتونا مثل ما قال ربنا

سميع له قولاً مطيع له أمراً
يرى فرقة سارت فيتبعها أخرى^(١)
فما تركوا نجداً وما تركوا غوراً
ياغوائهم كم أفسدوا جاهلاً غمراً^(٢)
وما تركوا من عشر أحكامه العُشرا
وكم حَمَلوه من ضلالتهم إصراً^(٣)
ترى نفسها قد أصلحت ذلك القصر
أما هي بالإصلاح من غيرها أخرى؟
وزعمهم الإصلاح في السورة الزهرا^(٤)
همُ بعد لم يأتوا فحُسرأ لهم خُسرأ^(٥)
بأوصافهم فاعجب لها آية كبرى

(١) ناقش الشيخ مصطفى صبري الأستاذ محمد فريد وجدي فيما كتبه في مجلة الأزهر من التشكيك في صحة النبوة دون شبهات، وإنما ضرب من ضروب العبقرية، وأن الإله هو الأثير الذي في الجوا راجع: «موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين»، (١٢٤-١١٧/٢).

(٢) الغمر: الجاهل.

(٣) الأصر: الثقل.

(٤) قال الله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ١١﴾^(١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ [البقرة: ١١، ١٢].

(٥) نقل السيوطي في تفسير «الدر المشور» عن سلمان الفارسي رضي الله عنه أنه سئل عن هؤلاء القوم فقال: لم يأتوا بعد.

خوارج لكن شيخهم غير نافع
 بفعل البروستنت اقتدوا باجتهادهم
 أولئك قد ألغوا زوائد دينهم
 قد اجتهدوا في دينهم حينما رأوا
 ومهما يكن عذر لهم في اجتهادهم
 ومع كونهم مثل البرستنت فارقوا
 فقد قلدوا أهل المجامع منهم
 به سنن القوم النصارى تتبعوا
 فله در المصطفى سيد الورى
 أمن بعد قول الله أكملت دينكم
 يقولون لا نرمي كتاباً وسنة
 ولكنه قد كان أزرق مغبراً^(١)
 لقول رسول الله لو دخلوا جحراً
 وقد ضللو في ذلك القس والحبرا
 مجامعهم زادته في نكره نكراً^(٢)
 فمجتهدونا اليوم قد فقدوا العذرا
 أئمتهم كل غدا عالماً حبراً
 مؤتمر للبحث في الدين في مصر^(٣)
 على الإثر لم يعدوا ذراعاً ولا شبراً
 فقد طابقت أخباره كلها الخبراً
 يريدون في الإسلام أن يحدثوا أمراً؟
 وتبع زيداً في الديانة أو عمراً

(١) أي هم مثل الخوارج الذين خرجوا على علي - رضي الله عنه - وغيره من أئمة الإسلام السابقين، غير أن أولئك الخوارج كان من رؤسائهم نافع بن الأزرق، وهؤلاء شيخهم غير نافع، ففي نافع تورية، وكذلك في أزرق، والمراد بالأزرق شديد السمرة مع الغبرة، وهكذا كان لون جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده المصري، يصلح أن يطلق على كل واحد منهما الأسود السالخ، وهو اسم الحية.

(٢) مجامعهم هي أن ملوكهم السابقين كقسطنطين كانوا يجمعون علماء دينهم فينداكرون ويزيدون فيه وينقصون منه على حسب أهوائهم وأغراض ملوكهم.

(٣) وقد تبعوا النصارى أصحاب المجامع بتشكيل جمعية في عهد قريب في مصر، سموها المؤتمر الديني، لبحثوا فيه عما يروونه لتحسين دين الإسلام بزعمهم في الزيادة والنقص، وكان تشكيل هذا المؤتمر سبع وعشرين وثلاثمائة وألف هجرية، وخدعوا شيخ الأزهر الأستاذ العلامة الكبير سليم البشري فجعلوه رئيساً لهم، ولكن الله تعالى لم يجمع قلوبهم على الاجتماع فيه، فلم يجتمعوا.

وخير كلام قد أرادوا به شرا
 لترفع دعوى الاجتهاد لهم قدرا
 كما يدعي الحجام سلطنة كبرى
 بغير كتاب الله والسنة الغرا
 ونرمي بها بحرأ ونرمي بها برا
 بأسفل حوض العلم كدرت المجرى
 فصاروا إباحيين لا نهى لا أمرا
 إذا أطلقت من دون قيد إلى الصحرا
 على حالها ما جاوزت مثلهم طورا
 جواداً وتيساً صارع الليث والنمرا
 حدوداً وأطواراً لما جاوزوا القعرا
 رجال وما زادوا على أحد ظفرا
 وما لبغاث الطير أن يشبه النمرا
 على صورة كالترب قد أشبه التبرا
 بها لرأوها بين أهل النهى ذرا^(١)
 ولم يبقا فينا لغيرهما فقرا
 لجزء حديث قل أو سورة تقرا
 فلا فاهم معنى ولا عالم سرا

وذلك حق قصدهم فيه باطل
 أرادوا به من جهلهم بنفوسهم
 فصارت جميع الناس ساخرة بهم
 وما أخذت كل المذاهب عندنا
 فكل دعاوى الاجتهاد نردها
 وما يدعيه اليوم غير حثالة
 قد اجتهدوا أن لا تكاليف عندهم
 فيفعل في الأحكام فعل دوابه
 وقد جاوزوا أطوارهم ودوابهم
 فما قط شاهدنا حماراً مسابقاً
 وهم لو تعدوا ألف طور ومثلها
 يقولون إنا كالأئمة كلنا
 وقد أخطأوا أين الثريا من الثرى؟
 نعم مثلهم وزناً بوزن وصورة
 ولو ثم مرآة يرون نفوسهم
 يقولون أغنانا كتاب وسنة
 وفي الألف منهم ليس يوجد حافظ
 وما قرؤوه منهما عن جهالة

تراهم إباحيين أو هم نظيرهم
وكل امرئ لا يستحي في جداله
فمن قال صلوا قال قائلهم له
وإن قيل لا تشرب يقول شربتها
فيجهر كل بالمعاصي مجادلاً
وفي الألف منهم واحد ربما أتى
وأخبرني من لا أشك بصدقه
ولازمه حتى أتى بعد مسجداً
وآخر منهم قد أقام صلاته
على وجه كل من ظلام علامة
بهم غربة الدين استبانة بعصرنا
يقولون عصر النور فيه تنوروا
وقد حلقت إيمانهم من قلوبهم
معادن سوء يتقي المرء شرهم
ويجلب مغناطيس إلحادهم لهم

إذا كنت عن أسرارهم تكشف السترا
من الكذب والتلفيق مهما أتى نكرا
يجوز لنا في البيت نجمها قصرا
بقصد الشفا أو قال ليس اسمها خمرا^(١)
بما نفث الشيطان في قلبه سرا
مساجدنا لكن إذا كان مضطرا
بأن قد رأى من بال منهم بلا استبرا
فصلى ولم يحدث من الحدث الطهرا
بدون اغتسال مع جنابته الكبرى
به عرفت من لم يكن يعرف الأمرا؟
فيا قبحهم قوماً ويا قبحه عصرا
ولكنه من نورة تحلق الشعرا^(٢)
فما تركت من نور إيمانهم أثرا
يجاملهم جهراً ويلعنهم سرا
من الناس لعنات وإن لعنوا الغيرا^(٣)

(١) يقول الأستاذ سليم بك العنحوري عن عادات الأفغاني في طعامه وشرابه: «... وإذا تعاطى مسكراً فقليلاً من الكونياك!!» (كتاب سحر هاروت، ص ١٨٥).

(٢) قال في المصباح: النورة بضم النون حجر الكلس، ثم غلبت على أخلاط تضاف إلى الكلس من زرنخ وغيره، تُستعمل لإزالة الشعر، وتنور اطلَى بالنورة.

(٣) ناقش الشيخ مصطفى صبري ما نشره الأستاذ محمد فريد وجدي في الأهرام من أن نوابغ الكُتَّاب والشعراء في البلاد الإسلامية يستبطنون الإلحاد، ويهتئون الأذهان لقبوله دُسا في

ذئاب على الإسلام صالوا وما اكتفوا
 مقاريض أعراض بالسنة لهم
 وإني وإن أحكم لظاهر حالهم
 ففي وجه كلٍ قد بدا من ظلامه
 ولم أجمع والله منهم بواحد
 ولم أستمع دعواه إلا مقتنه
 وأعداؤهم من بيننا كلُّ عالم
 وإن كان مشهور الولاية ضمنت
 على ديننا ساقوا كتائب كتبهم
 فيا أمة الإسلام يا خير أمة
 ألا فاحذروا الأسد الضواري مرة
 مجاذيم من داء الضلالة كلهم
 تجارت بهم أهواؤهم كالذي جرى
 وهم كل يوم في ازدياد كأنهم
 كأسنان مشط كلهم في ضلالهم
 ولا تائب منهم وهل ثمَّ توبة
 أجاهدهم مادمت حيًّا فإن أمت
 ولستُ أبالي أن أفز بجهادهم

بأنبيائهم حتى به أنشبوا الظفرا
 حدادٍ بها قد أشبهوا الجرذ والفأرا
 بإسلامهم بالقول لا أكفل السُّرا
 دخانٌ يرينا أن في قلبه جمرا
 وذاكرته إلا وددت له القبرا
 وإلا قرأت الحق في وجهه سطرًا
 ولا سيما إن كان في فقهه بحرا
 جوانحهم من بغضة الحصة الكبرى
 وفي حربه جاءت جرائدهم تترى
 بسيل الهدى تقفوا أئمتنا الغرا
 ومن هؤلاء المارقين احذروا عشرا
 فما أحدٌ من دائه أبداً يبرا
 به كَلْبٌ يعدي إذا نهش الغيرا
 أبالسة بالحك قد ولدت أخرى
 فلا أحد يبدي على أحد فخرا
 وهم لا يرون الوزر في نفسه وزرا
 تركت لهم جيشين نظمي والنثرا
 إذا فاتني فتحٌ لرومية الكبرى

ثم قال النبهاني:

«القسم الثالث في وصف شيخهم الثاني: الشيخ محمد عبده تلميذ الأفغاني، وقد سبق شيخه في طاعة الشيطان وتأييد هذا الشأن، فصار عندهم هو الأول وعليه في بدعهم المَعُول».

لهم شيخ سوء من بني القبط أصله	بسجنته الشوهاء نسبته تقرا
على قلبه ساد الهوى فهو عبده	وقد سكن الشيطان من رأسه وكرا
أبو مرة في مصر أحرز إمرة	فصير عيش المسلمين بها مُرا ^(١)
أبوجهل هذا العصر قد صار مفتياً	بمصر فأحيا الجاهلية في مصر
جريء على الفتوى بحق وباطل	بحكم الهوى والجهل ما شاء أجرى
وليس بعلم الفقه يلحق مُحضراً	وإن راح يعدو خلفه أبداً حَضراً ^(٢)
ومع جهله في ديننا وعلومه	يرى نفسه أعلى أئمة قدرا
فنون جنون الجاهلين كثيرة	وأقبحها قرء يرى نفسه بدرا
لسان له كالثور لف نباته	ولكنه بالجهل قد غلب الثورا
فلم نر ثوراً زاحم الأسد قبله	ولا حداة من قبله زاحمت نسرا
تولع بالدنيا وصير دينه	إليها على ما فيه من خفة جسرا
يميناً إذا كانت يميناً وإن تكن	يساراً سعى يعدو إليها من اليسرى
فمن جهة يُدعى الإمام ويُقتدي	بأعمال أهل الكفر من جهةٍ أخرى ^(٣)

(١) أبو مره كنية إبليس، والإمرة هنا الإفتاء.

(٢) المحضر هو خادم القضاة الذي يرسلونه لطلب الخصوم، والحضر هو شدة العدو.

(٣) ناقش الشيخ مصطفى صبري سبب اشتهاار الشيخ محمد عبده فقال: «... وفي الحقيقة ماذا

يذمُّ خيارَ المسلمين وعندما يرى حاجةً للكفر يستحسن الكفرا
لكيما يقال الشيخُ حرٌّ ضميرُهُ فيبلغُ عند القوم مرتبةً كبرى^(١)
أتى لبلاد الشام أيام نفيه فأثبتَ فيها من ضلالتِه بذرا^(٢)

يمكن أن يكون سبب اشتهار الشيخ من بين علماء مصر، واستحقاقه لدوام الصحف والمجلات في الإشادة باسمه، هل هو عدم سلوكه الطريقة العلمية كغيره في الدفاع عن الدين، وعدم نجاحه فيه لهذا السبب، كما ذكره هيكل باشا، أو كونه متهماً في دينه، والأول غير معقول جداً أن يكون سبباً لاشتهار أحد من العلماء وامتيازه على غيره، فتعين الثاني. ولا تقل غير معقول أيضاً أن يكون اتهام الرجل في دينه مزية له ومنقبة أدت إلى ارتفاع درجته عند الناس، إذ لا تستبعد كونها مزية له عند الذين يعدون هذه التهمة حرية، وهم المتغلبون في زماننا، وقد قال فضيلة الأستاذ المراغي شيخ الأزهر في خطبة ألقاها بمناسبة الاحتفال بذكرى الشيخ محمد عبده يوم ١١ يونيه ١٩٤١ نقلاً عن الإمام الغزالي: «استصغر كل من بالكفر لا يعرف وبالضلال لا يوصف». وكان هذا القول من الشيخ الخطيب بعد كلام عن الاتهام المعروف الموجه نحو الشيخ المحتفل بذكره. (موقف العقل والعلم (١٣٩/١).

(١) راجع التاريخ السري لاحتلال إنجلترا لمصر، ألفريد بلنت، ص (٨١).

(٢) كانت الحكومة المصرية قد نفت الشيخ محمد عبده من القطر المصري، فجاء إلى بلاد الشام وأقام فيها عدة سنوات، تمكن في أثنائها من بذر ضلاله في نفوس الجهال من أبناء المدارس وطلبة العلم، وكان ينتقل من بلد إلى بلد، فآثر تأثيراً سيئاً، وكان قد نفي من علماء مصر العاملين وصلحائها الكاملين الشيخ محمد عبد الجواد وأخوه الشيخ أحمد، فسكنوا في بيروت كالشيخ محمد عبده، فأقبل على هذين الأخوين الصالحين جمهور المسلمين إقبالاً عظيماً ونفروا من الشيخ محمد عبده نفوراً كبيراً، وكان معروفاً عندهم بعدم التقوى، فلا يزالون يعترضون على أفعاله وأحواله المخالفة للدين... ومع ذلك أقبل عليه فساق المسلمين ومراقهم، وغير المسلمين من الدروز والنصارى والمبتدعين، فصار يحبهم ويحبونه، وهكذا أصحابه في مصر، لم نسمع برجل صالح وقعت بينه وبينه أدنى محبة، وقد أجمع كل الناس على اختلاف الملل والنحل أنه وشيخه الأفغاني وجميع تلاميذه ومحبيه لم

بها باض بيضاً كان إبليس حاضناً
وعاد إلى مصر فأحدث مذهباً
وأيد أعداء البلاد بسعيه
يُحسن بين الناس قبج فعالهم
له فسعت أفرأخه تتبع الإثرا
ولوث من أقذاره ذلك القطرا^(١)
وأوهم أهل الجهل أن بهم خيرا
ومهما أساءوا راح يلتمس العذرا
لأعدائها نصحاً علا عندهم قدرا^(٢)

يكن أحد منهم من صلحاء المسلمين، بمعنى الصلاح المعروف في دين الإسلام من العمل بالفرائض والمندوبات وترك المحرمات والمكروهات، وهو وهم جميعاً لا يعدون الصلاح في العالم وغيره منقبة، بل بالعكس، ينسبون الصلحاء إلى الغفلة وقلة العقل ولا يرون لهم أدنى مزية، ولذلك ترى جماعته يبالغون في الثناء عليه ويجعلونه فريد العصر، مع مشاهدتهم تركه الصلاة والصوم والحج وغير ذلك من فرائض الإسلام، مع شربه الخمر ومعاشرته لنساء النصارى وغير ذلك من المحرمات، وقد تمكن بدعائه وقوة شيطانه أن يرسخ في أذهانهم استحسان الفسوق والمروق من الدين واستقباح الصلاح واتباع سبيل المؤمنين، ولذلك لا تجد أحداً منهم ملازماً للصلوات مثابراً على الطاعات تاركاً لأنواع الفسوق والمحرمات، فهؤلاء هم الذين يدعون الاجتهاد!! ومن لا يدعيه من المسلمين معدود عندهم من المغفلين الأوغاد، ولا يعجبهم إلا أمثالهم أهل الزيغ والفساد، والتاركون لشرائع الإسلام المجاهرون بالفسق والزندقة والإلحاد، ومع كل هذا يعتقدون في أنفسهم أنهم على الحق وجميع الأمة من أهل المذاهب الأربعة على الباطل، فالحمد لله الذي عافانا مما ابتلى به هؤلاء اللثام الذين كاد بهم الشيطان في هذا الزمان المسلمين والإسلام.

(١) أحدث: أوجد، وفيه تورية بأحدث من الحدث بمعنى نقض الطهارة بنحو بول أو غائط.

(٢) قال صاحب الأعلام الشرقية: ولما صدر العفو عن المترجم وعاد إلى مصر قال اللورد كرومر في كتابه «مصر الحديثة»: «إن العفو صدر عن الشيخ محمد عبده بسبب الضغط البريطاني وكان أهم غرض له من الإصلاح إصلاح العقيدة والمؤسسات الإسلامية» (ص ٦٨)، أما السيد رشيد رضا فيرجع الفضل في العفو عن الشيخ محمد عبده من منفاه إلى أحمد مختار باشا ولا ينكر وساطة كرومر أيضاً. (تاريخ الأستاذ الإمام ١/ ٨٩٤-٨٩٥).

ولكنه قد شارك القوم في الأخرى
 وبرستت صاروا مثلهم فرقة أخرى^(١)
 بها حاز فيمن شاء النفع والضرا
 بنارٍ فسادٍ منه قد قذفت جمرًا
 طغامٌ من الجهال أكسبهم خُسرًا^(٢)
 بأزهرها المعمور دين أبي الزهرا
 كما خبطت عشواء في الليلة القمرًا^(٣)
 فإما يرى فسقاً وإما يرى كفرا
 وبالرد والإعراض تفسيره أخرى
 بها يجد المراق إن عُذِلوا عُذرا
 تشاهد في مرآة ملتنا الغرّا
 ولم يقتنع منهم بدنيا استفادها
 وأحدث بين المسلمين نظيرهم
 ونال بجاه القوم في الناس رتبةً
 فأصلى رجال العلم من كل مذهبٍ
 فمن رهبة أو رغبة كم سعى له
 وألقى لهم درساً يخالف حكمه
 وقد ضلّ في القرآن مع عظم نوره
 فتفسيره من رأيه ليس خالياً
 أحذر كل الناس من كُتب دينه
 وساوس أوحثها إليه أباليس جنةً
 عقيدته من قبحها مثل وجهه

(١) يقول الإنجليزي بلنت: «... وبينت أصل الإسلام ومفاخره وتدهوره الظاهري بالتدهور الذي خيل للناس أنه استولى على المسيحية منذ أربعمئة سنة، والذي قد تلافاه الإسلام كما تلافته المسيحية في الإصلاح الديني وتحرير أفكارها من قيود التقاليد الضيقة التي أوقفت تطورها وعرقلت تقدمها، وقد شرحت الآراء كما تعلمتها من الشيخ محمد عبده أستاذ المدرسة الجديدة الحرة، وتوسلت إلى مواطني بكل ما فيهم من خير أن يعطفوا على آمال أحرار المسلمين ويؤيدوهم ضد الرجعيين، ذوي المكائد والتعصب الأعمى، والذين يلجأون في آخر الأمر إلى حل مشكلاتهم بحد السيف». (التاريخ السري لمصر، ص ٩٢).

(٢) الطغام: أوغاد الناس وأدنياؤهم، الواحد والجمع فيه سواء.

(٣) ذكر الشيخ مصطفى صبري قولاً لمحمد عبده وهو: «أن وجود شيء في القرآن لا يقتضي صحته»! راجع كتاب (موقف العقل والعلم والدين من رب العالمين وعباده المرسلين، ص ٣٤٧-٣٤٨).

وأقواله مثلُ السَّرابِ بقيعة
به برزت حسناء في شرٍّ مَنبت
يعاشر نسوان النصارى ولا يرى
ويأكل معهم كلَّ ما يأكلونه
ويفتي بحلِّ المسكرات جميعها
ويأكل مخنوقاً ويفتي بحلِّه
وتحليله لبسَ البرانيط والربا
بظاھرھا قد تخدع الجاهل الغرا^(١)
كما نبتت في الدَّمنة البقلةُ الخضرا
بذلك من بأسٍ وإن كشفوا السترا^(٢)
ويشربها حمراء إن شاء أو صفرا
إذا هي بالأسماء خالفتِ الخمر
لثلا يقولوا: إنه ارتكب الوزرا
به بعض أهل العلم قد ألحق الكفرا^(٣)

(١) القبيعة: هي القاع، وهو المستوي من الأرض.

(٢) الذي أعلمه من حال الشيخ محمد عبده وكل من عرفه يعلمه كذلك أنه حين كان في بيروت منفياً كان كثير المخالطة للنصارى والزيارة لهم في بيوتهم، والاختلاط مع نسائهم بدون تستر، وهذا مما يعلمه كل من عرف حاله في هذه البلاد، فضلاً عن أسفاره المشهورة إلى بلاد أوربية، واختلاطه بنساء الإفرنج، وارتكابه المنكرات من شرب الخمر وأكل المنخفة وترك الصلوات، ولم يدع هو نفسه الصلاح ولا توهمه فيه، فكيف يكون قدوة في دين الإسلام؟! نعم هو إمام للفساق والمراق مثله، ولذلك تراهم على شاكلته لا حج ولا صوم ولا صلاة ولا غيرها من شرائع الإسلام.

(٣) «طلب العلامة الشبراملسي مراراً مناظرة الشيخ ونشرها على صفحات الجرائد في المسائل الثلاث التي أباحها الشيخ: الحل للميتة: ولبس البرنيطة: والربا القانوني، فلم يستطع أن يقابله، وهذه سنة كل من يريد الظهور وهو خلو مما يريد الظهور به» (راجع المسائل الكافية، محمد بن يوسف الكافي ص ١٢٣)، وراجع تاريخ الأستاذ الإمام (١/١٤٦-١٤٧)، حيث أكد السيد رشيد محاربة الإمام للثورة العربية في كل مجال، خصوصاً في القسم الأدبي من الوقائع المصرية التي رأس تحريرها، وفي ص (١٤٩) يقول رشيد رضا: «... وقد قال الإمام لعرايي مراراً كثيرة: عليك بالهدوء والسكينة وأنا أضمن لك أكثر مما تطلب في بضع سنين، ونهاه بعد ذلك عن محاربة الإنجليز». وفي الصفحة نفسها يقول: «انتهت الثورة العربية بالاحتلال الانجليزي، وقبض على زعمائها وألقوا في غيابة السجن ليحاكموا فيقتلوا تقتيلاً،

وجعل الفقيد منهم لأمر ما، (ليت السيد رشيد رضا وضح لنا العبارة الأخيرة)، ولعل فيها حدث للأستاذ الإمام بعد النفي ما يلقي الضوء على الموضوع، إذ أنه أول من عاد من جميع المنفيين، حيث توسطت له الأميرة نازلي حليم لدى اللورد كرومر، الذي بمساعدته عين في منصب مفتي القطر المصري، وزادت صلاته بالإنجليز وثوقاً، يقول الأستاذ أحمد أمين: «انكشف الغطاء وظهر العداء ودبرت المؤامرات ودست الدسائس، وكلما أمعن الخديوي في ذلك اضطر الشيخ محمد عبده إلى كثرة الاتصال بالإنجليز، وكلما اتصل زاد غضب الخديوي، حتى لقد هم الخديوي بعزله عن الإفتاء، فصرح اللورد كرومر: إنه لا يوافق على عزله من منصب الإفتاء مهما كانت الأحوال مادام موجوداً»، (زعماء الإصلاح في العصر الحديث، ص ٣٢٠).

ويقول الدكتور فيليب حتى: «... وكان الجو الفكري في مصر في آخر القرن التاسع عشر قد أصبح ملائماً لاستقبال الأفكار الجديدة وإنمائها، وذلك بتأثير الكتابات والخطب التي كان يذيعها المصلح الحر الشيخ محمد عبده، وكان قد بلغ أعلى مركز ديني في البلاد - مركز مفتي الديار المصرية - وكان محمد عبده قد تتلمذ على جمال الدين الأفغاني، وكان محمد عبده لا يرى أي تناقض أساسي بين الإسلام والعلم الحديث، ولقد فسر بعض الآيات القرآنية تفسيراً عقلياً، وأوضح قصور الطريقة المدرسية الإسلامية، وبينما كان جمال يقول بالثورة السياسية لتحقيق الإصلاح المنشود، كان محمد عبده يرى أن اليقظة الدينية هي التي تحققه، وقد ساهم كلاهما أكثر من أي كاتب عصري في تمزيق ثوب المحافظة والرجعية الذي التف به الإسلام منذ العصور الوسطى... وهو أول من هجم بعنف على تعدد الزوجات والطلاق والحجاب». (تاريخ العرب مطول د. فيليب حتى ص ٨٨٨)، وترجم له صاحب الأعلام الشرقية فقال: «وفي الفتاوى والمسائل العلمية المهمة كان ينكر الوسيلة ويحلل الموقوفة ويُسَوِّغ لبس القبعة ويجيز ربح صناديق التوفير ويحاول الاجتهاد، ويفسر القرآن على غير طريق السلف، وبسبب هذه الفتاوى رد عليه كثير من مشاهير العلماء في مصر». (راجع الأعلام الشرقية، ص ٦٩). كما حامت شبهات أخرى حول الشيخ محمد عبده، يقول الأستاذ عثمان أمين: «... فلا عجب أن نراه في بيروت يسعى إلى توكيد روابط الود بين أهل الأديان الثلاثة السائدة في الشرق العربي، وقد حانت الفرصة لذلك حين جاء إلى سوريا (مرزا باقر) الفارسي الذي كان قد عرفه الشيخ محمد عبده في باريس أثناء الاشتغال بتحرير العروة

وكم زار باريزاً ولندرةً ولم
وإن كان يوماً للرياء مصلياً
فمن قال كالكلب العقور فصادقٌ
وقد كنتُ في لبنان يوماً صحبته
وصليتُ فرضَ الظهر والعصر بعده
لديه وما صلى هو الظهر العصر
يزر مكةً يوماً ولا طيبة الغرا
يُرى فاعلاً يوماً وتاركها شهراً
سوى أنه في الدين قد فَعَلَ العقراً^(١)
لقرب غروب الشمس في ضحوة كبرى^(٢)

الوثقى. واتصل محمد عبده في بيروت ببعض الشخصيات المعروفة بالاهتمام بالشؤون العامة. وألف هو ومرزا باقر جمعية سرية سياسية دينية، غرضها التأليف بين الإسلام والمسيحية واليهودية، والعمل على إقامة الوثام بين أهل هذه الأديان، والتعاون على إزالة ضغط الغرب على الشرق، وانضم إلى تلك الجمعية «مؤيد الملك» أحد وزراء إيران، و«حسن خان» مشاعر السفارة الإيرانية في الأستانة، كما انضم إليها بعض الإنجليز واليهود! (محمد عبده للأستاذ عثمان أمين ص ١٠٣-١٠٤).

ومن هذه الشبهات ما ذكره الأستاذ عثمان أمين حيث يقول: «وكان طبيعياً - وقد اتصل المجاور الأزهرى بتلك الشخصية القوية الجذابة - أي الأميرة نازلي - أن يُفتن بها وأن ينساق إلى الطريق التي رسمتها له، فلا بدع إذن أن نرى اللاهوتي الشاب الذي كان يناصر في العقيدة المحمدية آراء السنين والأشاعرة - وهم يمثلون حزب المحافظين في الإسلام - لا يتردد الآن في التحول عن تلك الطريق، وإذا به في «الحاشية على شرح العقائد العُصدية» ينقلب مناصراً للمعتزلة والعقليين وجميع النظار من الأحرار والمتسامحين». (المرجع السابق ص ٢٥).

(١) عقره: جرحه.

(٢) قد دعاني رجل من أهل جبل لبنان سنة خمس وثلاثمائة وألف هجرية إلى بيته، فتوجهت معه، فوجدت هناك الشيخ محمد عبده، فتصاحبنا من الصباح إلى المساء لم أفارقه نهائياً كاملاً، فصليت الظهر والعصر وهو لم يصل ظهراً ولا عصرأ، ولم يكن به علة ولا عذر إلا خوفه من أنه إذا صلى بحضوري يقول أولئك الحاضرون الذين كان لا يصلي أمامهم أنه مرء في هذه الصلاة لأجلي، فغلب عليه شيطانه، وأصر على عدم الصلاة، وإلا فقد بلغني عنه أنه كان يصلي تارة ويترك تارة، والترك أكثر.

وكان صحيحَ الجسم لا عذر عنده بلى إن ضعفَ الدين كان له عذرا
ومع كل هذا فهو أستاذُ عصره فأفٍ له شيخاً وأفٍ له عصر^(١)
وقبل غروب الشمس صاحبُ شيخه لقرب العشا أيام جاورتُ في مصر^(٢)
حكى الحسن بن الأسطواني وهو من بدور الهدى في الشام أكرم به بدر^(٣)
حكى أنه من بعد ما مات عبده رأى عينه في النوم مطموسةً عورا

(١) قال الشيخ مصطفى صبري: «... وكان من مضار الشيخ - محمد عبده - بالإسلام وعلمائه، أن الناشئين بعده من حملة الأفلام بمصر، المنحرفين عن الثقافة الإسلامية لما أكبروا الشيخ وآراءه الشاذة - التي انتقدتها في هذا الكتاب - وأوجدوا له من السمعة العلمية السامية ما لا يزال طنينه في أذن الشرق الإسلامي - ولا شك في تأييد القوة الماسونية له - كان ذلك حثاً للذين يحبون الشهرة والظهور من شباب العلماء وكهولهم على نيل ما أرادوه بوساطة الشذوذ في الرأي، والتزلف إلى الكتاب المتفرنجين، بل الانتهاء إلى الماسونية». (موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين وعباده المرسلين مصطفى صبري ١/ ١٣٤).

ويقول أيضاً: «... أما النهضة الإصلاحية المنسوبة إلى الشيخ محمد عبده، فإنه زعزع الأزهر عن جموده على الدين فقرب كثيراً من الأزهرين إلى اللادينيين خطوات، ولم يقرب اللادينيين إلى الدين خطوة واحدة، وهو الذي أدخل الماسونية في الأزهر بوساطة شيخه جمال الدين الأفغاني». (المرجع السابق ١/ ١٣٣).

(٢) اجتمعت في مصر سنة سبع وثمانين ومائتين وألف هجرية بالشيخ جمال الدين الأفغاني وأنا مجاور، ولازمته من قبل الغروب إلى قرب العشاء، فلم يصل المغرب، وتحققت أنه كان تارك صلاة، ويصلي في بعض الأحيان، والغالب عليه الترك، كتلميذه الشيخ محمد عبده وفرقة، كلهم تاركون الصلاة، ولا أظن أنه يوجد منهم واحد مداوم على صلاته، وقليل منهم يصلي تارة ويتركها تارة أخرى.

(٣) أخبرني الشيخ حسن أفندي الأسطواني خطيب الجامع الأموي في دمشق الشام، وهو من المداومين على حج بيت الله الحرام في كل عام، بأنه رأى في منامه الشيخ محمد عبده بعد وفاته أعور العين، ففسرت رؤياه بأن ذلك لكونه من أعظم الممهدين في هذا العصر للأعور الدجال.

فأولت أن الشيخ دجالٌ عصره وما زال دجالاً وإن سكن القبرا
فقد مات لكن أحييت الدَّجْلُ كتبه ووَرثَ كلاً من تلاميذه قدرا
وهم كلهم والشيخ أيضاً وشيخه إلى الأعور الدجال نسبتهم تُدرى
ولولا حديث المصطفى لأسامه يقول به: هلا شققت له الصدرا
لما صحت الدعوى بإسلام بعضهم لدي وما استبعدت عن بعضهم كفرا
وكنْتُ كتبت الكاف والفاء بعدها على جهات القوم كي يُعرفوا والرا
كما جاء في الدجال يَكتب لفظها فيقرأ من يقرأ ومن لم يكن يقرأ
فقد أشبهوه في معانٍ كثيرة من الدَّجْلُ والإلحاد والبدع الأخرى
وما الفرق إلا أنهم في قلوبهم عماهم ودجالُ الورى عينه عورا
تقدم فيها نائباً عنه عبده فأغوى الذي أغوى وأغرى الذي أغرى
فويلٌ له ويلٌ لمن يتبعونه ومَن كان من أعدائهم فله الشرى
انتهى نقل المقصود من رائية النبهاني^(١).

وقال النبهاني في كتابه «البشائر الإيمانية»: «لما اجتمعت بالشيخ رشيد رضا^(٢)، ذاكرته بشأن شيخه الشيخ محمد عبده، فقلت له في شأنه: إنكم تتخذونه قدوة في دينكم، وتدعون الناس إلى ذلك، وهذا غير صواب، فإنه

(١) ديوان النبهاني، ص (٣٦٥-٣٧٤).

(٢) اجتمع به في سنة ١٣٢٦ هـ (وهي توافق ١٩٠٨ م) كما جاء في قصيدته (الرائية الصغرى) حيث قال:

ومن نحو عام جاءني فنصحتهم كما تنصح الثعبان أو تنصح الفأرا
وذاكرته في شيخه وهو عبده تملكه الشيطان عن قومه قسراً
وقد جاء في ص (٤٠٠) من كتابه (العقود اللؤلؤية) أنه أنشأ هذه الرائية سنة ١٣٢٧ هـ.

لم يكن محافظاً على الفرائض الدينية، فلا يصح أن يكون قدوة في الدين. فمن المعلوم المسلم أنه كان يترك كثيراً من الصلوات بلا عذر، وأنا نفسي رافقته من وقت الضحى إلى قبيل المغرب عند رجل كان دعانا في جبل لبنان، فلم يُصلِّ الظهر ولا العصر، ولم يكن له عذر، بل كان بكمال الصحة، ورآني صليت الظهر والعصر ولم يصلِّهما، فسلم الشيخ رشيد رضا تركه لبعض الصلوات، وقال في الجواب عنه: لعل مذهبه يجوز الجمع في الحضر! فتعجبت من هذا الجواب؛ لأن الجمع إنما يجوز في السفر والمطر والمرض عند بعض الأئمة بين الظهر والعصر، وبين المغرب والعشاء، كما صح عنه عليه السلام ذلك، ولم يقل أحد إن الظهر والعصر يجمعان مع المغرب والعشاء حتى نحتمل صحة هذا الجواب ولو جَدَلًا.

قلت له: وأيضاً كان تاركاً للحج إلى بيت الله الحرام مع الاستطاعة. وبذلك الاستطاعة التي كان مالكا لها من القوة الجسمية والمالية كان يحج باريس ولندرة وغيرهما من بلاد أوروبا وغيرها مراراً كثيرة، ولم يخطر له أن يكون سفره مرة واحدة للحج، مع قرب الديار، فلا شك أنه آثم بذلك أشد الإثم، وتارك لركن من أركان الإسلام.

ثم قلت له: ومما لا يختلف فيه أحد أنه كان هو وشيخه الشيخ جمال الدين الأفغاني داخلين في الجمعية المسونية، وهي لا تجتمع مع الدين بوجه من الوجوه، بل هي ترفض الأديان كلها، وهي ضد السلطات كلها، الدينية وغيرها، فكيف يمكن أن يكون قدوة في دين الإسلام مع كونه ماسونياً، وكذلك شيخه. فقال الشيخ رشيد: نعم، هما داخلان في الماسونية، ولكن أنا لم أدخل فيها.

قلت له: فلو قلت: إن الشيخ محمد عبده هو فيلسوف الإسلام، بمنزلة ابن سينا والفارابي، لسلمنا لكم ذلك، وإن كان خلاف الحقيقة، لأنه لا ضرر فيه علينا، ولا على ديننا، وأما أن يكون من أفسق الفساق بتركه أركان الإسلام، ومع ذلك تقولون عنه: إنه في دين الإسلام إمام، فهذا شيء منكر لا يقبله أحد من ذوي الأحلام. فقال الشيخ رشيد: نحن لا نعتبره مثل ابن سينا، ولكن نعتبره مثل الإمام الغزالي. فانظر رحمك الله لهذا الضلال وهذه المكابرة، فإنه يسلم أنه كان تاركاً للصلاة والحج وأنه كان ماسونياً، ويقول: إنه مثل الغزالي. وفي الحقيقة، كل واحد من هذه الفرق الضالة يعتقد نفسه أجلاً من الغزالي، لأنهم يدعون الاجتهاد المطلق، صغيرهم وكبيرهم، والإمام الغزالي لم يدع الاجتهاد المطلق، بل صرح في (الإحياء) بعدم وجود المجتهد المطلق في عصره بقوله، كما هو في حكم جميع أهل العصر، وكذلك الفخر الرازي صرح بذلك، وغيرهما من الأعلام. وهؤلاء الجهال كل واحد منهم يعد نفسه بمنزلة الأئمة الأربعة رضي الله عنهم. وقد رسخ هذا الضلال في نفوسهم الخبيثة، فليس للموعظة فيهم أدنى تأثير، وهم يجتهدون في أن تكون الناس على شاكلتهم ضالين مضلين، ومع هذا الفساد العظيم يزعمون أنهم هم مُصلحون لهذا الدين المبين! ولا شك أنهم من جملة الذين شملهم قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ (١١) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿ [البقرة: ١١، ١٢] » (١).

المسائل التي انتقدها النبهاني على دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

- رحمه الله - مع ردها :

بالتأمل في القسم الخامس من رائية النبهاني، المخصّص لنقد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب السلفية، نجد أنه لا مهم وذمهم بسبب ست مسائل:

المسألة الأولى: أن بلادهم هي بلاد «جدهم» مسيلمة الكذاب! وذلك بقوله:

مسيلمة الجدد الكبير وعرسه سجاح ولكل منهم الجدة الكبرى
والجواب: أن النبهاني لم يأت بجديد في هذه التهمة الساذجة! فقد ردها قبله المناوئون لدعوة الشيخ محمد - رحمه الله - بعد أن أعيتهم الحجة^(١). وإلا فما علاقة مسيلمة بدعوة الشيخ؟! وهل يُذم المسلم بسبب وجوده في أرض كان فيها كفار أو مشركون أو مرتدون؟! إذاً فليذم النبهاني جميع بلاد المسلمين، حتى مكة!

وما أحسن ما قاله الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن - رحمه الله - في رده على واحد من أمثال النبهاني أورد هذه التهمة الساذجة، فقال له الشيخ:

«ومن عاب الساكن بالسكنى والإقامة في مثل تلك البلاد، فقد عاب جمهور الأمة، وسبّهم، وآذاهم بغير ما اكتسبوا، وقد داوّل الله الأيام بين البقاع والبلاد، كما داوّلها بين الناس والعباد.

قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

وكم من بلد قد فُتحت، وصارت من خير بلاد المسلمين، بعد أن

(١) انظر: «دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب» للدكتور عبدالعزيز آل عبداللطيف، (ص ١٧٨-١٩٢).

كانت في أيدي الفراعنة والمشركين، والفلاسفة والصابئين، والكفرة من المجوس والكتابين؛ بل الخبرة التي كانت بها قبور المشركين صارت مسجداً هو أفضل مساجد المسلمين بعد المسجد الحرام؛ ودفن بها أفضل المرسلين وسادات المؤمنين.

ولا يعيب شيخنا بدار مسيلمة إلا من عاب أئمة الهدى ومصابيح الدجى بما سبق في بلادهم من الشرك والكفر المبين، وطرد هذا القول جراءة على النبين وأكابر المؤمنين.

وهذا المعترض كعنز السوء يبحث عن حثفه بظلفه، ولا يدري؛ وقد قال بعض الأزهرين: مسيلمة الكذاب من خير نجدكم، فقلت: وفرعون اللعين رئيس مصركم! فبهت. وأين كفر فرعون من كفر مسيلمة لو كانوا يعلمون؟^(١)

المسألة الثانية: أنهم لم يتوسلوا بالنبي ﷺ التوسل البدعي أو الشركي. وذلك بقوله:

إلى الله بالمختار لم يتوسلوا لأن لكل عند خالقه قدراً

والجواب: أن التوسل يأتي على ثلاثة أنواع: بدعي وشركي ومشروع. فهم يتوسلون بالتوسل المشروع الذي جاءت به النصوص الشرعية؛ وينهون عن التوسل البدعي والشركي. ولتوضيح هذه المسألة يُقال^(٢):

(١) «مصباح الظلام» (ص ٣٦٨-٣٦٩).

(٢) أخصها من «فتاوى الشيخ ابن عثيمين» (٢/ ١٠٣-١٠٩). وينظر للزيادة: رسالة «القول الجلي في حكم التوسل بالنبي والولي»، للشيخ محمد الشقيري - رحمه الله -، تحقيق: الدكتور يوسف السعيد - وفقه الله -.

١ - التوسل الشرعي يكون بأحد الأمور التالية:

أ - التوسل بأسماء الله تعالى؛ كما ورد في الحديث: «... أسألك بكل اسم هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك: أن تجعل القرآن ربيع قلبي... إلخ»^(١).

ب - التوسل إلى الله تعالى بصفة من صفاته؛ كما ورد في الحديث: «اللهم بعلمك الغيب، وقدرتك على الخلق: أحيني إذا علمت الحياة خيراً لي، وتوفني إذا علمت الوفاة خيراً لي»^(٢).

ج - أن يتوسل إلى الله - عز وجل - بالإيمان به، وبرسوله ﷺ، فيقول - مثلاً -: «اللهم إني آمنت بك، وبرسولك، فاغفر لي».

د - أن يتوسل إلى الله - سبحانه - بعمله الصالح؛ كما ورد في قصة الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة في الغار؛ فتوسل كل واحد منهم بعمل صالح فعله؛ حتى فرّج الله عنهم^(٣).

هـ - أن يتوسل إلى الله - تعالى - بذكر حاله، وما هو عليه من الحاجة؛ كما في قوله تعالى حكاية عن موسى - عليه السلام - أنه قال:

﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص: ٢٤].

و - أن يتوسل إلى الله بدعاء الرجل الصالح الذي تُرجى إجابته؛ كما

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣٧١٢)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٨٢٢).

(٢) أخرجه النسائي (١٣٠٥)، وصححه الألباني في صحيح النسائي.

(٣) أخرجه البخاري (٢٢٧٢)، ومسلم (٢٧٤٣).

كان الصحابة - رضي الله عنهم - يسألون النبي ﷺ أن يدعو الله لهم، كما في قصة الأعرابي الذي قال: «يا رسول الله! هلكت الأموال، وانقطعت السبل، فادعُ الله أن يغثنا...»^(١) الحديث.

٢- التوسل البدعي: كمن يتوسل بجاه النبي ﷺ، فهذا قد توسل بأمر لا علاقة له به، فما علاقة المتوسل بكون النبي ﷺ له جاه عند الله - عز وجل -؟! فالتوسل الصحيح أن يتوسل إلى الله بإيمانه به وبرسوله ﷺ، أو يتوسل بمحبته لرسوله ﷺ.

٣- التوسل الشركي: وهو الاستغاثة بالأموال والمقبورين. وهذا يسميه دعاة القبورية، من أمثال النبهاني «توسلاً» تليساً على المسلمين^(٢)، وإلا فإنه استغاثة شركية؛ لأن الميت قد انقطع عمله، ولا يمكن لأحد أن يدعو لأحد بعد موته، حتى النبي ﷺ، ولهذا لم يتوسل الصحابة - رضي الله عنهم - إلى الله بطلب الدعاء من رسوله ﷺ بعد موته، بل قالوا: «اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا فنتسقين، وإنا نتوسل إليك بعمّ نبينا فأسقنا»، فقام العباس - رضي الله عنه - فدعا الله تعالى^(٣). ولو كان طلب الدعاء من الميت سائغاً ووسيلة صحيحة؛ لكان عمر والصحابة - رضي الله عنهم - يطلبون ذلك منه ﷺ؛ لأن إجابة دعائه ﷺ أقرب وأحرى من إجابة دعاء العباس.

(١) أخرجه البخاري (١٠٢٩)، ومسلم (٨٩٧).

(٢) وقد نقلت جملة من ردود علماء الدعوة على هذا التليس والخلط المتعمد في رسالتي «ثناء العلماء على كتاب الدرر السنية»، (ص ١١٦-١٢٣).

(٣) أخرجه البخاري (٣٧١٠).

المسألة الثالثة: أن النبي ﷺ ذم بلادهم، وأنها بلاد فتنة، وطلوع قرن الشيطان! وذلك بقوله:

أشار رسول الله للشرق ذمه وهم أهله لا غرو أن أطلع الشرا والجواب: لم يأت النبهاني بجديد في هذه الفرية، فقد تابع فيها أعداء دعوة الشيخ السابقين^(١). وهي فرية ساذجة، كالفرية الأولى؛ وتنزلاً مع النبهاني وأضرابه أن المقصود بحديث النبي ﷺ بلاد نجد، فما دليلكم على أن المقصود بالذم هو دعوة الشيخ وأتباعها؟! فهلاً كان المقصود المرتدين الذين ارتدوا زمن أبي بكر - رضي الله عنه -، أو كان المقصود أناساً من المنحرفين الذين وجدوا في هذا المكان؛ كالدولة الأخيضرية مثلاً؟! وما جوابكم لو قال لكم قائل: إن المقصود بالذم هم المناوئون لدعوة الشيخ محمد من أهالي نجد! فجوابكم هو جوابنا.

والمراد بحديث النبي ﷺ: نجد العراق؛ لأنها شرق المدينة، وقد ورد هذا صريحاً في حديث ابن عمر - رضي الله عنه - قال ﷺ: «اللهم بارك لنا في مدينتنا، وبارك لنا في مكتنا، وبارك لنا في شامنا، وبارك لنا في يمننا، وبارك لنا في صاعنا ومُدُنَّا». فقال رجل: يا رسول الله، وفي عراقنا. فأعرض عنه، فقال: «فيها الزلازل والفتن، وبها يطلع قرن الشيطان»^(٢).

(١) انظر: «دعوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب» للدكتور عبدالعزيز آل عبد اللطيف، (ص ١٧٨-١٩٢).

(٢) صححه الألباني - رحمه الله - في تخريجه لأحاديث «فضائل الشام» (حديث رقم ٨)، وقال: «أخرجه أحمد مختصراً بلفظ: «رأيت رسول الله ﷺ يشير بيده يوم العراق: ها إن الفتنة ههنا - ثلاث مرات - من حيث يطلع قرن الشيطان. وإسناده صحيح». قلت: هو في المسند برقم (٦٣٠٢). وقال الأرناؤوط: «إسناده صحيح على شرط الشيخين».

وقال الخطابي: «نجد من جهة المشرق، ومن كان بالمدينة كان نجده بادية العراق ونواحيها، وهي مشرق أهل المدينة»^(١).

وقال الشيخ الألباني - بعد أن ساق طرق حديث: «اللهم بارك لنا في شامنا» -: «فيستفاد من مجموع طرق الحديث أن المراد من نجد في رواية البخاري، ليس هو الإقليم المعروف اليوم بهذا الاسم، وإنما هو العراق، وبذلك فسره الإمام الخطابي والحافظ ابن حجر... وقد تحقق ما أنبأ به - عليه السلام -؛ فإن كثيراً من الفتن الكبرى كان مصدرها العراق؛ كالقتال بين علي ومعاوية - رضي الله عنهما -، وبين علي والخوارج... وغيرها مما هو مذكور في كتب التاريخ، فالحديث من معجزاته ﷺ، وأعلام نبوته»^(٢).

المسألة الرابعة: أنهم منعوا الاستغاثة الشركية! وذلك بقوله:

وقد عذروا من يستغيث بكافر وما وجدوا للمستغيث بهم عُذراً
والجواب: أن هذا من تلبيس وتهويل النبهاني الذي ورثه عن دعاة
الشرك قبله؛ لتشويه دعوة الشيخ.

فعلماء الدعوة عمدتهم النصوص الشرعية التي أجازت الاستغاثة
بالحي فيما يقدر عليه. أما الميت فلا تجوز الاستغاثة به. ولتوضيح هذه
المسألة يُقال:

«الاستغاثة: مصدر، وعند النحاة من أنواع النداء، وتعريفها لغة: أن

(١) «فتح الباري» (١٣/٤٧).

(٢) تخريج أحاديث فضائل الشام، (ص ٢٧-٢٨).

يطلب من المُنَادِي الإغاثة لغيره، وهي: طلب الغوث، وهو كشف الشدة، كالاستنصار طلب النصر، وكالاستجارة والاستعاذة، فكلها من أنواع الطلب والدعاء؛ لأن الفعل الثلاثي إذا تقدمه السين والتاء دل على طلب الشيء، والنداء والدعاء بمعنى واحد، وبين الاستغاثة والدعاء عموم وخصوص مطلق، يجتمعان في مادة دعاء المستغيث، وينفرد الدعاء الذي هو مطلق الطلب أو السؤال من غير المستغيث.

والمستغاث به هو المطلوب منه الغوث، والمستغيث هو الذي يطلب الإغاثة من غيره، ولفظ الاستغاثة في الكتاب والسنة وكلام العرب إنما يستعمل بمعنى الطلب من المستغاث به.

والفرق بين الاستغاثة والتوسل، أنه في الاستغاثة لا يُقال: استغثت إليك بفلان، يا فلان أن يفعل بي كذا، وإنما يقال: استغثت بفلان أن يفعل بي كذا، وفي التوسل يقال ذلك، كما أن من سأل بشيء أو توسل به لا يكون مخاطباً له ولا مستغيثاً به، لأن قول السائل المتوسل: أتوسل إليك يا إلهي بفلان، إنما هو خطاب لله، لا لذلك المتوسل به، بخلاف المستغاث به؛ فإنه مخاطب مسؤول منه الغوث.

وتنقسم الاستغاثة إلى: استغاثة مشروعة، واستغاثة ممنوعة.

والاستغاثة المشروعة أنواع:

أولها: الاستغاثة بالله - تعالى -، وهي الاستغاثة بالمأمور بها في الشرع، فلا غياث ولا مغيث على الإطلاق إلا الله - تعالى -، وكل غوث فهو من عنده. قال تعالى إخباراً عن المؤمنين في استغاثتهم إياه ليلة بدر:

﴿وَإِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِآلِيفٍ مِّنَ أَلْمَلِكَةِ

مُردِّفِين ﴿ [الأنفال: ٩]، وقد أمر تعالى عباده أن يدعوه ويستغيثوه، فهو تعالى غياث المستغيثين: ومعناه: المدرك لعباده في الشدائد، قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، عبادتي: أي دعائي.

الثاني: الاستغاث بالنبى ﷺ فيما يقدر عليه ويليق بمنصبه، وهذا لا ينزع فيه مسلم، وهذا النوع جائز أيضاً في حق غير النبى ﷺ من عامة المؤمنين وخاصتهم، بل والفجار والكفار أيضاً، ومن هذا النوع ما وردت به النصوص من الاستغاث بالنبى ﷺ يوم القيامة.

وقال تعالى: ﴿فَاسْتَغْنِهِ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ﴾ [القصص: ١٥]، فهذه الاستغاث في ما يقدر عليه موسى - عليه السلام -، وهذا لا ينافي كمال التوحيد.

وقد غلط بعض الغلاة فسوى بين حياة النبى ﷺ وموته، وأثبتوا له بعد موته حياة حقيقية؛ كحياته ﷺ في الحياة الدنيا، وأن الشهداء أحياء في قبورهم، وحياة الأنبياء أكمل، وبناء على هذا أجازوا الاستغاث بالنبى ﷺ حياً وميتاً.

ولم يعلموا أن حياته ﷺ - بأبي هو وأمي - حياة برزخية، وهذه الحياة البرزخية من الغيب الذي أخبرنا الله به، ولم نعلم حقيقتها وكنهها، فوجب علينا الإيمان بحياة الأنبياء على هذا الأساس، مع الجزم باختلافها عن الحياة الدنيا، ولو أريد أن حياتهم كحياتهم في الدنيا لاقتضت جميع لوازمها من أعمال، وتكليف، وعبادة، ونطق، وغير ذلك.

وأما الاستغاثة الممنوعة، فهي أقسام أيضاً:

الأول: الاستغاثة بالنبي أو الرجل الصالح الحَيِّين الشاهدين الحاضرين فيما لا يقدر عليه إلا الله - تعالى -؛ مثل غفران الذنوب، وهداية القلوب، وشفاء المرضى، والرزق، والنصر على الأعداء، وغير ذلك مما لا يقدر عليه إلا الله - تعالى -، وهذه الاستغاثة من الشرك الأكبر الذي يُخرج من الملة، وهذا شرك العرب في الجاهلية.

الثاني: الاستغاثة بالميت؛ سواء كان نبياً أو غير نبي، وهذا شرك بالله - عز وجل -.

الثالث: الاستغاثة بالنبي ﷺ والرجل الصالح في حال غيبته، وهذا أيضاً لا يجوز، فإنه لا يسمع الاستغاثة ولا يعلم الغيب.

فهذه أقسام الاستغاثة، عرف المسلمون الاستغاثة المشروعة، ولم يعرف القبورية إلا الاستغاثة الممنوعة، وجعلوها أصل دينهم^(١).

المسألة الخامسة: أنهم منعوا شد الرحل لزيارة قبر النبي ﷺ. وذلك بقوله:

وما جَوَّزوا للمسلمين رحيلهم لزورة خير الخلق في طيبة الغرأ
والجواب^(٢): أن المانع من ذلك؛ هو النبي ﷺ، وليس هم - كما يوهم النبهاني -.

(١) من مقدمة كتاب شيخ الإسلام ابن تيمية: «الاستغاثة في الرد على البكري» للشيخ عبد الله السهلي (١/٥٧-٦٠). وهو كتاب مهم في الرد على دعاة الاستغاثة الشريكية، ويُنظر أيضاً

كتاب «الرد على المستغيثين بغير الله» للشيخ أحمد بن عيسى - رحمه الله -.

(٢) يُنظر: مجموع فتاوى الشيخ ابن باز - رحمه الله -، (٢/٧٦٣-٧٤٦) (ط: دار الوطن).

فالسفر لا يجوز بقصد زيارة قبر النبي ﷺ أو قبر غيره من الناس؛ لقول النبي ﷺ: «لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى» متفق عليه^(١).

والمشروع لمن أراد زيارة قبر النبي ﷺ، وهو بعيد عن المدينة، أن يقصد بالسفر زيارة المسجد النبوي، فتدخل زيارة القبر الشريف وقبري أبي بكر وعمر والشهداء وأهل البقيع تبعاً لذلك.

أما نية القبر بالزيارة فقط؛ فلا تجوز مع شد الرحال، أما إذا كان قريباً لا يحتاج إلى شد رحال ولا يُسمى ذهابه إلى القبر سفراً؛ فلا حرج في ذلك؛ لأن زيارة قبره ﷺ وقبر صاحبيه من دون شد رحل سنة وقربة، وهكذا زيارة قبور الشهداء وأهل البقيع، وهكذا زيارة قبور المسلمين في كل مكان سنة وقربة، لكن بدون شد الرحال، لقول النبي ﷺ: «زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة». أخرجه مسلم في صحيحه^(٢)، وكان ﷺ يعلم أصحابه إذا زاروا القبور أن يقولوا: «السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، إنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية» أخرجه مسلم في صحيحه^(٣).

المسألة السادسة: أنهم أثبتوا صفة العلو لله - عز وجل -، بقوله:

هو الله رب الكل جل جلاله فما جهة بالله من جهة أخرى

(١) أخرجه البخاري (١١٨٩)، ومسلم (١٣٩٧).

(٢) برقم (٩٧٦).

(٣) برقم (٩٧٥).

والجواب^(١): أن العلو من صفات الله تعالى الذاتية، التي لا تنفك عنه، وقد دل عليها: الفطرة، والعقل، والسمع، وقد تواترت الأدلة من الكتاب والسنة على أن الله تعالى عالٍ على كل شيء.
ومما ورد من الآيات في ذلك:

١- قوله تعالى: ﴿ءَأَمِنُمْ مَن فِي السَّمَاءِ أَن يَخِفَّفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾ [الملك: ١٦].

٢- قوله تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠].

٣- قوله تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١].

٤- قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ [النحل: ٥٠].

٥- قوله تعالى: ﴿تَقْرُجُ الْمَلَكُوتُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ﴾ [المعارج: ٤]. وغير ذلك من الآيات الكثيرة الدالة على علو الله تعالى.

وأما الأحاديث فكثيرة أيضاً، وقد بلغت مبلغ التواتر^(٢)، ومنها:

١- حديث الإسراء والمعراج^(٣).

٢- حديث الجارية التي سألتها رسول الله ﷺ: «أين الله؟» قالت: في السماء، فقال ﷺ لسيدها: «أعتقها، فإنها مؤمنة»^(٤).

(١) انظر: «عقيدة الإمام ابن عبد البر»، للدكتور سليمان الغصن، (ص ٣١٦-٣١٧).

(٢) انظر حكاية التواتر في: «العلو» للذهبي (ص ١٦)، وقد ذكر ابن أبي العز الحنفي شارح الطحاوية عشرين نوعاً على إثبات العلو، ثم قال: «وهذه الأنواع من الأدلة لو بُسِطت أفرادها لبلغت نحو ألف دليل»، شرح الطحاوية (ص ٣٢٢).

(٣) أخرجه البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٢).

(٤) أخرجه مسلم (٥٣٧).

٣- قوله ﷺ: «ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء، يأتيني خبر السماء مساءً وصباحاً»^(١).

وغير ذلك من الأحاديث المتواترة في الدلالة على علو الله تعالى^(٢)، ولم يجحد هذه الصفة إلا الجهمية وأمثالهم من أسلاف النبهاني.

* * *

(١) أخرجه البخاري (٤٣٥١)، ومسلم (٢٤٥٢).

(٢) وقد تتبع الإمام ابن القيم - رحمه الله - أدلة العلو من الكتاب والسنة وأقوال السلف، وجمعها في كتاب سماه: «اجتماع الجيوش الإسلامية على غزو المعطلة والجهمية»؛ كما ألف الحافظ الذهبي في هذه المسألة: كتابه المشهور: «العلو للعلي العظيم»، وهو مهم، مع مقدمة محققه الدكتور عبدالله بن صالح البراك - وفقه الله -.

(١)

منظومة

الشيخ علي بن سليمان بن يوسف

- رحمه الله -

(ت ١٣٣٧ هـ)

ترجمته^(١)؛

هو الشيخ علي بن سليمان بن علي اليوسف، وتعرف أسرته بالحلوة^(٢).

يتتمي إلى عشيرة آل يوسف المعروفة في مدينة أشيقر بمنطقة الوشم وفي القصيم، وعدد من بلدان المملكة والعراق ودمشق والكويت. وهو من الرواجح من الوهبة من بني حنظلة من بني تميم. انتقل أجداده من بلدهم أشيقر إحدى بلدان منطقة الوشم إلى عنيزة وعيون الجواء بالقصيم، وكان ذلك حوالي عام ١١٧٥ هـ سعيّاً وراء الرزق^(٣).

(١) نقلاً عن مقدمة الأخ الكريم الأستاذ سعود اليوسف - وفقه الله - لكتاب «أربح البضاعة في معتقد أهل السنة والجماعة» للشيخ ابن يوسف - رحمه الله -. وقد ترجم له - أيضاً - الشيخ عبدالله البسام - رحمه الله - في «علماء نجد خلال ثمانية قرون» (١٩٥/٥ - ٢٠٠).

(٢) الحلوة: لقب اشتهرت به أسرة الشيخ علي دون غيرها من أسر آل يوسف. وهذا اللقب جاءهم بسبب نخلة كانت مغروسة في بلد أشيقر تعرف بـ«الحلوة»، وهذا النوع من النخل مشهور في بلدان نجد. والرواية صحيحة ومعروفة لدى الأسرة، كما عرفوا بالحلوة بعد انتقالهم من أشيقر إلى عنيزة. كما أنهم يعرفون في أشيقر بـ«آل علي» حسب ما جاء في وثيقة تقسيمة الأسبال والأملاك، مع أبناء عموماتهم اليوسف أهل العيون، والعثمان، والسليمان واليحيى والعياف في أشيقر.

(٣) تذكر الروايات المتواترة أن سبب انتقالهم من أشيقر إلى القصيم هو فقدهم لسبعة من أفراد أسرته. تقول الرواية: إن سبعة رجال من هذه الأسرة كانوا يقومون بحفر بئر في جو أشيقر وكان الوقت أول النهار، منهم ثلاثة في أسفل البئر وأربعة خارجها، طلب الذين في خارجها من الذين في أسفلها أن يخرجوا لتناول طعام الإفطار، فامتنعوا من الخروج وطلبوا من الأربعة النزول مفضلين ذلك، فنزلوا، وبعد قليل انهارت البئر على الجميع، وماتوا تحت أنقاضها. وبعد هذه الحادثة انتقلت الأسرة إلى القصيم. والله أعلم.

والشيخ علي ولد على الأرجح عام ١٢٥٨هـ / ١٨٣٨م في بلد عنيزة بالقصيم، وانتقل مع والده صغيراً إلى بغداد، وقد طلب العلم في بغداد على يد الشيخ العلامة محمود شكري الألوسي، وهو أشهر مشايخه، كما أن الشيخ علي كان محبوباً ومقرباً لدى شيخه الألوسي.

وقد كان الشيخ يزور المدينة المنورة في طريقه إلى الحج، وقد أخذ عن بعض مشايخها عندما كان يقيم بعض الوقت فيها. وقد انتقل الشيخ علي فيما بعد من مدينة بغداد إلى قرية الدورة الواقعة جنوب البصرة على بعد (٧٠) كيلاً.

وللشيخ علاقة وصلة قوية بالتاجر المشهور يوسف العبدالله البراهيم «العنقري» المعروف في الكويت. وكان الشيخ علي وكيلاً لأعمال يوسف البراهيم وكذلك وكيلاً على أملاكه التي في الدورة والمخراق، علماً أن بعض بساتين المخراق ملكٌ لصالح البراهيم، وهو ابن عم ليوسف البراهيم، وبعد وفاتهما صار حسين ابن الشيخ علي اليوسف وكيلاً لمصطفى بن يوسف البراهيم على نفس ما كان عليه والده - حيث يوجد لدى علي بن حسين بن الشيخ علي اليوسف بعض الرسائل الإخوانية التي تثبت هذه العلاقة، ويوجد في إحدى هذه الرسائل توجيه من مصطفى البراهيم لحسين بن الشيخ علي يوصيه فيها بالبحث عن «مجلة المقتطف» وغيرها. وقد لبث الشيخ علي اليوسف في بلدة الدورة إماماً لجامعها، وفتح له كتاب خاص به يدرّس فيه أبناء بلدة الدورة، وممن درس عليه أبناؤه الأربعة، وقد أجادوا الكتابة والقراءة. كما أن للشيخ علي حلقة علم في المسجد الجامع الذي يؤم فيه، وقد طُلب منه

أن يكون قاضياً في المدينة المنورة، لكنه رفض هذا الطلب تورعاً منه. كما طُلب منه أيضاً أن يكون إماماً لمسجد الجامع الكائن بحي الصالحية في منطقة القبلة بمدينة الكويت، لكن الشيخ اعتذر عن ذلك وبقي إماماً لجامع بلدة الدورة.

أعماله:

- ١- تولى القضاء وإمامة أحد المساجد بقرية الدورة^(١) بالعراق.
- ٢- عمل وكيلاً لإدارة أعمال وأملاك الشيخ صالح البراهيم ابن عم يوسف العبدالله البراهيم، التاجر المعروف بالعراق، من العناقر من بني سعد من بني تميم.
- ٣- له عدد من القصائد الجيدة اللغة الفصحى تعنى بالوعظ والإرشاد والردود.
- ٤- تعاون مع «سليمان بن صالح الدخيل» في نشر قصائده في جريدة الرياض التي يصدرها الدخيل في العراق.
- ٥- له ديوان شعر بعنوان (نيل المطالب في مدائح السيد الطالب) طبع في مطبعة المؤيد، وله الكتاب الشهير: (أربع البضاعة في معتقد أهل السنة والجماعة)، وقد طُبِعَ أكثر من مرة، وله بعض التعليقات والتهميشات على عدد من الكتب الدينية. والتصديق على بعض الوثائق.

(١) قرية الدورة: وهي دورة البراهيم، وآل إبراهيم لهم ثلاث قرى: (الدورة)، (المخراق)، (القطعة) بالعراق، بالقرب من حدود الكويت من جهة الخليج العربي، وكانت هذه القرى الثلاث تعج بالنخيل، وكان شيخ هذه القرى هو يوسف بن عبدالله البراهيم، وقد كتب عنهم الشيخ حمد الجاسر - رحم الله الجميع -.

٦- له تركة علمية تضم كتباً ومقتنيات وأوراقاً تولاهها محمد أمين الشنقيطي، الذي أسس مدرسة النجاة بالزبير.

٧- له عدد من الرسائل تبادلها مع شيخه محمود شكري الألوسي، بلغت أكثر من (٥٢) رسالة. انظر: مجلة «عالم المخطوطات والوادر». بحث ضمياء محمد عباس السامرائي بعنوان وثائق عراقية عن الطباعة والنشر في البحرين. رجب - ذو الحجة ١٤٢٤هـ. وانظر رسالة الشيخ علي إلى شيخه الألوسي سنة ١٣٢٤هـ في رياض الناظرين ص (٤٠٥).

٨- له اهتمام بالغ في متابعة ما ينشر من الكتب، كما أنه كثير الأسفار والتنقل بين البلدان من أجل العلم.

والد الشيخ هو سليمان بن علي اليوسف، عمل في التجارة ونقل البضائع من العراق إلى القصيم مع تجار «عقيل»، وذلك قبل انتقاله من نجد إلى بغداد واستقراره فيها، وبعد أن استقر في العراق أصبح من كبار تجار «عقيل»، فعمل في تجارة الإبل وتأجير الأحواش^(١) على جماعته تجار عقيل، الذين يسكنون في الكرخ غرب بغداد. ولسليمان ولدان هما: الشيخ علي - المترجم له - وإبراهيم، وثلاث بنات.

تزوج الشيخ علي من امرأة اسمها «سعدة» من السادة الأشراف، أصلها من بغداد، وهي أم أولاده وبناته^(٢). وبعد وفاتها - رحم الله

(١) أحواش: جمع حوش، ويسمى في العراق «جاخور»، وهو مكان خاص بالبهائم.

(٢) يوجد له أحفاد في الكويت وأحفاد كثيرون في العراق، قدم بعضهم - ذرية عبد الكريم بن حسين بن علي - إلى المملكة العربية السعودية البلد الأم.

الجميع - تزوج بأخرى اسمها «خديجة»، إلا أنها لم تمكث معه طويلاً، حيث طلقها دون أن تنجب له أولاداً، وبقي أعزباً حتى وفاته.

وفاة الشيخ علي:

بعد عمر حافل بالعطاء، وبعد أن تقدم به السن، تداعت عليه الأمراض؛ مثل الربو والضغط، وفي ليلة عرفة - بقرية الدورة من عام ١٣٣٧هـ - ١٩١٧م اشتد عليه مرض الربو، فنقل من قرية «الدورة» بواسطة مركب خشبي عن طريق نهر شط العرب إلى مدينة الفاو، وكان بها طبيب فعالجه، فلم يفد به العلاج، فتوفي في ذلك اليوم، فصلي عليه ودفن في مقبرة الزبير^(١). رحمه الله رحمة واسعة، وأسكنه فسيح جناته^(٢).



(١) كان الناس في مسجد العيد بقرية «الدورة» ينتظرون إمامهم الذي تأخر عليهم، ولم يتعدوا منه ذلك، فخافوا عليه، وفي المساء انتشر خبر وفاته، فأجهشوا بالبكاء وترحموا على شيخهم.

(٢) قال الأخ سعود: معظم هذه المعلومات وافاني بها حفيده علي بن حسين بن علي اليوسف، المقيم الآن في الكويت مع أولاده وأحفاده، وقد ذكر برواية كبار السن الذين أدركوا جده أن شخصاً اسمه عبدالرحمن بن عبدالله الدرهم قد كتب ترجمة عن حياة الشيخ علي. وزودني أيضاً ببعض المعلومات الأستاذ عبدالله بن بسام البسيمي.

المنظومة

الحمد لله الذي اصطفى من عباده أنصاراً، وجعلهم ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم سرّاً وجهاراً، ومزق بأسنة سنة فخر أهل وداده جموع الابتداع فحازت ذلاً وانكساراً، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي تشرع به النوع الإنساني وكان منه مختاراً، فأصبح من لم يسر على ضوء مشكاة هداه في نهجه محتاراً، وعلى آله وأصحابه الذين جردوا لإعلاء كلمة الحق سيوف عزم لم تُبق على الأرض من الكافرين دياراً.

أما بعد:

فقد وقفت على القسم الخامس من الرائية الصغرى التي تشدق بها يوسف النبهاني وملاً ماضيه بها فخراً، وظن أنه قد أوتي قرطبي ماريه، أو فاز بمنقبة يا ساريه، واستسمن ذا ورم، ونفخ في غير ضرم، وراح في أئمة الهدى طاعناً، ولمن تبعهم لاعناً، قد ضمخها بعذرة الفشر والزور، ولطخها بحمأة الكذب والفجور، وكان القول الأحق، أن نمسك القلم عن هذا الأحمق.

لو كل كلب عوى ألقمته حجراً لأصبح الصخر معدوداً من الذهب
إذ لا جواب له غير السكوت؛ لأنه بنى بيتاً أوهن من بيت العنكبوت،

وحيث أن عدم الرد عليه ربما يعده عجزاً، ويظن أنه من مثل من عزَّز^(١)،
فلذلك أجريت اليراع في رد هذا الجاهل، وإن كنت في شغل شاغل.
فقلت وبالله المستعان وعليه التكلان:

- ١- أجلتُ بطر في نحو رائية صغرى
- ٢- ومزقتها كي لا يلوّث رجسها
- ٣- فتباً لمنشيها الذي ضلّ رشده
- ٤- غدا الغمر من تيه يُرنح كشحه
- ٥- فقال وشر القول ما كان خالياً
- ٦- (وأعجب شيء مسلم في حسابه
- ٧- أولئك وهابية ضلّ سعيهم
- ٨- ضعافُ النهى أعرابُ نجد جدودهم

أقول:

- ٩- له الويل ماذا قد جنى في مقاله
 - ١٠- يُعرض في أقيال نجد وصيدها
 - ١١- ويرميهم من جهلة في ضلالة
 - ١٢- فظن حليف اللوم أن قلوبهم
 - ١٣- وأنهم في زعمه ضلّ سعيهم
 - ١٤- فيا جرو نبهان اتشد لاتفه بما
- من الكذب والبهتان والفرية الكبرى
ويوسعهم ذمّاً ويعزي لهم وزراً^(٣)
ويصبح عن نهج الحقيقة مُزورا
من الحبّ للمختار قد أصبحت صفرا
فظنوا الردى خيراً وظنوا الهدى شراً
يسوء فرب البيت في بيته أدرى

(١) مثل عربي يعني: «من غلبَ سلباً». (جمهرة الأمثال: ٢/ ٢٨٨).

(٢) الغمر: الجاهل والذي لم يُجرب الأمور - وستررد الكلمة كثيراً في المنظومات - والكشح:

ما بين الخاصرة والضلوع. والكاشح: العدو المبغض.

(٣) الأقيال: الملوك العظماء. والصّيد: أصحاب الحول والطول من ذوي السلطان.

- ١٥- وإياك والشِّمَّ العرانيين في العلا
 ١٦- ولا تُمل جهلاً ما ضغيك بهجوهم
 ١٧- فأعراب نجد جاهدوا كلَّ مشرك
 ١٨- وقد بذلوا لله مالاً وأنفساً
 ١٩- فهم حزبه في كشف كل ملمة
 ٢٠- بأسيا فهم قد أصبح الحقُّ ظاهراً
 ٢١- وقد فتحوا الأمصار شرقاً ومغرباً
 ٢٢- وحسبهم ما قال فيهم نبينا
 ٢٣- وقال همو قومي وأعظم أمتي
 ٢٤- وحبهم للمصطفى ويك ثابتٌ
 ٢٥- يوالون من والى ويجفون مشركا
 ٢٦- وقد شيدوا أحكام شرع محمد
 ٢٧- وما بدلوا الشرع الشريف بغيره
 ٢٨- ولم يعرفوا عزفاً ورقصاً بمسجد
 ٢٩- ولا عقدوا الرايات فوق سطوحهم
- فقد هتكوا عن خزيك السُّجف والسُّترا^(١)
 فإنك يا نسل الخنا بالهجا أحرى
 فما تركوا شاماً ولا تركوا مصرأ
 فكم ربطوا جاشاً وكم ربطوا ثغرا
 وهم حربٌ من قد خالف النهي والأمرا
 ومن سُمرهم قد أحرزوا الفتح والنصرا
 وفلّوا جموع الروم بل كسروا كسرى
 أرى حبهم ديناً ويغضهم كفرا
 بلاء على الدجال أنعم بها بشري^(٢)
 ثبوت الجبال الراسيات على الغبرا
 يصد عن المولى ويستمنح القبرا
 وذبوا عن الإسلام والسنة الغبرا
 ولا ألفوا الرشوى ولا شربوا الخمرأ
 ولم يضرّبوا دفاً ولا حرّكوا نحرا
 يُرجون في الأموات أن تدفع الشرا

(١) شُمَّ العرانيين: الأعزة الأباة.

(٢) يشير إلى قول أبي هريرة - رضي الله عنه - في بني تميم - لأن الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - منهم -: «مازلتُ أحب بني تميم منذ ثلاث سمعتُ من رسول الله ﷺ يقول فيهم. سمعته يقول: «هم أشد أمتي على الدجال»، وجاءت صدقاتهم فقال رسول الله ﷺ: «هذه صدقات قومنا»، وكانت سبية منهم عند عائشة فقال: «أعتقها فإنها من ولد إسماعيل». أخرجه البخاري (٢٥٤٣) ومسلم (٢٥٢٥). ويُنظر للزيادة: «فضائل بني تميم في السنة النبوية» للدكتور عبدالعزيز الفريح.

٣٠- ولا عرفوا قطباً ولا وتداً ولا
مغيثاً سوى الله الذي يكشف الضراً^(١)

٣١- فإن كان هذا الحال ليس مبرراً
لديك فقد عوّضت عن ذا الهدى خسراً

قال:

٣٢- أشار رسول الله للشرق ذمّه
وهم أهله لا غرو أن أطلع الشرا

أقول:

٣٣- وذمّ رسول الله للشرق لم يكن
يخص بني نجد بلائمة كبرى

٣٤- ولكن أمور أنت أدري بشرها
فإن لم تكن تدري فإني بها أدري

٣٥- ركوبك في صفين عمياء ترمي
إلى خبط عشواء لن تنال بها مسرى

٣٦- وقتلكم عمار لا درّ درّكم
وطاعتكم صخراً وتحكيمكم عمراً

٣٧- وقتلكم سبط النبي وآله
وجلبهم للشام يا خبّ كالأسرى

٣٨- وغزوتكم في الحرّة الأمر ظاهر
فعال من الإسلام قد حنّت الظهر

٣٩- هتكتم بها جار النبي بطيبة
وأدخلتم في قعرها الخوف والذعرا

٤٠- وضربكم بيت الإله وحرقه
وقتل الجواري ثم تنكيسه دهرا

٤١- وصلب الإمام الطهر زيدا وقتلكم
بني عمه الأبرار بين الورى جهرا

٤٢- فهذي الشرور الموبقات التي غدا
بها الشرق مذموماً بستنا الغرا^(٢)

٤٣- فهل مثل هذي المخزيات تلوث
بآثامها نجد فأوضح لنا الأمرا

(١) القطب والوند من مصطلحات الصوفية، التي نشروا من خلالها الخرافات. انظر لبيان حقيقتها:

رسالة «تقديس الأشخاص في الفكر الصوفي» للدكتور محمد أحمد لوح، (١/٩٣ وما بعدها).

(٢) يشير الناظم إلى أن أكثر الفن لم تظهر من نجد، إنما ظهرت من غيرها، ومن ذلك: مقتل

الحسين - رضي الله عنه - ووقعة الحرّة، وضرب الكعبة بالمنجنيق زمن عبد الملك بن

مروان، وقتل زيد بن علي - رحمه الله - ومتابعة الفئة الباغية في حرب «صفين»، رضي الله

عن الصحابة أجمعين.

٤٤- فإن لم تكن تأتي بنص مؤيد فحسبك قد أصبحت بين الوري ثورا

قال:

٤٥- فكم طعنوا في الأشعري إمامنا وفي الماتريدي الحبر أكرم به حبرا

أقول:

٤٦- وأما الإمام الأشعري أخو الهدى كذا الماتريدي فاستمع عنهما الخبرا

٤٧- فإن لهذين الإمامين مسلكا بتأويل آيات الصفات يرى وعرا

٤٨- لأن طريق الصحب والآل كلهم جهاراً هو التسليم والمنهج الأخرى

٤٩- يُمرون آيات الصفات كما أتت بقرآنا المحفوظ فاشرح بهذا صدرا^(١)

٥٠- فمن لم يسر في نهجهم ضل تائهاً بهممه أمواء على ناقة حسرى^(٢)

٥١- تجاذبه الآراء من كل جانب فترفعه طوراً وتخفضه طوراً

٥٢- لذلك أمسى الأشعري متابعاً لمنهاجهم أكرم بخبر حوى الفخرا

٥٣- وجاهر في أقوالهم وأبان ما تجلى لديه في إياته الكبرى

٥٤- وراح وراء الحبر أحمد يقتضي عقائد لا ينفك عن قيدها شبرا

٥٥- وحاشى بني نجد من الطعن فيهما فقد وُقعا للحق في الحالة الأخرى^(٣)

(١) أي أن الأشعري والماتريدي خالفاً مسلك السلف في أمور من العقيدة، أهمها: تأويلهم لصفات الله - عز وجل - التي كان السلف يؤمنون بها، يفهمون معانيها، ويفوضون كيفيةها. يُنظر لبيان ذلك: «موقف ابن تيمية من الأشاعرة» للدكتور عبدالرحمن المحمود، و«الماتريدية» للشمس الأفغاني - رحمه الله -.

(٢) المهمة: الصحراء. وأمواء: جمع ماء. والحسرى: التي أصابها الإعياء.

(٣) أي أن الأشعري في النهاية رجع إلى مذهب السلف في الصفات، وألف كتابه الشهير «الإبانة» لهذا المقصد. ينظر بيان ذلك في رسالة الدكتور عبدالرحمن المحمود السابقة (١/ ٣٦٠-٤٠٩) وأما الماتريدي؛ فلم يُذكر عنه رجوع إلى مذهب السلف. قال الشمس الأفغاني - رحمه الله - في رسالته السابقة (١/ ٢٥٥)، بعد أن ذكر أقوال الماتريدي:

قال:

٥٦- إلى الله بالمختار لم يتوسلوا لأن لكل عند خالقه قدرا

أقول:

٥٧- ولكننا عند التوسل نفتدي

٥٨- فلم يك إِيَّان الدعاء متوسلاً

٥٩- ولا قال يا ربي بحق محمد

٦٠- ولكن بالعباس عم نبينا

٦١- أكان أمير المؤمنين مقصراً

بحق رسول الله فاكشف لنا الأمر^(١)

قال:

٦٢- ويعتقدون الأنبياء كغيرهم سواء عقيب الموت لا خير لا شرا

أقول:

٦٣- لك الويل قد أبعدت في المين نُجعة

٦٤- فحاشا بني نجد بأن يتنقصوا

٦٥- فإن مقام الأنبياء معظّم

٦٦- وما منهم إلا شفيع مُشَفَّع

٦٧- وحقاً عقيب الموت لا نفع عندهم

الحاصل: أنه تبين أن الماتريدي ليس على السنة؛ فضلاً عن أن يكون إماماً لأهل السنة.

(١) يشير إلى حديث استسقاء المسلمين بدعاء العباس عم الرسول ﷺ، زمن عمر - رضي الله عنهما - والحديث في البخاري (١٠١٠) وفيه: قول عمر: «اللهم إنا كنا إذا أجبنا نتوسل إليك بنبينا - أي بدعائه - فتسقين، وإنا نتوسل إليك بعم نبيك». وهذا من التوسل المشروع. ولو كان التوسل بالأموات جائزاً للجا الصحابة إلى قبر النبي ﷺ يتوسلون به؛ لأنه أولى من توسلهم بالعباس. ولما لم يفعلوا علم أنهم فهموا عن نبيهم ﷺ عدم جواز هذا التوسل.

- ٦٨- ولكن نضيف النفع والضرر للذي
٦٩- وقد خصهم بعد اصطفاء وعصمة
٧٠- وحرّم من أن تأكل الأرض لحمّهم
٧١- وخص التهامي الحبيب محمداً
٧٢- نُفّذ به بالأرواح صلى إلها
٧٣- ونعرف للهادي مقاماً معظماً
- بتدبير هذا الكون قد دبراً الأمرا
بمقعد صدقٍ عنده يوجب الشكرا
فأجسادهم في القبر كالورد أو أطرا^(١)
بردّ سلام بعدما سكن القبرا^(٢)
عليه ولا زالت تحياته تسترى
ومن لم يتابعه فقد ربح الخسرا

قال:

- ٧٤- وما جوزوا للمسلمين رحيلهم
لزورة خير الخلق في طيبة الغرا
- أقول:

- ٧٥- وهل أخطأوا إذ لم يشدوا رحالهم
٧٦- ويُمسوا كما الأرفاض دام شقاؤهم
٧٧- ويتخذوا من جهلهم كلّ مشهد
٧٨- فقدماً نهى المختار عن شدّ رحلنا
٧٩- مساجدُ فيها للصلاة تَضَاعُفُ
- ويطووا فيافي اليد والمهمة القفرا
يروا رأيهم في كل ما صنعوا أجرا
مقاصد للطاعات تستنزل البرا
لغير ثلاث من بيوت سمّت قدرا^(٣)
بخمس مئين بل وألف حوت حصرا^(٤)

(١) قال ﷺ: «إن الله حرّم الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء» أخرجه أبو داود (١٠٤٧) وصحّحه الألباني.

(٢) قال ﷺ: «ما من رجل يُسلم عليّ إلا رد الله عليّ روحي حتى أرد عليه السلام». أخرجه أبو داود (٢٠٤١)، وصحّحه شيخ الإسلام ابن تيمية في «اقتضاء الصراط المستقيم» (١٧٤/٢).
ووصف النبي ﷺ بـ«التهامي»؛ لأنه ﷺ من مكة، ومكة من تهامة؛ كما في «معجم البلدان»، (٧٤/٢).

(٣) قال ﷺ: «لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد: المسجد الحرام، والمسجد الأقصى، ومسجدي هذا». أخرجه البخاري (١١٨٩) ومسلم (١٣٩٧).

(٤) قال ﷺ: «صلاة في مسجدي هذا - أي المسجد النبوي - خير من ألف صلاة فيما سواه، إلا المسجد الحرام». أخرجه البخاري (١١٩٠) ومسلم (٣٣٧٤).

- ٨٠- وفي المسجد البيت الحرام تعددت
٨١- فسر نحوها وانقل ركابك جاهداً
٨٢- وحثَّ إليها السيملات مبادراً
٨٣- وإن رمتَ للهادي البشير زيارةً
٨٤- فقدم عليها نية المسجد الذي
٨٥- وتُسم إذا نلت الأمانى بقربه
٨٦- فبادر على العينين والرأس ماشياً
- بعشرة آلاف تكررها عشراً^(١)
وشق إليها اليد والمهمه القفراً
وعند الصباح يحمد المذلج المسرى^(٢)
تَحط بها ذنباً وتمحوا بها وزراً
به الله في الأذكار قد رفع الذكر
وشاهدت من أركانه النور والفخرا
وقابل إمام المرسلين أبا الزهرا

قال ﷺ: «الصلاة في بيت المقدس بخمسة صلاة» وهو حديث ضعيف. (ضعيف الترغيب والترهيب: ٧٥٧).

والذي ثبت في فضله: قوله ﷺ: «صلاة في مسجدي هذا أفضل من أربع صلوات فيه - أي في المسجد الأقصى -». (صحيح الترغيب والترهيب: ١١٧٩)

(١) قال ﷺ: «صلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فيما سواه» أخرجه أحمد (١٥٣٠٦)، وابن ماجه (١٤٠٦) وصحَّحه الألباني والأرنؤوط.

(٢) اليعملة من الإبل: النجبية السريعة.

(٣) قالت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، برئاسة سماحة الشيخ ابن باز - رحمه الله -: «زيارة قبر النبي ﷺ سنة؛ لعموم أدلة الحث على زيارة القبور، لكن دون شد الرحال إلى ذلك، فيزوره من كان بالمدينة أو ضواحيها، ممن لا يعد انتقاله إلى المدينة سفراً، أما السفر إلى المدينة لزيارة قبره فلا يجوز؛ لنهي ﷺ عن ذلك بقوله: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: مسجدي هذا، والمسجد الحرام، والمسجد الأقصى»، فإذا سافر إلى المدينة لحاجة من تجارة وطلب علم ونحو ذلك، أو سافر إليها للصلاة في المسجد النبوي رغبة في مضاعفة الثواب، صلى أولاً، ثم زار النبي ﷺ الزيارة الشرعية، فصلى وسلم عليه، وسلم على أبي بكر وعمر، وترضى عنهما، ودعا لهما، دون أن يتمسح بالقبر، أو بما حوله، أو يُقبِّل شيئاً من ذلك، ودون أن يدعو أو يستغيث به، فإن دعاءه والاستغاثة به بعد وفاته ﷺ كدعاء غيره من الأموات، وذلك شرك أكبر، بل يكتفي بالصلاة والسلام عليه، والترضي عن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما» (فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، ١١/ ٣٦٣-٣٦٤).

- ٨٧- وسلم عليه من قريب وفز بما
٨٨- فقل هل ترى فيما نقول ملامة
٨٩- وقل لي متى كان التهامي راحلاً
٩٠- وهل أحدٌ من آله وصحابه
٩١- وهيهات أن تأتي بحجة عارف

قال:

- ٩٢- رموا بضلال الشرك كلَّ موحد
٩٣- وهم باعتقاد الشرك أولى بقصرهم

أقول^(١):

- ٩٤- أعندك من ينمي العلو لربنا
٩٥- ويصبح من لم يدر الله وجهةً
٩٦- لقد فاتك التوفيق والرشد والهدى
٩٧- بفيك الثرى كم من دعاوى عريضة
٩٨- فإن كنت ممن يدعي العلم والنهي
٩٩- ودع عنك يا مختال سفسطة بها
١٠٠- وتخدع جهَّال الورى وتصدِّهم
١٠١- فقل لي ولا تبدي سفاسفَ أحمقٍ
١٠٢- بأي كتاب أم بأية سنة
١٠٣- وكان علو الذات عندك منكراً
- يكن باعتناق الشرك من غيره أخرى
لديك من العرفان والعلم قد أثرى
فأصبحت تبدي ذي الخرافات والهذرا
وحسبك لا عرفاً عرفت ولا نُكراً
فجئ بدليل بيِّن يشرح الصدر
تُبهرج زيفاً ثم تحسبه تبراً
عن المنهل الصافي وتعكره عكراً
مقالة حق نورها يصدع الفجرا
ترى أن رب الناس في الكون لا يُدري
ولا فوق ذاك العرش من يكشف الضراً

(١) في هذه الأبيات يرد الناظم على النبهاني إنكاره صفة العلو لله - عز وجل -، ويورد عليه بعض الأدلة الشرعية المثبتة لهذه الصفة. ومن أراد التوسع فعليه بكتاب «العلو» للذهبي، أو اختصاره للشيخ الألباني - رحمهما الله -، وقد سبق الرد على شبهات النبهاني في المقدمة.

- ١٠٤- إذا فكلام الله عندك كاذب
١٠٥- وقول أساطين الأئمة ساقط
١٠٦- هل اعتقد النعمان هذا ومالك
١٠٧- أو الحنبلي المرتضى وبك نهجه
١٠٨- وقل لي أين الله جل جلاله
١٠٩- أما فطر الله العباد جميعهم
١١٠- وجوهمهم نحو السماء لذي العلا
١١١- وأن إليه يصعد الكلم الذي
١١٢- فربُّ الورى فوق الخلائق كلها
١١٣- وقد جاء إثبات العلو لذاته
١١٤- فللذهبي الشافعي إمامنا
١١٥- أتى فيه بالبرهان يسطع نوره
١١٦- وآثار أعلام الهدى وأئمة الكتاب ذوي العرفان يحضّروهم حصرا
١١٧- فيا جبذاك الكتاب الذي به
١١٨- وقد صرح الباري بنص كتابه
١١٩- وصرح أن الله من فوق عرشه
١٢٠- وينزل منه الروح ثم ملائك
١٢١- وتخرج حقاروخ من مات مؤمناً
١٢٢- وبالمصطفى أسري إلى الله فارقي
- وقول رسول الله يستوجب الهجرا
وأنهم لم يعرفوا ويحك الأمرا
أو الشافعي الخبر أكرم به حبرا
لديك فجنتي بالحق واكشف لنا السترا
إذا لم يكن فوقاً فألبأنا سكرى
إذا مسهم ضر بأن يرفعوا جهرا
ودعوة مظلوم الورى تحرق الخضرا
يطيب كذا الأفعال تعلوا بلا إمرا^(١)
بذاتٍ وقهر والورى تحته قهرا
من الخبر المأثور ما لم ينل حصرا
لتحقيقه يسفراً وأنعم به سفرا^(٢)
نصوص من القرآن والسنة الغرا
أضاءت شمسُ الحق وبك بلا إمرا
بأي علو لن تُطبق لها نكرا
تحف به الأملاك كي تسمع الأمرا
تُنْفَذ في الأكوان من قَدَره القدرا
إليه فتحظى بالمسرة والبشرى
إلى الآية الكبرى فسبحان من أسرى

(١) قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الْعَلِيُّ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

(٢) يشير إلى كتاب «العلو» للذهبي، وهو مطبوع بتحقيق الدكتور عبدالله البراك - وفقه الله -.

ومن قبله إدريس قد أحرز الفخرا
فمن زَوْجَ الهادي وخصَّ لها المهر^(١)
بحكم إله العرش من فوق ذي الخضرا^(٢)
رأى عمتها حقاً ودام لها البرا
بأن إلهي في السماء بلا إمرا^(٣)
بقرآننا لفظ العلو ألم تقرا
أتيت بها أركبته مسلماً وعرا
ومن رأيهم يا ذا الهوى أبداً تبرى
ومتلك المنحوس يا غمر في الصحرا
على شارف هوجاء أخطأت المسرى^(٤)
وترزَم إذ زُدت لأعقابها حسرا^(٥)
يجادل أهل الحق أجمعهم طُرا
على فكره إيليسه كل ما أجرى

١٢٣- وقد رفع الله المسيح ابن مريم
١٢٤- وزينبُ من فوق السموات زُوِّجت
١٢٥- وسعدُ قضي فيما قضي في قريظة
١٢٦- وخير الوري قد خاطب الأمة التي
١٢٧- فقال لها أين الإله؟ فصرحت
١٢٨- وقد أفصحت تسع وعشرون آية
١٢٩- فما ديننا والترهات التي بها
١٣٠- وأصبحت عن هدي الأئمة نازحاً
١٣١- فقد نزلوا في مكة وشعابها
١٣٢- وعرضت في الشيخ ابن سحمان عادياً
١٣٣- فباتت تُشكي الأين من ألم الوجا
١٣٤- (تقول بأن المرء في الدهر لم يزل
١٣٥- (ويشتم أهل العلم بالجهل مملياً

(١) يشير إلى قول زينب بنت جحش، أم المؤمنين - رضي الله عنها -: «زوجني الله من فوق سبع سموات» أخرجه البخاري (٧٤٢٠). تشير إلى قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ نِكَاحَهَا وَطَرَا زَوْجَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧].

(٢) قال ﷺ لسعد بن معاذ لما حكم على يهود بني قريظة: «لقد حكمت فيهم بحكم الملك من فوق سبع سموات» أخرجه النسائي (٨٢٢٣) وصححه الألباني في «مختصر العلو» (ص ٨٧).

(٣) يشير إلى حديث الجارية، وهو قوله ﷺ لها: «أين الله؟» قالت: في السماء.. فقال ﷺ لسيدها: «اعتقها فإنها مؤمنة» أخرجه مسلم (١١٩٩)، وينظر للفائدة: كتاب «تكحيل العين بجواز السؤال عن الله بأين» للدكتور صادق سليم.

(٤) الشارف من الدواب: المسنة.

(٥) الوجا: الضرب. ترزَم: تسقط من الإعياء.

وقد جردوا للمعتدي البيض والسُمر^(١)
وقد ألفوا في نصره الكَرَّ والفرا^(٢)
وفي ذمهم قد أحكم النظم والشرأ
أو التابعين الغُريوماً بما أزرى
على سُنن القرآن والسنة الغرا
فقد خسر الدنيا وقد خسر الأخرى
ويوليهم شتماً ويزجرهم زجراً
ويوسعهم هجواً ويُنظرهم شزراً^(٣)
ويدهمهم من فوق سباحة شقراً^(٤)
ويُصبح ما قالوه مندحراً دحراً
فلا قطرٌ أجنبت عنه ولا قطراً^(٥)
وكنْتَ بهذا السبب بين المدا أحرى
لأنك ممن في الدُّنأ ألف الشُّرا
وقلت بأن المرء قد أشبه الهرا^(٦)
سيفري منك الجلد أو يقصم الظهرأ
تدك على تمزيقك السَّهل والوعرا
سيستمع التسيوخ واللوم والإزرا

١٣٦- فمهلاً فإن الحي فيه حُماته
١٣٧- وقد جعلوا نص الكتاب مَجْنَّهم
١٣٨- فأين ذوي العلم الذين يسبهم
١٣٩- أسبَّ من الأصحاب والآل واحداً
١٤٠- وهل شتمَ الأعلام أتباع أحمد
١٤١- فمن ذم أهل العلم أودام هجرهم
١٤٢- ولكن يسبُّ الابتداع وأهله
١٤٣- ويفلق من قاداتهم كلُّ هامة
١٤٤- ويطعنهم كي يركب القرن درعه
١٤٥- إلى أن يُحق الحق يسطع نوره
١٤٦- وقد جزت في مهواك كل تنوفة
١٤٧- وخضت بسبب الممتمين إلى الهدى
١٤٨- ولم تتورع من هجا كلِّ فاضل
١٤٩- (وعرَّضت في الندب النبيه محمد
١٥٠- رويداً رويداً أيها الفأرائنه
١٥١- وجاءك منه كلُّ دهياء أصبحت
١٥٢- فمن لم يقف يا ذا الهوى عند حله

(١) البيض: السيوف. السُمر: الرماح.

(٢) المِجَن: التُّرس.

(٣) الشزْر: نظرة الغضب.

(٤) القرن: المثل في الشجاعة. السباحة: الخيل.

(٥) التنوفة: الفلاة، لا ماء فيها ولا أنيس.

(٦) يعني: محمد بن حسن المرزوقي - رحمه الله - وسيأتي رده على النبهاني - إن شاء الله -.

قال:

- ١٥٣- ولم ينفرد شذاذُ مذهب أحمد
١٥٤- كمن رد قولِي تابِعاً لِإِثْرِ جَدِه
١٥٥- إلى أن رمى مجنونهم برجيعة
فقد ضل قومٌ من مذاهبنا الأخرى
وأعمامه لكنهم آثروا السُّترا
على الناس في تأليفه ذلك السُّفْرا^(١)

أقول:

- ١٥٦- وطعنك في محمود شكري وجده
١٥٧- وكان بهم ركنُ الشريعة ثابتاً
١٥٨- لزلة مأفون يلطخ وجهه
١٥٩- وفرية أفاك بها بان خزيه
١٦٠- فما أنت والشَّم الذري يا ابن استها
١٦١- تصول كما السُّنور حرك ذيله
١٦٢- وتشم أهل الفضل والعلم والحجى
١٦٣- ومن بينهم محمود شكري تخصه
١٦٤- وترميه بالمجنون جهلاً كما رمى
١٦٥- وما ضره ذا الوصف فالحق أبلغ
١٦٦- عداك شبيثٌ والأحص ورحتَ في
وأعمامه من أحرزوا السبق والفخرا
وكانوا لآفاق الهدى الأنجم الزُّهرا
بعذرتَه إذ لم يجد للهجا عذرا
ولكنه في الكبر منتفخ كبرى
فهيئات أن تلقى لما قلته غفرا
ولم تدر أن الليث قد أنشب الظفرا
فما أنت إلا الكلب قد نبج البدرا
بكل مقال منه ساحته تَبْرى
بذا الوصف خيرَ الرسل من عقد الكفرا
وربُّ الوري زكى له الفعل والنحرا
مهامه خزي أشعث الرأس مُغبرا^(٢)

(١) يعني: محمود شكري الألوسي - رحمه الله -، وكتابه «غاية الأمانى»..

(٢) «شبيث» و«الأحص» موضعاً ماء، وَرَدَ ذكرهما في قصة حرب البسوس، وذلك أن كليلاً أمر قومه أن لا يشربوا منهما، وكان سيِّداً مُطاعاً، فلما تجاوزوهما طعنه «جساس»، فلما وجد طعم الموت قال: اسقني الماء. فقال جساس: «هيئات، تجاوزتَ شبيثاً والأحص». أي: ليس هذا موضع طلب الماء. يُضرب هذا المَثَل لمن يطلب شيئاً في غير وقته. (بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، للألوسي: ١٥٢/٢).

عدو مبين يُبغض السادة الغُرا
 جراءة موتور غدا يطلب الوُترا^(١)
 مديح رسول الله في نظمك الشعرا
 ولم يعرفوا زيدا ولم يعرفوا عمرا
 فلا تنظمن بيتاً ولا تنظمن شطرا
 بمدح الذي في حبه نغنم الأجر
 طريقة خير الرُسل تتبع الأثر
 لعيسى رسول الله أو أمه العذرا
 لآل رسول الله تستوجب الفخرا
 إذا لم يكونوا في الهدى سلكوا الأحرى
 تُحيط به اللعنات من كل من يقرأ
 وللمذهب المهجور تنصره نصرا
 على نشر كُتب لا تباع ولا تُشترى
 وأن الحمى من أهله قد غدا صفرا
 يذب عن الدين الحنفي ما يطرا
 تُمزق منك العرض بل تهتك السُترا
 بنص من القرآن والسنة الغُرا
 فأصبحت لا حمداً جنيت ولا شكرا
 هباءً وريحُ الحق تنشره نثرا
 بأقوالك الأسبابُ وانحصرت حصرا
 وسميتها للجهل رائيةً صُغرى

١٦٧- فلو كنتَ من نسل اليهود لقلتُ ذا
 ١٦٨- ولو كنتَ من نسل النصارى لخلتها
 ١٦٩- ولكنك المدّاح في الدهر تدعي
 ١٧٠- وتهجوا بنيه حيث في هديه اهتدوا
 ١٧١- إذا أنت في ذاك المديح مجازف
 ١٧٢- ولا تتمدح أنك اليوم مغرم
 ١٧٣- وماذا يفيد المدح إذا لم تكن على
 ١٧٤- فإن النصارى لم يُفدهم مديحهم
 ١٧٥- وفي حزب أهل الرفض كم من مدائح
 ١٧٦- فهل نفع المدحُ الذين لهوا به
 ١٧٧- وقدماً لقد ألفتَ شرَّ مؤلف
 ١٧٨- نصرتَ به كلّ ابتداع وفرية
 ١٨٩- فكنتَ نصير الشرك لا الحق دائباً
 ١٨٠- ظننت بأن الدين غاب حماؤه
 ١٨١- ولم تعتقد أن ثمَّ في الحي من يكن
 ١٨٢- فوافتك من محمود شكري صواعقُ
 ١٨٣- وردّك بالبرهان رداً مؤيَّداً
 ١٨٤- أدلة حق أفحمتك نصوصها
 ١٨٥- فأضحى الذي لففته وجمعته
 ١٨٦- ومذ بلغ السيل الرُبى وتقطعت
 ١٨٧- أخذتَ تبل الريق بالنظم دائباً

- ١٨٨- وكنت كذات النكت من بعد غزلها
 ١٨٩- أو الشور يؤذي العالمين خواره
 ١٩٠- وقلت وشُرُّ القول ما كان خالياً
 ١٩١- ولمت لمنع الاستغاثة جدّه
 وذا المغزل المشثوم تكسره كسرى^(١)
 فقبحاً له صوتاً ونفساً له ثورا
 من العلم والإنصاف مستجمعاً شرا
 ومن عمه نعمان قد ردت النكرا

أقول:

- ١٩٢- لقد هزلت أن بارز الهرُّ ضيغماً
 ١٩٣- فمن أنت يا مخذول حتى ترد ما
 ١٩٤- ومن أنت حتى تُرى اليوم لائماً
 ١٩٥- وتكبر منك النفس وهي حقيرة
 ١٩٦- فجد الفتى محمود شكري أخى النهى
 ١٩٧- وسل عنه أرض الفرس والروم تلق في
 ١٩٨- وقد طبّق الدنيا بأثار علمه
 ١٩٩- فروح معانيه على ذاك شاهد
 ٢٠٠- وشهرته تغني الشهاب عن الثنا
 وأمست بُغات الطير تستطرد الصقرا^(٢)
 يقول أولو التحقيق بالكذب والإزرا
 بحور الهدى والعلم هل تعرف البحرا
 وتحسب أن الدهر حُلِي بك الدهرا
 لعلامة الأمصار حقاً فسل مصرا^(٣)
 محافلها من طيب أخباره نشرها
 وأضحك بالإفتاء من ديننا الثغرا
 ففي كل بحث منه ما يُبهر الفكرها
 وأسفاره تكفي عن الملدح والإطرا

(١) قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَفَضَتْ غَزْلَهَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكَبَتْ﴾ نَتَّخِذُونَ أَيْمَنَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْقَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ، وَلَيَبَيِّنَنَّ لِلْكَافِرِينَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿[النحل: ٩٢]﴾.

(٢) الضيغم: الأسد. بغات الطير: أخبثها، وهي ما لا يصيد ولا يؤكل. وهذا مثل يُضرب للثيم يرتفع أمره.

(٣) ينهي الناظم على جد محمود شكري الألوسي، وهو: شهاب الدين محمود بن عبد الله الألوسي، صاحب تفسير «روح المعاني»، توفي عام ١٢٧٠هـ. طالع ترجمته بتوسع في «المسك الأذفر» (ص ٦٤-٨٥)، و«التاج المكلل» لصديق حسن خان (ص ٥٠٧-٥٠٩).

- ٢٠١- ومن عمه نعمان عَمَّت فضائل
 ٢٠٢- فقد عرف الناس الهدى بعد جهلهم
 ٢٠٣- وأيقظهم من بعد طول سُباتهم
 ٢٠٤- وذَكَر لا يخشى ملامة لائم
 ٢٠٥- وأرشدهم بعد العمى لرشادهم
 ٢٠٦- شقائقه هبت بغالية الثنا
 ٢٠٧- لك الويل قد أصبحت للعلم تدعي
 ٢٠٨- وتُسي لأهل الحق خصماً مشاغباً
 ٢٠٩- وما ذاك إلا النفس بالجهل سَوَّلَت
- فحمداً له حمداً وشكراً له شكراً^(١)
 وأيد في أقلامه السُّنة الغرا
 وأنقذهم من بدعةٍ تقصم الظهرا
 وللجاهل المحتار قد تنفع الذكر
 فهذا جلا العينين يجلو له الفخرا
 وآثار تحقيقاته أعيت الحصر^(٢)
 وتسحب بين الناس من عُجبك الأُزرا
 وتحسب أن قد زدت بين الورى قدرا
 لحاقاً بهم فاحساً ونزل في الدُّنا زجرا

قال:

- ٢١٠- غدا لفتى تيمية أي ناصر
 فهلاً استحق المصطفى عنده النصرا

أقول:

- ٢١١- وما لفتى تيمية كان ناصرأ
 ومنه الرسول الطُّهر لم يحرز النصرا
 ٢١٢- ولكنها الأهواء قادتك للشُّقا
 وداءُ الهوى يا ذا السفاهة لا يبرا
 ٢١٣- فهل كان ذاك الحَبر إلا متابعأ
 لخير الورى في هديه عقد الأُزرا

(١) يثني الناظم على عم محمود شكري الألوسي، وهو خير الدين نعمان بن محمود الألوسي، صاحب كتاب «جلاء العينين في محاكمة الأحمدين» - أي: ابن تيمية وابن حجر الهيتمي -، وقد انتصر في كتابه لشيخ الإسلام. توفي عام ١٣١٧هـ. طالع ترجمته بتوسع في «المسك الأذفر» (ص ١١٠-١١٦)، و«التاج المكلل» (ص ٥٠٩-٥١٢).

(٢) يشير إلى كتابه «شقائق النعمان في رد شقائق ابن سليمان» قال محمود شكري الألوسي: «وهو كتاب جليل، رد به على بعض معاصريه». «المسك الأذفر» ص ١١٥. قال المحقق: «وهو رد على رسالة للسيد داود بن سليمان العاني النقشبندي، التي رد بها على عبارة للإمام ابن التناء الألوسي».

وَيُرْخَص فِي إِعْلَاءِ شَرَعَتِهِ الْعُمَرَا
يَذُودُ بِمَصْقُولِ غَدَا يَفْلُقُ الصَّخْرَا
وَأَثَارُهُ أَمَسَتْ لِكُلِّ الْوَرَى عَطْرَا
وَعِنْدَكَ أَنْ النَّصْرَ أَنْ تَنْظِمَ الشُّعْرَا
وَتَكْلَاهُ مِمَّنْ يَرُومُ لَهُ هَجْرَا
بِهَ اللَّهِ أَحْيَا دَارِسَ الْعِلْمِ وَالذِّكْرَى
فَبِدَلِّهَا مِنْ بَعْدِ تَحْقِيقِهِ يُسْرَى^(١)
أَرَأَيْتَ لَهُمْ سَهْمًا فَلَمْ يَخْطِ الْنَحْرَا
وَجَرْدَ سَيْفًا أَحْرَزَ الْفَتْحَ وَالنَّصْرَا
عَلَى ذِي الْوَرَى اللَّهُ مَتَّهَ الْكِبْرَى
مَدَحَتْ شَفِيعَ الْمَذْنِبِينَ أَبَا الزَّهْرَا
تَشَرَّفَ فِي أَوْصَافِهِ النِّظَمَ وَالنُّشْرَا
وَلَوْ أَتَلَفَ الْمَشْتَأَقُ فِي حُبِّهِ الْعُمَرَا
طَوَيْتَ عَلَى تَأْيِيدِهَا الْكَشْحَ وَالْخَصْرَا^(٢)
تَقُولُ وَفِيهِ الشُّكُّ تَحْصِرُهُ حَصْرَا^(٣)
تَدِينُ بِمَا دَانُوا وَتَقْفُوا لَهُمْ إِثْرَا

٢١٤- يتابعه في نهجه وفعاله
٢١٥- وكان لدين الله خير محافظ
٢١٦- فأسفاره قد بينت سُنن الهدى
٢١٧- ولكنك المفتونُ ضل سبيله
٢١٨- وما النصر إلا أن تؤيدَ دينه
٢١٩- ومن ذاك إلا نجل تيمية الذي
٢٢٠- فكم خطة يا خبُّ في الدين أعسرت
٢٢١- وكم من عداة للإله ودينه
٢٢٢- فعنه سل التاتار من قلَّ جمعهم
٢٢٣- وعنه سل التاريخ ينبيك أنه
٢٢٤- ومحمود شكري لم يعاديك حينما
٢٢٥- ورحت له بالنظم والنثر خادما
٢٢٦- فخدمته فخرٌ ومجدٌ مؤئلا
٢٢٧- ولكن على تأييدك البدع التي
٢٢٨- وإن كنت في شك من النسب الذي
٢٢٩- فأنت لدين الجاهلية متمي

(١) الحَبُّ: المخادع الغشاش.

(٢) الكَشْحُ: ما بين الخاصرة والضلوع. ومعنى الأبيات أن الألوسي - رحمه الله - لم يرد عليك؛ لأنك مدحت النبي ﷺ كما تحاول أن توهم الأغرار، إنما ردَّ على بدعك وشركياتك.

(٣) ردُّ على تشكيك النبهاني في نسب الألوسي! وهذا من أفعال الجاهلية - كما قال ﷺ: «أربع في أمتي من أمر الجاهلية لا يتركونهن: الفخر في الأحساب، والظن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة» أخرجه مسلم (٢١٦٠).

- ٢٣٠- لذاك نراك اليوم بالجهل شاتماً
 ٢٣١- وتبغضه إذ لم يكن لك مثله
 ٢٣٢- فذاك الذي نرجوه الفوز والهدى
 ٢٣٣- وذاك الذي أضحي إلى الخير داعياً
 ٢٣٤- فأثارة بانث لبادٍ وحاضرٍ
 ٢٣٥- تقوم به للحق همة سيد
 ٢٣٦- فيا شرف الإسلام إذ جاء للهدى
 ٢٣٧- به يُجمع الإسلام بعد شتاته
 ٢٣٨- فمت أيها المغبون غيظاً وحرقة
 ٢٣٩- أخا حشرات في فؤادك أججت
 ٢٤٠- وأختم قولي بالصلاة مُسَلِّماً
 ٢٤١- كذا الآل والأصحاب والسلف الألى
- منار الهدى والله يرفعه قسراً^(١)
 وهل يخطب الحسنة من فقد المهر
 وربط إخاء المسلمين بلا إمرا
 و(في دعوة الإرشاد) نبدي له الشكراً^(٢)
 وأنواره قد عمت البر والبحرا
 (رشيد) لنهج الحق ترفعه ذكرا
 (منار) به يختال رافعه فخرا
 وتسمو به الأيام باسمه ثغرا
 ونل من مساعيك الندامة والوزرا
 زفيراً وفي أحشائك النار والجمر
 على المصطفى المختار خير الورى طرا
 لنشر الهدى قد جردوا البيض والسُمر^(٣)

تمت، والحمد لله رب العالمين

* * *

(١) يشير إلى شتمه لمجلة «المنار» وصاحبها محمد رشيد رضا - رحمه الله -.

(٢) يشير إلى إنشاء رشيد رضا لمدرسة «دار الدعوة والإرشاد» عام ١٣٣٠ هـ، التي تخرّج منها ثلة من دعاة السلفية بمصر. (انظر: محمد رشيد رضا - طود وإصلاح...، للدكتور خالد فوزي، ص ٢٣-٢٤).

(٣) البيض: السيوف. السُمر: الرماح.

الحمد لله الذي صطفى من عباده انصاراً وجعلهم ظاهرين على الحق لا يضرهم من
خذلهم سرا وجهاراً ومزق باسنة سنة فخر اهل ووداه جموع الايتداع فحازت
ذلاً وانكساراً والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي تشرع به النوع الانساني
وكان منه محتاراً فاصبح من لم يسير على ضؤ مشكاة هداية في فحمة محتاراً وعلى آله
واصحابه الذين جردوا الاعلاء كلمة الحق سيوف عزهم لم تقب على الارض من الكافرين
دياراً اما بعد فقد وقفت على القسم الخامس من الرائية الصغرى التي تشدق بها
يوسف النبهاني وملا ما ضغيه بها فخر وطن انه قد اوتي قرطبي يارية او فاز بمنقبة
ياسارية واستسمن ذاو رم ونفخ في غير ضرر وراح في ائمة الهدى طاعنا ومن
تبهم لاعناق ضمخها بعدرة الفشر والزور ولطنجها بحماة الكذب والفجور وكان
القول الاحق ان نمسك القلم عن هذا الاحق لو كل كلب عوى القمنه حجة الاجم
الصخر معدود من الذهب اذ لا جواب له غير السكوت لانه بنى بيتا واهن من
بيت العنكبوت وحيث ان عدم الرد عليه وما بعد عجزا ويطن انه ممثل من
عزب فاذل ذلك اجر بيت اليراع في رد هذا الجاهل وان كنت في شغل شاغل
فقلت وبالله المستعان وعليه التكلان +
اجلت بطري في نحو رائية صغرى فاصغر قها مضممت الزور والوزرا

منار) به يفتال رافعه فخر وتسموا به الايام باسمه ثغرا ونزل من مساميك النامة والازل زفيرا وفي احشائك لنا دواجر على المصطفى المختار خير الورد طرا لنشر الهك قد جرد والبيض السمر	حرف الاسلام اذ جاء للهدى مع الاسلام بعد شتاته أمت ايها الغبون غيضا وحرقة اخا حيرات في قوادك اججت واختتم قولي بالصلاة مسلما كذا الآل والاصحاب بالسلف الاول
---	--

(٢)

منظومة

الشيخ المؤرخ إبراهيم بن عيسى

- رحمه الله -

(ت ١٣٤٣ هـ)

ترجمته^(١) :

هو الشيخ إبراهيم بن صالح بن إبراهيم بن محمد بن عبدالرحمن بن حمد بن عبدالله بن عيسى بن علي بن عطية، وعطية هو أب بطن كبير من بني زيد من جذم قضاة.

وأما قضاة فهو ابن مالك بن عمرو بن مرة بن زيد بن مالك بن حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، فقضاة شعب قحطاني. وأكثر الناس يلحقون قبيلة بني زيد بقضاة، وبنو زيد يقرونهم على هذه النسبة، والناس أمناء على أنسابهم.

فالترجم من - آل عبدالله - عشيرة من آل عيسى، الذين هم فخذ من بني عطية، وهم بطن كبير في بني زيد القبيلة القضاة القحطانية.

ويجتمع بالشيخ - علي بن عبدالله - بجدهما - حمد بن عبدالله - الذي له ابنان؛ أحدهما محمد، وذريته يقال لهم - آل محمد -، ومنهم الشيخ علي قاضي شقراء أربعين سنة، والشيخ أحمد بن إبراهيم قاضي بلد المجمع، فهذان الشيخان من آل محمد، والمترجم من آل عبدالرحمن.

وهذا النسب من أوله من مذكرات عن الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى، وعن غيره من نسابي نجد، وفي آخره من جمهرة ابن الكلبي وجمهرة ابن حزم.

(١) نقلاً عن: «علماء نجد خلال ثمانية قرون» للشيخ عبدالله البسام - رحمه الله - (١/٣١٨ - ٣٣١) وترجمة الشيخ إبراهيم معلومة مشهورة، من أوسعها وأفضلها وأدقها وأغزرها بالوثائق: ما كتبه عنه الأخ الكريم عبدالله البسيمي - وفقه الله - في رسالته «العلماء والكتاب في أشيقر» (٢/٣٠٩-٣٥٩).

نسبه من الأم:

أما نسبه من قبل الأم، فأخواله آل فريح من تميم من العناقر؛ لأن والدته منيرة بنت عبدالله بن راشد بن عبدالله الفريح، وقد ذكر في تاريخه وفاتها في ضحى يوم الاثنين سبعة عشر محرم عام ١٣١٤هـ في أشيقر. وآل فريح الذين منهم والدته هم من العناقر من بني سعد بن تميم. كما ذكر في بعض مجاميعه التاريخية أن والده توفي في أشيقر ضحوة السبت خامس شعبان عام ١٣٢٢هـ، وصُلِّي عليه بعد الظهر. وعلى هذا وُلد المترجم في بلد أخواله أشيقر في اليوم التاسع عشر من شهر شعبان عام ١٢٧٠هـ، ونشأ نشأة صالحة من العفة والقناعة والصلاح والبعد عن المظاهر، فتعلَّم مبادئ الكتابة والقراءة، وحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب، ثم أخذ في طلب العلم وأكب عليه، ورحل إلى البلدان البعيدة والقريبة من أجله، فأول رحلة قام بها للعلم إلى المجمع عاصمة سدير، ثم رحل إلى مدينة عنيزة للأخذ عن علمائها، ثم رحل إلى الزبير وكان أهلاً بعلماء الحنابلة فأخذ عنهم، ثم تجول في بلدان العراق، ثم سافر إلى الهند، وليس له غرض من هذه الرحلات إلا العلم ومجالسة العلماء، والبحث معهم، واقتناص الأخبار التاريخية والفوائد الأدبية، حتى أدرك في العلوم الشرعية والعربية والتاريخية والأدبية إدراكاً تاماً، لاسيما في الأدب والتاريخ القديم والحديث، فقد عُدَّ من مراجعه والمعتمد عليه فيه.

وقال عن نفسه: وفي سنة ١٣١١هـ حججت حجة الإسلام، وقضيت فيها مناسك الحج في صحة وعافية، فله الحمد، وكذلك حج الناس في

هذه السنة وقضوا مناسكهم في صحة وعافية.

وكان كريم النفس، جم التواضع، حسن العشرة، لطيف الروح، أنيس المجلس لهذه الأخلاق العالية، ولما يحفظه ويحسن إirاده من النوادر الأدبية والتحف التاريخية.

وهكذا صارت له محبة في القلوب، وحسن ذكره على الألسن، وثقة في النفوس، حتى إن الملك عبدالعزيز رحمه الله أمره أن يؤرخ لنجد حيث وقف قلم عثمان بن بشر، فلبى رغبته بتاريخه الذي تختلف نسخه اختصاراً وبسطاً، تبعاً لاختلاف نسخ المؤلف، فإنه يزيد وينقص.

واستمع إليه يحدثنا عن سبب تأليفه لتاريخه الذي جعله ذيلاً على تاريخ ابن بشر، وقد ذكر ذلك في أول رسالة له إلى بعض أصحابه فقال: ويمكن أنه بلغكم أن الإمام المكرم عبدالعزيز أعزه الله بطاعته طلب منا كتابة ذيل على تاريخ ابن بشر، والإمام أطال الله عمره ليس له معرفة بحالي، وصار طريقه على أشيقر في العام الماضي، وظهر له كبار الجماعة للسلام عليه، وأنا ما ظهرت معهم؛ لأن الإمام لا يعرفني، وأنا ما لي دخل في أمر الجماعة وإلاً فالإمام وفقه الله لكل خير يعطي طلبه العلم عطاء جزيلاً وأفعاله جميلة، فدخل الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ البلد وقال: إن الإمام حيث ذكر أنك تؤرخ حوادث نجد، ويلزمك مواجهته لتعرض عليه الذي عندك من التاريخ، وظهرت أنا والشيخ محمد، وعرضت على الإمام الوريقات التي كتبتها، وقال: بودي أنك تبسط ذلك، وتستقصي جميع الحوادث، وإذا حصل منك ذلك؛ فإن شاء الله أعطيك عطية جزيلة، ولا أرفع النظر عنك، فسرعت في تبييض ذلك.

مشايخه:

١- الشيخ أحمد بن إبراهيم بن عيسى قاضي المجمع قرأ عليه فيها في التوحيد والفقه، وقد أجازته في رواية الكتب الأمهات الست وغيرها من كتب العلم.

٢- الشيخ صالح بن حمد المبيض قاضي الزبير. قرأ عليه في الزبير.

٣- الشيخ عيسى بن عكاس قاضي بلد الأحساء. قرأ عليه في الفقه والفرائض والنحو وعروض الشعر.

٤- الشيخ علي بن عبدالله بن عيسى قاضي شقراء. قرأ عليه فيها الفقه والفرائض.

.. وغير هؤلاء كثير ممن جالسهم واستفاد منهم، فقد سافر إلى العراق والهند وأخذ عن علماء تلك البلاد، ثم عاد إلى بلده أشيقر وقد توسعت مداركه، وكثرت علومه، وتعددت فنونه.

وقد أثنى عليه أخص تلاميذه: الشيخ سليمان الصالح البسام فقال عنه:

«الشيخ الفاضل إبراهيم بن صالح بن عيسى، كان عالماً فاضلاً، له في كل علم باع طويل، سواء كانت شرعية أو لغوية أو تاريخية، أو ما يصل بالأنساب، أو غير ذلك من المعارف، فقد تجول في كثير من البلاد للأخذ عن علمائها». اهـ.

والمترجم بحاث لا يمل ولا يضجر من طلب العلم، وأخذ عن أهله، وعني العناية التامة بتاريخ نجد وأنساب أهلها، وأخبارهم، وأخبار بلدانهم، مما جعله مرجعاً في ذلك لأكابر العلماء، فصاروا يرسلونه

ويسألونه عما أشكل عليهم في ذلك.

فهذا الشيخ العلامة إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ يبعث إليه بهذه

الرسالة فيقول فيها:

من إبراهيم بن عبداللطيف إلى الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى -
بعد الديباجة - أخي من طرف سبل آل مبدد جاءنا خط من الإمام
عبدالعزیز بن عبدالرحمن ذكر فيه أننا نستعرض أوراقهم، وإن كان آل
يحيى أقرب من ينتسب لهم اليوم، وعرض علينا ابن يحيى ورقتين،
فالمأمول من إحسانك أخي إن كان عندك معرفة في نسبهم فوضحه لنا.

وقد مدح المترجم العلامة الشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ
بقصيدة، فأجابه الشيخ عبدالله بن عبداللطيف على عادته في مراسلة
العلماء والتلطف معهم برسالة كريمة وقصيدة من نظم الشيخ سليمان بن
سحمان جاء فيها:

«من عبدالله بن عبداللطيف إلى جناب المكرم الأخ اللبيب والفاضل
الأديب الأريب المحب: إبراهيم بن صالح بن عيسى سلمه الله - بعد
ديباجة بليغة - قال الشيخ عبدالله:

وما ذكرت صار معلوماً، خصوصاً ما في الكتاب من تحفتك باللالئ
المنظومة، فسرني ما فيها من ائتلاف الكلم، ومتانة الصياغة، وحسن
الفصاحة، والوزن المتين، وقد أجابك عنها الأخ سليمان بن سحمان
جعلكما الله من أنصار السنة.

أهاجك رسم بالديار الدوائر بركة فالوعسا فأكناف حاجر
ديار فتاة كالمهاة لحاظها أحد من البيض المواضي البواتر

لئن أصبحت قد حازت الحسن دأبها لقد حاز إبراهيم جم المآثر
فأبدى بديعاً من عويص قريضه تشام المعاني المحكمات لناظر
معاني مبانيه الطوامح في العلا لآلى أصداف البحور الزواجر
فيا أيها الأخ الأكيد إخاؤه تمسك بأصل الدين سامي الشعائر
وكن باذلاً للجد في طلب الهدى من العلم إن العلم خير الذخائر
وما العلم إلا الاتباع وضده فذاك ابتداع من عضال الكبائر
... إلى آخر القصيدة التي مضى يحض فيها على التمسك بالعقيدة
الصحيحة، وترك آراء الرجال التي لا تستند إلى دليل، والبعد عن الشرك
والابتداع.

وهذه رسالة له من العلامة عبدالله بن خلف الكويتي، مؤرخة في
٨ / ١١ / ١٣٤٢ هـ، جاء فيها:

فقيه الأدباء وأديب الفقهاء سيدي شيخنا إبراهيم بن صالح بن عيسى
- وبعد ديباجة كلها ثناء ودعاء - قال له: وذكرت أدام الله لك الذكر
الجميل أنك اتخذت عنيزة دار إقامة، أحسن الله لك العاقبة بلا ندامة،
وإنها لنعم الدار، وإن جوار أهلها لمن أحسن الجوار، بَارَكَ اللهُ لك في
منزلها، وقَرَّتْ عينك بملاحظة أهلها، فلك الهناء بقوم يُكرمون ولا
يمكرون، ويُحسنون ولا يُحزنون، ويُسرون ولا يسيئون، كان الله لك
ولهم، وأحسن إليك وإليهم.

وإني أعزبك دامت معاليك بوفاة أخيك علامة العراق وبدر تلك
الآفاق، السيد محمود شكري الألوسي، فقد توفي في أربعة شوال هذه
السنة على إثر مرض ذات الجنب، أصابه في منتصف رمضان، وارتجت

بغداد لموته، واجتمع في جنازته عالم كثير من أهل السنة ومن الشيعة، وفيهم العلماء والكبراء والوزراء، ودفن في مقبرة الجنيد بعيدة عن البلد ساعة، رحمه الله رحمة الأبرار وأحسن عزاك، وأمتع بك العلم والعلماء... إلى آخر الرسالة التي كلها ثناء وتبجيل وتقدير.

وأرسل إليه الشيخ الفقيه علي بن عبدالله بن عيسى يقول:
من علي بن عبدالله بن عيسى إلى المكرم الشيخ إبراهيم بن صالح بن عيسى - بعد الديباجة :-

المرجو تجربنا عن هذين البيتين، وتعربهما لنا وتضبطهما بالشكل،
لأجل قد حصل لنا في معناهما بعض الإشكال:

فلا أض برق من منازلہ فما تخيرت أني في علاہ أسير
لك الله ما في القلب غيرك ساكن وليس لطرفي من سواك نظير

تلاميذه:

كان لا يمل التدريس والبحث، وكان يدرس طلاب العلم في بلدة أشيقر، فكان في أول النهار يدرس لهم في جامع البلد، وفي آخره في مسجدھا الجنوبي، وكذلك درس في بلدة عنيزة، وفي هاتين البلدين أدرك على يديه علماء، فمن تلاميذه البارزين:

١- الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن جاسر رئيس محكمة التمييز في المنطقة الغربية للبلاد السعودية، وبين الشيخ وتلميذه مكاتبات كثيرة أغلبھا يتعلق بالبحث عن علماء نجد وعلماء أشيقر بالذات.

٢- الشيخ عبدالله بن عبدالوهاب بن زاحم رئيس محاكم منطقة المدينة المنورة.

- ٣- الشيخ محمد بن علي البيز رئيس محاكم منطقة الطائف.
 - ٤- الشيخ عبدالرحمن بن ناصر آل سعدي صاحب المؤلفات المشهورة.
 - ٥- الشيخ سليمان بن صالح بن حمد آل بسام، وهو أخص أصحابه به وأحبهم إليه، وله منه إجازة مطولة.
 - ٦- الشيخ محمد بن عبدالعزيز السناني.
 - ٧- الشيخ عمر بن محمد بن فنتوخ.
 - ٨- الشيخ عبدالله بن حمد الدوسري.
 - ٩- الشيخ عبدالله بن خلف الدحيان الكويتي.
 - ١٠- الشيخ محمد بن عبدالرحمن بن موسى المغيري من أهل أشيقر، وهو من كبار العلماء.
- وقد أخذ عنه كثيرٌ غير هؤلاء ممن لا تحضرني أسماؤهم.

مؤلفاته وشعره وآثاره:

لا أعرف أحداً من علماء نجد خدم تاريخ نجد مثله، وتعب في تقييد أخباره، وتسجيل حوادثه وضبط أنسابه، حتى عد - بلا مراء - مرجعاً فيه، وإنني أنا كاتب هذه الأسطر قد عولت عليه في كثير من أخبار وتراجم وأنساب هذا الكتاب الذي أكتبه الآن، وعلماء نجد الكبار يكتبون إليه ويستفيدون منه في ذلك، وقد رأيت كتباً من الشيخ عبدالله بن عبداللطيف والشيخ محمد بن عبداللطيف والشيخ سليمان بن سحمان والشيخ محمد بن عوجان والشيخ عبدالله بن خلف والشيخ عبدالله بن جاسر والشيخ محمد بن علي البيز، والشيخ عبدالرحمن الناصر آل سعدي وغيرهم يسألونه عن الأنساب والتراجم والأخبار، وأجد بعض أجوبته لهم مسودة على ما كتبوه إليه.

من مؤلفاته :

- ١- تاريخ نجد سماه «عقد الدرر» جعله ذيلًا على تاريخ ابن بشر، وقد ألفه بأمر الإمام عبدالعزيز آل سعود، وقد طبع مراراً، وانتهى المطبوع منه إلى عام ١٣٠٣هـ.
 - ٢- تاريخ لنجد يتدئ من عام ١٣٠٣هـ إلى ١٣٣٩هـ، وآخر خبر فيه وفاة الشيخ عبدالعزيز النمر، ويُعتبر مكملًا للتاريخ الذي قبله، وهو لا يزال مخطوطاً بخط المؤلف.
 - ٣- تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد، يتدئ من عام ٨٢٠هـ إلى عام ١٣٤٠هـ، إلا أنه نبذ تاريخية غير متوالية، وقد طبع في دار اليمامة.
 - ٤- نبذة عن بلاد العرب، ويظهر أنها ملخصة من معجم البلدان.
 - ٥- نبذة عن تاريخ أشرف مكة المكرمة، وقد صرح بأنها ملخصة من كتاب زيني دحلان «أمرء البلد الحرام».
 - ٦- نبذة عن أيام العرب، ملخصة عن عدة مراجع.
 - ٧- مجاميع كثيرة تقع بأحجام صغيرة يقيد فيها ما يراه أو يسمعه أو يقرأه من الفوائد؛ في التاريخ والأنساب والآداب والعلوم، وأغلب نقله في النسب والتاريخ، وهذه المجاميع مفرقة عند الناس، لو جُمعت ولُخصت ورُتبت لحصل منها علم غزير في تاريخ وأنساب أهل نجد، لكنها مفرقة ومضنون بها عند أهلها.
 - ٨- جزء متوسط في أنساب العرب القحطانيين والعدنانيين.
- أما شعره فقد اطلعت على كثير من قصائده، وفيها قوة وجودة،

فليست من نوع شعر العلماء الذي ليس فيه الحلاوة الشعرية، وإنما هو من شعر أهل الأدب في جزالته وقوته وسلاسته، في مناسبات؛ إما رثاء عالم أو مدح كبير أو عتب صديق، ولو جُمعت لجاءت ديواناً متوسطاً.

٩- نظم مطول ردّ به على يوسف بن إسماعيل النبهاني، وقد انتهى منه في رابع عشر ذي الحجة ١٣٣٢هـ، ويقع في نحو مئتي بيت، ومطلع النظم^(١):

لك الحمد يا من يعلم السّر والجهر	لك الحمد في السراء مني وفي الضرا
ومنها في مدح علماء الدعوة:	
هم الأنجم الزاهرة الذين بعلمهم	غدا ثغر هذا الدين بالبشر مفترا
هم الأمة الناجون والفرقة التي	تمسك بالحق المبين على الضرا

نوادره وملحه:

يروى تلميذه وصديقه الشيخ سليمان بن صالح آل بسام الكثير من هذه الملح والطرائف، ولكن يضيق بنا المجال عن إيراد شيء منها، وعسى الله أن يسهل لي أن أجمع ما عندي له من القصائد والفوائد، وأضيف إليها هذه التحف والنوادر في جزء خاص بها، فإنها من أدبنا الحي الجيد.

(١) سيأتي كاملاً - إن شاء الله -.

أعماله :

لمّا تولّى الأمير محمد بن رشيد على القصيم عام ١٣٠٨هـ، كتب أعيان أهل عنيزة إليه أن يعين فيهم المترجم قاضياً ومدرساً وخطيباً في بلادهم، فكتب إليه ابن رشيد فامتنع.

قال لي تلميذه الشيخ عبدالله بن جاسر: أطلعني المترجم على خطاب أعيان مدينة عنيزة في طلبهم إياه للقضاء - وفيه أختام كثيرة من أعيانهم - ولكنه امتنع ورفض ذلك حباً في السلامة، وابتعاداً عن الشهرة. وظل دائباً في التدريس والتعليم وتحقيق التاريخ والنسب في نجد حتى توفاه الله.

وكذلك لمّا عُزل الشيخ عبدالله بن عائض عن قضاء عنيزة عام ١٣١٨هـ، عرض أهل عنيزة على المترجم القضاء فامتنع.

وفاته :

كان المترجم يتردد على عنيزة، ويقوم فيها المدة الطويلة، وله فيها أصحاب وأحباب، يأنس بهم ويأمنون به، ويجلونه، ويعرفون قدره وفضله، وفي آخر سني حياته استوطن عنيزة، ورحل إليها بأهله وأولاده، وسكنها حتى توفي فيها.

قال تلميذه وصاحبه الشيخ سليمان الصالح البسام: توفي ضحى يوم السبت الثامن من شهر شوال عام ١٣٤٣هـ، وصُلِّي عليه بعد صلاة العصر في جامع عنيزة، وقد حضر الصلاة عليه وتشيع جنازته جم غفير من الأعيان والعامّة، وتأسّفوا عليه، وكَبُرَتْ عليهم مصيبتُهُ.

وله من الأبناء: عبدالعزيز، وعبدالرحمن، ولهما أولاد. رحمه الله تعالى، آمين.

وقد رثاه الأديب أحمد بن صالح البسام:

مصير بني الدنيا إلى منزلٍ خالي	بصحراء تبدي دارس الطلل البالي
بصحراء تدعو دارس العمر إذ دعت	لها الحبر إبراهيم في عشر شوال
ترحل مأسوفاً عليه وسعيه	سيبقى حميداً في قرون وأجيال
همامٌ قضى الأيام بالسعي نابذاً	سفاسف أقوال مجدداً بأعمال
همامٌ قضى الأيام في الدرس ساعياً	لتحصيل علم لا لتحصيل أموال
تلقى فنون العلم مذ كان يافعاً	صبيّاً وكهلاً في نشاطٍ وإقبال
فخاض عباب البحر للعلم طالباً	كذا البيد يطوي في وخيد وإرقال
فهنداً أتى ثم الحجاز وجلقاً	وسار إلى أرض العراق لإكمال
وكر إلى نجد يثُ علمه	على مَجْمَع الطلاب يلقي لأمثال
فذا شيخنا حبر الورى جل في الورى	بأخلاقه المثلى له الله من عالي

* * *

المنظومة

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله معلي الحق ومعلنه، وموهي
الباطل وموهنه، أحمده سبحانه الذي هدانا للإسلام، وجنبنا طرائق أهل
الشرك والبدع والآثام، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا ند
له ولا وزير ولا ظهير، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله البشير النذير،
والسراج المنير، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين، وعلى من
اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وسلم تسليماً كثيراً.

أما بعد؛ فيقول العبد الفقير إلى ربه، المعترف بتقصيره وذنبه، إبراهيم
ابن صالح بن عيسى: إني وقفتُ على القسم الخامس من القصيدة
المسماة بالرائية الصغرى، لرافع راية الحزب الشيطاني، الضال المضل
الملحد يوسف بن إسماعيل النبهاني، فوجدتها ركيكة المعاني، واهية
المباني، ناصرةً للشرك والمشركين، ومؤيدةً لمذهب الاتحادية
الملحدين، وقد أكثر فيها من الهُمُط والهذيان، والضلالات والطغيان،
والسب والتضليل لأهل الإسلام والإيمان، واستحباب دعاء الصالحين
والاستغاثة بهم في كل وقت وحين، وقد استعنتُ الله تعالى على ردِّ شبهه
ونقض ما لبَّسَ به من حججه، والله أسأل أن يهدينا صراطه المستقيم، وأن
يجعل ما كتبتَه خالصاً لوجهه الكريم، وحسبنا الله ونعم الوكيل، ولا حول
ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

- ١- لك الحمدُ يا مَنْ يعلم السِّر والجهرًا
- ٢- لك الحمدُ يا مولاي والشكر والشا
- ٣- لك الحمدُ كُلُّ الحمد أنت هديتنا
- ٤- وجنبتنا منّا وفضلاً ورحمة
- ٥- كَفَدَمَ بني نبهان يوسف من غدا
- ٦- فألفَ سِفْراً من شواهد باطل
- ٧- ومن بعده أبدى العنيد قصيدة
- ٨- فتبّاً لها بُغْداً لها مَا أَضْلَاهَا
- ٩- وتطعن في الدين الحنيفي جُهدَهَا
- ١٠- وأترع بالسب والمَين والخنا
- ١١- وحاصلها ذمٌ لكل موحد
- ١٢- فأقبح به شعراً هجينا ملفّقاً
- ١٣- فيا جهلاً بالله ثم رسوله
- ١٤- هُبِلَتْ تظن الآن أنك مسلم
- ١٥- وأنت بدين الجاهلية دائن
- ١٦- وترهبهم طوراً وترغب تارة
- ١٧- وتعبد خير الرسل في الدين غالباً
- ١٨- وتحسب أن الدين هذا لك الردى
- لك الحمدُ في السراء مني وفي الضرا
- على نَعَمٍ لا نستطيع لها حصراً
- إلى الملة البيضاء والسنة الغرا
- طرائق أهل الشرك والبدع الكبرى
- يُحَرَّرُ في تقسيمه الشر والشعرا^(١)
- وَضَمَّنَهُ كَفْراً فأقبح به سِفْراً
- دعاها حليف اللؤم رائية صغرى
- وَسُحْقاً لها إذ تنصر الشرك والكفرا
- وتتلب أهليه وتشتتهم جهرا
- وبهت خيار الناس أرشدتهم أمراً^(٢)
- وَيُغَضُّ لأهل الحق أجمعهم طُراً
- بدى من أشر الناس أعظمهم وزرا
- وبالدين يا من كان قد أشبه الثورا
- وفي حُبِّ خير الخلق منفقاً العمرا
- فتدعو مع الرحمن آلهة أخرى
- إليهم ليخبوا الخير أو يكشفوا الضرا
- غلوّ النصارى في ابن مريم بالإمطرا
- تَعِسَتْ وهذا من سفاهتك الكبرى

(١) الفَدَم: ثقل الفهم.

(٢) المين: الكذب.

- ١٩- فأنت يبحر الجهل والشرك غارق
 ٢٠- ولم تدبر حقاً ما عبادة عابدي
 ٢١- عبادتهم أو أناتهم بدعائها
 ٢٢- وذبح لها والاستغاثة والرجا
 ٢٣- لتشفع عند الله ربهم لهم
 ٢٤- ولم يزعموا لمادعوها بأنها
 ٢٥- كما في تفاسير الأئمة قد أتى
 ٢٦- ومن جهلك الطامي المشوب وقاحة
 ٢٧- (وأعجب شيء مُسلم في حسابه
 ٢٨- أولئك وهاية ضل سعيهم
 ٢٩- كذبت وكان الكذب منك سجية
 ٣٠- لأنهم قد أسلموا لإلههم
 ٣١- وكان رسول الله صلى الله عليه
 ٣٢- أولئك وهاية كان سعيهم
 ٣٣- هم الأنجم الزهر الذين بعلمهم
 ٣٤- هم الأمة الناجون والفرقة التي
 ٣٥- هداة أولوا علم وحلم وحكمة
 ٣٦- وما قلته فيهم من الزور والخنا
 ٣٧- وأنتم لفرط الجهل منكم ظنتمو
- وقد ضل سعي منك إذ تعمل الشرا
 سُواع وودّ والألى عبدوا نَسرا
 وخشيتهم منها وجعل لها النذرا
 وعود بها في الكرب إذ رهبوا الضيرا
 وتدنيهمو عند الذي يُنزل القطرا
 تدبر دون الله خلقاً ولا أمرا
 وفي سيرة الهادي دراه الذي يقرا
 مقالك في الأخيار إذ تنشد الشعرا
 غدى قلبه من حب خير الورى صفرا
 فظنوا الردى خيراً وظنوا الهدى شراً
 وأنت بما قد قلته فيهمو أخرى
 فلم يُشركوا شيئاً بمن دبّر الأمرا
 عليه أحب الخلق عندهمو طُرا
 لدى الله مشكوراً وبالحق هم أدرا
 غدى ثغر هذا الدين بالبشر مفترا
 تمسك بالحق الممين على الصُرا
 كرام المساعي أحرزوا المجد والفخرا
 فليس يضر الأسد كلبٌ إذا هراً^(١)
 الضلال هدى والخير كان هو الشرا

(١) يقال: هراً الكلب إذا نباح، وكشر عن أنيابه.

- ٣٨- جعلتم رسول الله ندًا لربكم
 ٣٩- تخافونهم ترجونهم وجعلتمو
 ٤٠- كعباد وُدًا ذغلوا وبغوثهم
 ٤١- غلوا فيهمو من عظم حبّهم لهم
 ٤٢- فمن يا عباد الله أولى بأحمد
 ٤٣- أولئكمو أم نحن أتباع دينه
 ٤٤- فلو كنتمو حقًا تحبّون أحمدًا
 ٤٥- فلم توجدوا قالين دين نبيكم
 ٤٦- فآليتُ بالله العظيم لأصبحت
 ٤٧- وأنكمو أعداء عدوّ نبيّنا
 ٤٨- وقولك يا مغرور فيما نظمته
 ٤٩- (ضعاف النّهي أعراب نجد جدودهم
 ٥٠- مسيلمة الجدّ الكبير وعرسه
 ٥١- بفيك الحصى يا قدّم ويحك فاتّشد
 ٥٢- كرامُ المساعي أهل نجد جدودهم
 ٥٣- هم العرب العربا الذين قد امتطوا
 ٥٤- أجلّ رسول منهمو ولسانهم
 ٥٥- بسُمر العوالي جاهدوا كل مشرك
- وصالح خلق الله آلهة أخرى
 لهم ذلك القربان والذبح والنذرا
 وعُباد نَسِرِ حذوك النعل بالأخرى
 غلّوكم في أفضل الخلق بالإطرا
 وملته الييضا وستة الكبرى
 أطعناه لانعصي له أبداً أمرا
 يقيناً لسرتم في محجته سيرا
 ولم نلفكم ورا من عبدوا نسرا^(١)
 قلوبكم من دين خير الوري صفرا
 وأبغض عند الله من سكن الغبرا
 وأبرزته يلهو به كل من يقرا
 وقد أورثوهم عنهم الزور والوزرا
 سجاح لكل منهم الجدّة الكبرى
 فأنّت بهذا السب يا ابن الخنا أخرى
 هم السادة الأمجاد من قد سموا قلرا
 سنام العلّا واستوطنوا القطب والنسرا
 به نزل القرآن أعظم به فخرا
 وبالييض حتى بلّدوا الشرك والكفرا^(٢)

(١) قالين: أي مُبغضين.

(٢) السُمر: الرماح. الييض: السيوف.

- ٥٦- وقد فتحوا شرق البلاد وغربها
 ٥٧- وقد سلبوا التيجان هام ملوكهم
 ٥٨- فتلك سجايا من هجوت لك الردى
 ٥٩- مسيلمة الكذاب ليس بجدهم
 ٦٠- فليس له نسل ولا لسجاحهم
 ٦١- ومالك والأنساب يا أجهل الورى
 ٦٢- وهل أنت إلا جاهل ومذنب
 ٦٣- وقولك بالمختار لم يتوسلوا
 ٦٤- لأنهموا ما بالنبي توسلوا
 ٦٥- ولكن بعباس أبي الفضل عمه
 ٦٦- أكان الكرام الصاحب يا قدم قصروا
 ٦٧- وقال عدو الله من بان خزيه
 ٦٨- (أشار رسول الله للشرق ذمه
 ٦٩- لعمري لقد أخطأت شاكلة الهدى
 ٧٠- فما نجدنا يا خب شرقاً لطية
 ٧١- ولكنه نجد العراق حقيقة
 ٧٢- فمنه بدت تلك الشرور وأشعلت
 ٧٣- أما فعلوا الأمر الفظيع وأفرطوا
- وفلوا جموع الروم بل دوخوا كسرى
 فأكرم بقوم أحرزوا الفخر والأجرا
 وفخرك يا مخذول في نصرك الشرا
 فدع عنك قول الزور واجتنب الإمرا
 كما هو معلوم لدى كل من يقرا
 فدعها لمن قد كان منك بها أدرى
 وجلفٌ بليد أحمق معجب مغرا
 نعم قد قفونا من صحابته أثرا
 لكون رسول الله قد سكن القبرا
 توسلهم في الجذب حتى سُقوا القطرا
 بحق نبي الله فاكشف لنا الأمرا
 دعي بني نيهان من أشبه الثورا
 وهم أهله لا غرو أن أطلع الشرا
 وأبديت زورا أيها الأحمق المغرى
 فحسبك جهلاً ما هذوت به فشرأ
 كما ذكر الأعلام من حققوا الأمرا
 لظى الحرب والأهوال والفتن الكبرى^(١)
 أما هتكوا ستراً لطيتنا الغرا

(١) سيورد الناظم فتناً وقعت من أهل العراق، تؤكد أن بلادهم هي المعنية في حديث رسول الله ﷺ. ومن تلك الفتن: مقتل الحسين - رضي الله عنه - ببلادهم، ورمي الكعبة بالمنجنيق، ثم قتل عبد الله بن الزبير - رضي الله عنه -، وقتل زيد بن علي - رحمه الله -.

- ٧٤- أما قتلوا سبط الرسول وآله
٧٥- إلى الشام ساقوهم أذلاء ضلة
٧٦- أما أحرقوا البيت الحرام وألحدوا
٧٧- أما صلبوا نجل الزبير مُنكساً
٧٨- فهل كان في نجد لك الويل فانتبه
٧٩- وقولك يا دجال فيما افتريته
٨٠- (فكم طعنوا بالأشعري إمامنا
٨١- كذبت فليس الأشعري إمامكم
٨٢- وقال اشهدوا أنني على نهج أحمد
٨٣- وبين حقاً ما تجلى لديه في
٨٤- إمامكم الشيطان فالجعد فالذي
٨٥- وقولك يا أفاك يا أكذب الوري
٨٦- (ويعتقدون الأنبياء كغيرهم
- أما أخذوا الآل الميامين كالأسرى
حيارى على الأتقاب في حالة نكري^(١)
بمكة حتى أبدلوا أمنها ذعرا
أما قتلوا زيدا وأتباعه جهرا
كهذي الدواهي قل وأوضح لنا الأمرا
مقلاً هجيناً من هجين أتى هُجراً
وبالما تريدي الحبر أكرم به حبرا
فقد نصر الحق المبين وقد كُرا
إمام الهدى والدين أكرم به حبرا
إبائته الكبرى وقد أوضح الأمر^(٢)
يُكنى أباجهل يسمونه عمراً^(٣)
ومن أيد الإشراك بالله والكفرا
سواء عقيب الموت لا خير لا شرا

(١) الأتقاب: جمع قُتب، وهو الرَّحْل الصغير يوضع على سنام البعير.

(٢) يشير الناظم إلى رجوع أبي الحسن الأشعري - رحمه الله - عن بدعته، وتأليفه كتاب «الإبانة» مشيراً في مقدمته أنه على مذهب الإمام أحمد - رحمه الله - وأهل السنة.

قال في مقدمة كتابه «الإبانة» (ص ٢٠ تحقيق د. فوقية محمود): «قولنا الذي نقول به، ودياننا التي ندين بها: التمسك بكتاب الله ربنا عز وجل، وبسنة نبينا محمد ﷺ، وما روي عن السادة الصحابة والتابعين، وأئمة الحديث، ونحن بذلك معتمدون، وبما كان يقول به أبو عبد الله، أحمد بن حنبل، نصر الله وجهه، ورفع درجته، وأجزل مثوبته، قائلون... إلخ».

(٣) الجعد؛ هو ابن درهم، أول من ابتدع أن الله ما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولا كلم موسى تكليماً، قتله الأمير خالد القسري يوم عيد الأضحى - كما سيأتي في منظومة المرزوقي، إن شاء الله.

- ٨٧- لعمرى لقد أخطأت يا فاقد الحجى
 ٨٨- نقول بأن الأنبياء جميعهم
 ٨٩- ولكن عقيب الموت لا نفع عندهم
 ٩٠- وقولك يا من خالف الحق والهدى
 ٩١- (وما جؤزوا للمسلمين رحيلهم
 ٩٢- نعم لا نشدّ الرحل إلا لمسجد
 ٩٣- ونحنُ فلم ننكر زيارة قاصد
 ٩٤- ومن بعد أن صلى يزور محمداً
 ٩٥- (وقولك أنتم مشركون بقصركم
 ٩٦- مقال امرئ أعمى الإله فؤاده
 ٩٧- تكادله والله تنفطر السما
 ٩٨- وقولك هذا قول كل مُعطل
 ٩٩- أتتكر إثبات العلوّ لربنا
 ١٠٠- وقد جاء إثبات العلوّ لذاته
 ١٠١- تُقدّم يا زنديق رأياً لجهمكم
 ١٠٢- وتُلغى كلام الله يا أكفر الورى
 ١٠٣- وتنكر أن الله فوق سمائه
 ١٠٤- وتجدد أوصافه جلاً ذكره
 ١٠٥- لقد فاتك التوفيق يا عابد الهوى
- فحسبك لا عُرفاً عرفت ولا نكراً
 أحباء رب العرش أعلا لهم قدراً
 بل النفع عند الله من ملك الأمرا
 وفاه بما يستوجب الإثم والخسرا
 لزورة خير الخلق في طيبة الغرا
 كما جاء يا مخذول في السنة الغرا
 لمسجده الأسنى لمن طلب الأجر
 نبي الهدى خير الأنام أبا الزهرا
 على جهةٍ للعلو خالقنا قضراً
 عن الحق والأذنان أفعمتا وقرأ
 وتنهّد أجبال رواسٍ له خراً
 كفورٍ برب الناس من دبّر الأمرا
 وأن ليس فوق العرش من يكشف الضرا
 من الآي والآثار ما لم ينل حصرا
 وأتباعه من حَكّموا الرأي والفكرا^(١)
 وسنةٍ خير الخلق تنبذها ظهرا
 بذاتٍ وقهر فوق عرش علا قدرا
 وتزعم أن الله يُعبد لا يدري
 وحل عليك اللعن في ذي وفي الأخرى

(١) قوله: «لجهمكم» يعني به: الجهم بن صفوان، أس الضلالة، وشيخ الجهمية؛ من منكري صفات الله - عز وجل -، كما سيأتي في منظومة المرزوقي - إن شاء الله -.

- ١٠٦- وقال خسيس القدر مَنْ ضَلَّ سعيه
 ١٠٧- (حنابلة لكنّ مذهب أحمد
 ١٠٨- وقد عمّ في هذا الزمان فسادهم
 ١٠٩- كذّبت ولكن عمّ في الأرض رُسُلُهُمْ
 ١١٠- وكم هزموا جند الضلال ومزقوا
 ١١١- وقادوا بأرسان البراهين من غدا
 ١١٢- هداةً على نهج الإمام ابن حنبل
 ١١٣- وقولك يا خنزير يا أكفر امرئ
 ١١٤- (ومنه سليمان بن سحمان لم يزل
 ١١٥- ويشتم أهل العلم بالجهل مملياً
 ١١٦- وألف كتباً كلها من ضلالة
 ١١٧- كذبت لك الولايات بل كان لم يزل
 ١١٨- يجادل بالآيات والسنة التي
 ١١٩- وييدي لأهل الابتداع مسبّةً
 ١٢٠- وَجَرَّدَ في نصر الشريعة صارماً
 ١٢١- إماماً جليلاً فاضلاً شامخ الذرى
 ١٢٢- تصانيفه في العلم كانت شهيرة
 ١٢٣- تزيل ظلام الشرك عن منهج الهدى
 ١٢٤- فلا زال للإسلام كهفاً ومعقلاً
- ومن حاد عن نهج الهداية وأزوراً
 إمام الهدى من كل ما أحدثوا يبرى
 فما تركوا شاماً ولا تركوا مصرأ)
 فكم أرشدوا الغاوي وكم بدّدوا الكفرا
 جموع فوي الإشراك والبدع الكبرى
 عن الدين والإسلام والحق مزوراً
 إمام الهدى ما خالفوه ولا شبرا
 عليها ويا من كان ممتكناً شرا
 يجادل أهل الحق أجمعهم طراً
 على فكره إبليس كلما أجرى
 عليه غدت ناراً ونال بها الخسرا)
 يجاهد أهل الشرك والبدع النكري
 أتنا بها المختار أعلا الورى قدرا
 وينظرهم شزرا ويدحرهم دحرا
 فأكرم به شهماً وأكرم به حبرا
 وبحراً عميقاً لا تروم له قعرا
 على سيرة الهادي النبي إذا تقرا
 وتبسم من دين الحنيفة الثغرا
 لأهل الهدى والدين ينصرهم نصرا

- ١٢٥- وقولك في الشهم الهمام محمد
 ١٢٦- كذبت وقد أخطأت يا عادم الحيا
 ١٢٧- أتهجو حنيفاً طاهراً ذا تورّع
 ١٢٨- أدياً أريباً متقناً متفتناً
 ١٢٩- وهل أنت إلا فارة وابن فارة
 ١٣٠- وأنت في أدنى الحضيض عن العلى
 ١٣١- وقال ذباب الجرح أقدر من مشى
 ١٣٢- (ولم ينفر دشناذ مذهب أحمد
 ١٣٣- كمن ردّ قولي تابعاً إثر جدّه
 ١٣٤- إلى أن رمى مجنونهم برجيّه
 ١٣٥- أقول لقد أبديت زوراً وفريّة
 ١٣٦- خُذِلْتَ أَمَا تدرى بأنك خاسئ
 ١٣٧- تَأَخَّرْتَ عن الأقمار إنك ساقط
 ١٣٨- أتهجوا هداة شرف الله قدرهم
 ١٣٩- نجوم الهدى أهل المكارم والوفا
 ١٤٠- أقاموا عماد الدين في كل موضع
 ١٤١- وقد نصرّوا دين الإله وحذّروا
 ١٤٢- ولا سيّما محمود شكري ومن له
 ١٤٣- بعيد المدى من حاز كل فضيلة
- أبي حسن يا خبّ قد أشبه الهراً^(١)
 فإن الفتى والله قد أشبه النمرا
 يسير على منهاج خير الورى سيرا
 حسيباً نسيباً صالحاً بارعاً حراً
 دعى رذيل لا تساوي ولا بغرا
 وأين لك المرقى إلى منزل الشعرا
 على الأرض بل من كان أقبحهم ذكرا
 فقد ضل قوم من مذاهبنا الأخرى
 وأعمامه لكنهم آثروا السّترا
 على الناس في تأليفه ذلك السّفرا
 وقلت ضللاً من سفاهتك الكبرى
 عتّل زنيم الأصل منتفخ كبرا
 وآتى لمن في التّرب أن يبلغ الزهرا
 ميامين ذكرهم يملأ البر والبحرا
 كرام المساعي صيتهم جاوز النّسرا
 وقد ضعضعوا من كان بالدين قد أظرا
 من الكفر والإشراك والبدع النكري
 فخار تسامى أن تطيق له حصرا
 ومن علمه قد طبق السهل والوعرا

(١) يعني: الشيخ محمد بن حسن المرزوقي - رحمه الله -.

- ١٤٤- فقد ردّ أزجاساً بها قد هذوت يا
 ١٤٥- وهدم ما شيدته من أساسه
 ١٤٦- عقيدته حبّ النبي وآله
 ١٤٧- وكان حبيب المصطفى حيث لم يزل
 ١٤٨- وأنت عدو المصطفى بالذي به
 ١٤٩- وألفت في فضل استغاثتكم به
 ١٥٠- كتاباً عليه اللعن من كل قارئ
 ١٥١- كتاباً خيشاً بالضلالات مُفْعِماً
 ١٥٢- فعارضه محمود لله ذرّه
 ١٥٣- ومزقه حقاً بغايته التي
 ١٥٤- وقلت سفاها أيها القرد إنما
 ١٥٥- نعم نصّر الحبر ابن تيمية الذي
 ١٥٦- إمام الهدى ببحر العلوم ومن حوى
 ١٥٧- فكّم سنة أحياء وكم بدعة نفى
 ١٥٨- وردّ على أهل الضلال جميعهم
 ١٥٩- فمحمود قد أثنى عليه لأنه
 ١٦٠- وعاداك يا ذا الجهل حيث جعلت ما
 ١٦١- وقولك في شيخ المنار تعيبه
- خيث السجايا قد نصرت بها الكفرا
 فأكرم بشهم أحرز الفخر والأجرا
 وأصحابه والتابعين له طراً
 على نهجه يسري ويقفوا له أثرا
 أتيت من الإشرار والكفر والإطرا
 كتاباً حوى الكفران بالله والشرا
 فما أحد إلا ويلعنه جهرا
 لدين أبي جهل يؤيده نصرا
 وقابله نقضاً وباده كسرا
 أشاد بها الإسلام والسنة الغرا^(١)
 أراد بهذا لابن تيمية نصرا
 به الله أحياء الدين والملة الزهرا
 من الفضل ما لا نستطيع له حصرا
 وكم شاد بيتاً للهدى ومحى كفرا
 وكشف عن عوراتهم للورى ستر
 لنصره دين الله قد أنفذ العمرا
 لخالقنا للمصطفى فافهم الأمرا
 رشيد الرضا الشهم الذي قد سما ذكره^(٢)

(١) قوله: «بغايته»، يعني كتاب محمود الألويسي - رحمه الله - «غاية الأمانى في الرد على النبهاني».

(٢) أي: الشيخ رشيد رضا - رحمه الله -، منشى مجلة «المنار».

- ١٦٢- جنونٌ وحُمقٌ ظاهرٌ وخلاعة
 ١٦٣- أتشتُم فُضَّ الله فاك أخا العلا
 ١٦٤- حليفَ التقى والجود والعالم الذي
 ١٦٥- فجوزيتَ من مولاك شرَّ جزائه
 ١٦٦- وهاك لثيم الجَدّ مني قصيدة
 ١٦٧- تذبُّ عن الدين الحنيفي جُهدُها
 ١٦٨- وأختُمُ نظمِي بالصلاة مُسلماً
 ١٦٩- كذا الآل والأصحاب مع كل تابع
- تمت بقلم ناظمها الفقير إلى الله تعالى: إبراهيم بن صالح بن إبراهيم
 ابن عيسى، غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين، آمين، وذلك في رابع
 عشر ذي الحجة سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة وألف، وصلى الله على
 محمد وآله وصحبه وسلم.

تمت، والحمد لله رب العالمين



بسم الله الرحمن الرحيم
 الحمد لله تعالى الحق وحده
 هذا بالاسلام وجهتنا طريق
 ان لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا ند له ولا وزير ولا ظهير
 ان محمدا عبده ورسوله النبي العظيم والصلوة على سيدنا محمد
 الرضا وخبرنا جميعين وعلى من تبعهم باحسان الى يوم الدين يوم استلمنا
 اما بعد فيقول العبد الفقير الى ربه المعترف في تقديراته وذنبه ابراهيم
 صالح بن ابراهيم عيسى اني وقفت على مقام خاص من المقامات
 المسماة بالرئاسة العرفية بل في رتبة اسررت في الضال المفضل
 المجد يوسف بن اسماعيل النبهاني فوجدته تارة تارة في المعاني والهدية
 المباشرة تارة في الشكر والامتنان ومعية المذهب الاتحادية المجدد
 وقد اشرقت من الخلق والهداية والفضلاء والطغاة والسيوف
 التقليل لاهل الاسلام والايان واستجاب دعاء الصالحين و
 الاستغفار منهم في كل وقت وحين وقد استغفرت الله تعالى على سائر ذنوبهم
 ونفقت ما ليسا به من حجة الله استل انهم يهدونا صراط المستقيم وان
 يجعلنا كبريت خالصا لوجه الكريم وحسبنا اسونم الوكيل والاحول
 ولا نقول الا بالله العلي العظيم
 لك الحمد يا من يعلم السر والنجوى
 لك الحمد يا مولاي في الشكر والثناء
 لك الحمد يا من لا نستطيع ان نحصى
 كل ما في كرمك انت هديتنا الى الله البصائر والسنن الغراء
 وجهتنا الى الفضل والحمد لله
 طرأ في اهل الشكر والابحار
 كند من بين يديك يوسف من غدا
 فاقبل استغفار من تبارك باطل
 وجهته كغراف فاجبه به سفير

جفرك وحق ظاهرو خلاعة وفاك وبهتان عليك نيزع
 استقم فضلك اياك ابا العالم ومن نصر الاسلام واشعر الغر
 حليف الحق وابدو العالم الذي انار به الله الهدى ونجا الكفر
 فجزايت من مولانا شجر الجرائد وصل عليك الخزي في ذي وفي الاغوي
 وهاك لستم اجدة مني قصيد ثم يترق منك العرش بل تقسم الظلم
 تذب عن الدنيا الحقيقى جهل وتقلب قاليه وتكسر كسر
 واختم نظمي بالصلوة سبلى على المصطفى المختار من خصه بالا
 كذا لك والاصحاب مع كل تابع على الدين والامان يفتقهم سيدا
 تمت بقلم ناظمها الفقير الى الله تعالى ابراهيم صالح به ابراهيم
 ابن عيسى غفر الله له ولوالديه ولجميع المسلمين
 امين وذكروه في رابع عشر ذي الحجة سنة
 اثنى عشر وثلثمائة واثني عشر
 وصلى الله على محمد وآله
 وصحبه وسلم

١٢٨

(٣)

منظومة

الشيخ سليمان بن سحمان

- رحمه الله -

(ت ١٣٤٩ هـ)

ترجمة الشيخ سليمان بن سحمان^(١)؛

هو العالم المصنّف، واللسان المدافع عن الدعوة السلفية سليمان بن مصلح بن حمدان بن مسفر بن محمد بن مالك بن عامر الخثعمي نسباً، التبالي العسيري أصلاً ومولداً، النجدي منشأً ومستقراً.

نزع والده من بلاده الأصلية (تبالة) إحدى قرى مدينة (بيشة)، إلى قرية (السَّقَا) إحدى القرى التابعة لمدينة (أبها) عاصمة بلاد عسير، فولد الشيخ سليمان في هذه القرية (السقا)، وذلك عام ١٢٦٩هـ، وقيل: ولد سنة ١٢٦٦هـ في بلدة آل تمام القده، شرقي السقا بناحية أبها عسير.

وكان أبوه سحمان بن مصلح من آل عامر أحد بطون الفزع، وليس من قبيلة آل عامر النخعية ببيشة، وكانت قبيلته تقطن تبالة ثم بيشة، وكان أحد قادة الأمير عايض بن مرعي، كما كان من قبل من قادة الأمير علي بن مجثل، حيث كان يرباط في تبالة، وتمكن من اقتحام الطائف بعد معركة (جلدان) التي انتصر فيها على الأشراف، وذلك في نهاية عام ١٢٦٢هـ، وبعد ذلك استقدمه عايض بن مرعي إلى أبها ليكون أميناً على بيت المال، وليعمل في الوعظ والإرشاد وتدريس الأمور الدينية، واستخلف مكانه في تبالة أخاه مسفر بن مصلح، وبعد ما ضُمَّت الأفلاج ووادي

(١) عن «علماء نجد خلال ثمانية قرون» للشيخ عبدالله البسام - رحمه الله - (٣٩٩/٢ - ٤١٢). وقد ترجم للشيخ ابن سحمان كثيرون. ومن أهم تلك التراجم - في نظري -: ترجمة كتبها تلميذه الشيخ سليمان بن حمدان - رحمه الله - (سيأتي بعضها - إن شاء الله -)، ورسالة «الشيخ سليمان بن سحمان وطريقته في تقرير العقيدة» للشيخ محمد بن حمود الفوزان، وما كتبه الدكتور عبدالله الحامد في رسالته الجامعية: «الشعر الحديث في الجزيرة العربية».

الدواسر إلى عسير، بقي فيها حتى مات في عام ١٢٤٩هـ، وأثناء إقامة القائد سحمان في أبها ولد له ابنه الشاعر سليمان بن سحمان.

وهكذا نشأ المترجم في بلدة السقا، وتربى في حجر والده، الذي هو من حفاظ القرآن ومن الخطاطين، كما أن له يدأ في مبادئ العلوم، فصار يلقي ابنه القرآن الكريم ويدربه على حسن الخط، ويعلمه مبادئ العلوم الشرعية والعربية، وذلك في ولاية محمد بن عائض بن مرعي على بلاد عسير، ثم نزع والده إلى الرياض - عاصمة البلاد السعودية - وقد استقرت يومئذ نجد بولاية الإمام فيصل بن تركي رحمه الله، حيث طهر البلاد النجدية من العساكر العثمانية الغازية، فحل في الرياض ضيفاً، فأواه الإمام فيصل وأكرمه ورتب له ولعائلته ما يقوم بكفائتهم، فوجد الرياض زاهية بحلقات العلم ومشقة بنور المعرفة التي ينشرها الإمام عبدالرحمن بن حسن وابنه العلامة عبداللطيف، فشرع المترجم بالقراءة عليهما، وملازمة دروسهما، وجدّ واجتهد في التحصيل.

وبعد وفاة الإمام فيصل وابتداء الفتنة بين ابنه عبدالله وسعود اختار والد المترجم الإقامة في الأفلاج، فانتقل معه ابنه إلى بلدة العمار من بلاد الأفلاج، فأقام فيها، وقاضيا ومفتيا يومئذ الشيخ حمد بن عتيق، فشرع في القراءة عليه ولازمه نحو سبعة عشر عاماً، قضاها في تحصيل العلم.

وبعد وفاة الشيخ حمد عام ١٣٠١هـ عاد المترجم إلى الرياض، وكان زعيم الدعوة السلفية رئيس علماء نجد يومذاك العلامة الشيخ عبدالله بن عبداللطيف، فشرع في حضور دروسه، والاستفادة منه استفادة زميل من زميل أقدر منه.

وكان أعداء الدعوة السلفية في ذلك الحين قد أحسوا بضعفها بسبب ضعف أنصارها آل سعود، الذين أذهب حكمهم الشقاق والخلاف، ولمسوا لينها، فصاروا يوجهون إليها سهام نقدهم وسموم حقدهم، وكان الشيخ سليمان يومئذ قد صلب عوده في العلم، وقوي عضده في النضال، واعتدل قلمه في الكتابة، واستقام لسانه في الإنشاء، مما قرأه وحفظه من كلام العرب، ومما حرره من رسائل وردود الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن، الذي ظل زماناً يستكتبها ويستملئها، فجرد قلمه للرد على هؤلاء المغرضين، ولسانه برائع الشعر على المارقين، فصار يكيل لهم الصاع صاعين، بقوة الكلام، وسطوع الحجة، وصحة البرهان، فيدحض أقوالهم، ويرد شبههم، ويوهن حجتهم، كما يرميهم بشبه من قصائده الطنانة، وأشعاره الرنانة، وقوافيه المحكمة، وأبياته الرصينة، وبهذا؛ فهو ذو القلمين، وصاحب الصناعتين، وقلماً اجتمع النثر والشعر لواحد، إلّا لنوائج الكُتّاب وأصحاب الأقلام، فصار لسان هذه الدعوة، ومحامي هذه الملة، فكان من هذه الردود القاطعة، والحجج الدامغة هذه المؤلفات الساطعة؛ وهي:

- ١- الأسنة الحداد في الرد على علوي الحدّاد.
- ٢- الصواعق الشهابية على شبه الشامية.
- ٣- الضياء الشارق على شبهات المارق.
- ٤- إقامة الحجة والدليل وإيضاح المحجة والسبيل.
- ٥- تنبيه ذوي الألباب السليمة عن الوقوع في الألفاظ المستهجنة
الوخيمة.

٦- كشف الالتباس عن تشبيه بعض الناس.

٧- تبرئة الإمامين من تزوير أهل الميّن.

٨- الهدية السنية.

٩- نظم اختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية.

١٠- إرشاد الطالب إلى أهم المطالب.

١١- ديوان شعر حوى غرر القصائد والنظم.

وله غير ذلك من الكتب والمؤلفات والرسائل، التي غالبها يدور على الرد على المخالفين، ودفع شبهات الجاحدين من أعداء الدعوة التي نادى بتجديدها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، وورثها عنه أبنائه وأحفاده وتلاميذه، وأيدها الله بقوة وبسالة المغاوير الميامين من آل سعود، حتى ظهرت وتوطدت، وعمّت أرجاء الجزيرة العربية، ثم شَعَّ سناها في أطراف المعمورة، فلا تجد قطراً إلا ولها فيه أنصار وأعوان.

وقد كُفَّ بصره عام ١٣٣١هـ، إلا أن بصيرته ما زالت حية نيرة متوقدة، وله رسائل وفتاوى مطبوعة مفرقة ضمن رسائل وفتاوى علماء نجد، كما أنه هو الذي رَتَّبَ وبَوَّبَ رسائل وفتاوى شيخه العلامة الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن، وجعل لها مقدمات وتراجم.

تلاميذه:

١- الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري.

٢- الشيخ عمر بن حسن آل الشيخ.

٣- الشيخ عبدالعزيز بن صالح بن مرشد.

٤- الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم.

٥- الشيخ إبراهيم بن حسين.

... وغيرهم ممن لا تحضرني أسماؤهم.

والقصد أن له اليد الطولى والقَدَحَ المَعْلَى في التأليف والرد والرسائل والقصائد، وكل ذلك يدافع عن الشريعة المحمدية والملة الحنيفة، والعقيدة السلفية، حتى عُدَّ بذلك من أكبر المجاهدين بالسُّتَهم وأقلامهم.

وبقي على هذه الحالة الحميدة، والأقوال السديدة، حتى توفاه الله تعالى في مدينة الرياض عام ١٣٤٩ هـ. رحمه الله تعالى.

وقد دُفِنَ في مقبرة العود بين قبري الشيخ عبداللطيف وابنه الشيخ عبدالله. رحم الله الجميع، وتأسف الناس لفقده، وكلهم يلهج بالثناء والترحم عليه، وقد رثي بقصائد وتبودلت في تعازيه الرسائل، ونختار من تلك القصائد مرثية الشيخ محمد بن عبدالعزيز بن هليل:

ما بال دمعك يهمني طول أزمان	وأنت دايم أشجان وأحزان
والقلب منك نبا والهـم متقد	كأنه مِرْجَل من فوق نيران
تنوح طول الدياجي من أسى وضنى	قد طال ما أرقاك نوح ثكلان
كم ليلة بَتَّها ترعى النجوم بها	لم تغتمض قط منك الليل عينان
أذاك من ذكر عهد للصِّبا سلفت	أيامه عند أهل الرند والبان
أم من تذكر غزلان بذى سلم	حور العيون كياقوت ومرجان
لا والإله الذي لم تخف خافية	عليه علام أسرار وإعلان
ما إن ذكرت ولم أذكر وما سفحت	عيناى من ذكر أطلال وجيران
بل من تذكر شيخ عالم عَلم	حَبِرٍ تقى من الأحبار رباني

إلى أن قال:

بحر العلوم سليمان بن سحمان
والنحو ثم تفاسير لقرآن
والنظم والشرحاً كل أقران
حتى سمي في سما مجد وعرفان
أعاد في وقته إنشاد حسان
وفي بلاغته وضعاً لسُحبان

علامة علمت حقاً فضائله
من فاق في الفهم والتوحيد مع لغة
وفي الأحاديث والآداب مع سير
نال العلى فعلاً فوق الذرى رُتباً
لسانه صارم في شعره فلقد
يُذكر الناس قساً في خطابه

إلى أن قال:

مثل الفواكه بل أحلى لدى الجاني
براً وبحراً وفي سكان بلدان
لله در سليمان بن سحمان

وانظر فوائد في البستان ألفها
واقراً رسائل في التوحيد أرسلها
وسل خبيراً به ينبك عنه وقل

كما رثاه الأديب الفاضل حمد بن محمد بن جاسر فقال:

وأمر نافذ ما منه بدُ
بنفع أوبه قد نيل قصدُ
سيغلب صبره الخطبُ الأشدُ
كشدة وقعه تنهار نجدُ
ومجداً سامياً لا يستردُ
وحالف أهلها حزن وسهدُ
فهل يرجى لها التقويم بعدُ
يضمهما عن الأنظار لحدُ
ومنها النورِ قدما كان يبدو

قضاء لا يطاق له مردُ
وهل يجدي التأسف لو تناها
ولكن الصبور ولو تسلى
وهل خطب كخطب منه كادت
به فُقدت فخاراً لا يضاها
وحالفها خمول مستمر
هدى وكتاب قد رفعا علاها
وأصبح نيرها في خفاء
فأضحت في ظلام مكفهر

مضى عنها سليمان محشا
فأضحى العلم بعدهما يتيماً
وأضحى الدين بعدهما مهان
هما سيفان ما لهما نظير
هما حبران أهل تقى وعلم
ففي حل العويص إذا تعامى
وفي قمع الكفور بنص وحي
وفي الإفتاء إن قالوا بقول
وجازا للصواب بلا نزاع

يؤم إمامه قد سار سعدُ
يحاربه كثير وهو فردُ
يروم لكيده أشر ووغدُ
لنصر الشرعة الغرا يعدُ
يزينهما لدى العلماء زهدُ
إذا قصدأله لم يكب زندُ
صريح منهما ما فلَّ حدُ
حوى التوفيق قولهما الأسدُ
يُقر بذاك خصمهما الألدُ

* وللمترجم ثلاثة أبناء هم: عبدالعزيز، وصالح، وعبدالله. وله من
أبنائه الثلاثة أحفاد، وهم من أهل الصلاح والتقى، وبعضهم من أهل
العلم. رحمه الله تعالى.

ولابنه صالح بعض المؤلفات مثل: «ملتقى الأنهار من منتقى
الأشعار»، وله: «التقويم المبتكر المصنّف الأوفى»، وله: «مجموع
النفائس الشعرية والغرائب الشهية»، اشترك فيه مع غيره، وكلها مطبوعة.
ونعيد سيرة المترجم بقلم د. عبدالرحمن العثيمين لمزيد الفائدة،
فقد قال:

قال الشيخ سليمان بن حمدان رحمه الله: هذه الترجمة للشيخ
سليمان بن سحمان:

هو الشيخ الإمام الجليل الفاضل النبيل، العالم العلامة، بقية أهل
الاستقامة، جامع أشتات الفضائل، وقدوة الهداة الأمثال، صاحب

الفضائل والمكارم، ومن لا تأخذه في الحق لومة لائم، سيف الله المسلول على من حاد عن شريعة الرسول، حلال المعصلات، ومجلي رحي المشكلات، قامع المشركين والمبتدعين، الورع الزاهد العابد المجاهد، ذو القلم السيال، والنظم الذي هو أرق من العذب الزلال، قريع الزمان وفائق الأقران، الشيخ سليمان بن سحمان. اهـ.

وحدّثني ابنه الشيخ صالح رحمهم الله جميعاً قال: هو سليمان بن سحمان بن مصلح بن حمدان بن مسفر بن محمد بن مالك بن عامر الفرعي الخثعمي، وقد وجه أحد أبناء آل الشيخ سؤالاً إلى سماحة الشيخ سليمان يسأله عن نسبه فقال:

سليمان سحمان وسحمان مصلح ومصلح حمدان وحمدان مسفر
أولئك أجدادي سلالة عامر إلى خثعم يُعزى وبالخير يُذكر

مولده:

ولد الشيخ سليمان بن سحمان في آخر عام ١٢٦٩ هـ في قرية السُّقا - بضم السين المهملة مشددة بعدها قاف فألف - وهي قاعدة بني مغيد، ومقر أسرة آل معيض، وبني مغيد: إحدى قبائل عسير بالسراة، أقرب مدينة لها هي مدينة: أبها، ويربطها بها طريق معبد بطول ١٥ كيلاً، وتقع عن أبها إلى الغرب، وفي تقاطع خطي العرض ٢/٥ - ١٨ شمالاً، والطول ٤٢-٤ شرقاً، وترتفع عن سطح البحر بـ (٣١٣٣) متراً، حيث أعالي قمم جبال عسير الشامخة، وفي غربها تقع السودة أعلى قمة في السراة.

نشأته :

نشأ الشيخ سليمان في أحضان والده سحمان الذي علّمه القرآن، حتى حفظه عن ظهر قلبه، ولما بلغ سن الحادية عشرة، اصطحبه والده وهاجر به إلى الرياض وذلك عام ١٢٨٠هـ، وفي عام ١٢٨١هـ ابتداءً بالقراءة على الشيخ عبدالرحمن بن حسن، مجدد الدعوة الثاني، وعلى ابنه الشيخ عبداللطيف آل الشيخ، ولازمهما ملازمة تامّة دامت عشر سنوات.

وبعد ذلك سافر مع والده الذي هاجر من الرياض، ونزل في قرية العمار في الأفلاج، فرحبوا به وبأبيه العالم المقرئ لكتاب الله، وواصل سليمان تعليمه على علامة الأفلاج الشيخ: حمد بن عتيق، ومعه زميله في العلم والتعليم عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ، حتى توفي الشيخ حمد عام ١٣٠١هـ كما توفي الشيخ سحمان والد المترجم في ذلك العام، فضاقت الأرض على سليمان بأسباب وفاة والده وشيخه، فطلب منه الإمام عبدالله بن عبداللطيف أن يرجع إلى الرياض ليقم إلى جواره؛ لكونه زميله في العلم، ومحبة بعضهم لبعض في ذات الله.

فعاد سليمان إلى الرياض واتخذ الإمام عبدالله بن فيصل كاتباً له، لأنه كان خطاطاً، فلم يسعه إلا السمع والطاعة، وعيّن كاتباً للإمام، وصار يواصل دراسته مع زملائه: الشيخ عبدالله والشيخ إسحاق، ابني الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف، والشيخ إبراهيم، حتى أصبح الشيخ سليمان عالماً يقتدى به.

ثم أخذ رحمه الله يرد شبه الملحدين، ويذب عن الإسلام وأهله، ولا يقول إلا الحق ولا يبالى بأحد، ولا يأخذه في ذلك لومة لائم، وكان لا يحب الخداع والتحيل، مما دعى ابن رشيد إلى أن ينقله إلى حائل، ليباعد بينه وبين الإمام عبدالله بن فيصل، وذلك عام ١٣٠٥ هـ.

ولكن سرعان ما طلب الإمام عبدالله من ابن رشيد أن يرسل له كاتبه سليمان بن سحمان، فلما وصل الطلب إلى ابن رشيد، أراد أن يغنم الشيخ سليمان، وقلمه السيال، وذلك في نسخ عدد من الكتب الكبيرة الفقهية وغيرها.

فأمره أن ينسخ، فنسخ له ما أمره، وكان من ضمن ما نسخه «المحلى» لابن حزم الظاهري رحمه الله، وفصولاً من تفسير الإمام الطبري الذي كان يملكه، وكان الشيخ سليمان قد ملأ حائل بالكتب، ومن تقاه وصدقه وإخلاصه، كان يكتب بأمانة، علماً أنه مكلف ومجبر على ذلك، فأجبه الإخوان بحائل.

وفي عام ١٣٠٧ هـ طلب الشيخ سليمان من الإمام عبدالله أن يعود إلى أولاده بالرياض، فأبى، فطلب منه ابن رشيد التوسط في ذلك فقال له: إذا جاء عبدالله بن فيصل يا حمود استرخص من عبدالله لسليمان ينهج لوطنه - أي يذهب - فأبى، فلزم عليه ابن رشيد وقال: يا والدي - مخاطباً عبدالله -: تبيك تسمح لسليمان ينهج لوغيداته، فقال عبدالله: أرخصوا له أنتم، فقال: وجه ولدك وجه ولدك - مرتين -، ثم أمر عليه ابن رشيد، فسافر مع الشيخ عبدالله وعاد معه إلى الرياض.

عقيدته :

هي ما كان عليه الفرقة الناجية، أهل السنة والجماعة، وهو اعتقادنا اعتقاد أئمتنا أئمة الدعوة النجدية، الذين كان إمامهم ومقدمهم شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، أجزل الله له الأجر والثواب، وهو ما أوضحه الله في كتابه، وعلى لسان عبده ورسوله، نبينا محمد ﷺ، وقد ذكرها رحمه الله في عدة قصائد مذكورة في ديوانه.

شيوخه :

١- والده سحمان بن مصلح الخثعمي، المقرئ القارئ الفقيه الأمير القائد، وهو أول من فتح مدرسة لتحفيظ القرآن بتبالة ببلاد خثعم عام ١٢٥٩هـ، ثم فتح الثانية في (أبها) عاصمة عسير عام ١٢٦٨هـ، والثالثة في بلدة السُّقا عام ١٢٧٠هـ، وشارك وعلم في مدرسة تحفيظ القرآن بمسجد الشيخ عبدالرحمن بن حسن ابن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب (بدخنة)، في مدينة الرياض، وشارك ودرس في تحفيظ القرآن بالأفلاج، ومكث على ذلك حتى توفي رحمه الله.

٢- الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ.

٣- الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ.

٤- الشيخ حمد بن عتيق علامة الأفلاج الفقيه الجليل.

٥- الشيخ عبدالله بن عبداللطيف آل الشيخ.

تلاميذه:

- ١ - ابنه الشيخ صالح بن سليمان بن سحمان.
- ٢ - الشيخ عبدالعزيز بن سليمان بن سحمان.
- ٣ - الشيخ سليمان بن عبدالرحمن بن حمدان.
- ٤ - الشيخ عمر بن حسن بن حسين آل الشيخ.
- ٥ - الشيخ عبداللطيف بن إبراهيم آل الشيخ.
- ٦ - الشيخ عبدالله بن عبدالعزيز العنقري.
- ٧ - عبدالرحمن بن ناصر بن حسين.
- ٨ - عبدالعزيز بن صالح المرشد.

وفاته:

توفي يوم الأحد العاشر من شهر صفر من سنة ١٣٤٩ هـ على رأس الثمانين من عمره، بعد أن أصيب بمرض أقعده على الفراش، وصلي عليه في الجامع الكبير بالرياض، ومشى مع جنازته أهل البلد، ودفن في مقبرة العود، وصلي عليه صلاة الغائب في جميع مساجد نجد. ولم يُخلف إلا مسكناً صغيراً، وأربعة عشر ريالاً، وذمته بريئة من الديون، غفر الله له.

المنظومة

الحمد لله الذي أظهر الحق وأداله، وقمع الباطل وأزاله، أحمدته سبحانه وتعالى على ما أولاه من فضل وأناله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، شهادة من اعتقد الحق وعمل به وقاله.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي علّم الله به من الجهالة، وهدى به من الضلالة، وفتح به أعيناً عمياً، وأذناناً صماً، وقلوباً غُلْفاً، فنصح الأمة وأدى الأمانة وبلغ الرسالة، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

أما بعد: فقد وقفت على منظومة رجل من أهل الشام من أهل بيروت يقال له يوسف بن إسماعيل النبهاني، تجاوز فيها الحد، وأقذع فيها وألحد، وأسهب في مسبة أهل الإسلام، وهداة الأئمة والأعلام، وجاء بضروب من المنكرات والضلالات، وأنواع الكفر والجهالات.

فاستعنت الله على رد ما مؤّه به من سفسطاته وجهالاته، وتُرّهات مقالاته وخُرافاته، والله المسؤول المرجو الإجابة، أن يمنحنا بفضلِهِ الإصابة، وأن يجعله لوجهه خالصاً، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل، وحسبنا الله ونعم الوكيل، وهذا نص الجواب:

- ١- وقفتُ على نظم حوى الكفر والشر
 - ٢- ينابيع كفرٍ في تقاسيم غيّه
 - ٣- ولم يأتنا منها سوى الخامس الذي
 - ٤- يذم به أهل التقى وذوي النهى
 - ٥- فكان علينا واجباً متعيناً
 - ٦- ولم أك في ردي عليه متعمقاً
 - ٧- ولكن بلفظ مستقيم نظمته
 - ٨- فطوراً أرد الهُمت من زور غيّه
 - ٩- وأعكسه طوراً عليه لأنه
 - ١٠- فها أنذا أنيبك بعض نظامه
 - ١١- ويحسب جهلاً أنه بمقاله
 - ١٢- فقال الغبي الأحمق القدم منشداً
 - ١٣- (وأعجب شيء مسلم في حسابه
 - ١٤- أولئك وهاية ضلّ سعيهم
 - ١٥- فهذا مقال القدم لا درّ درّه
 - ١٦- وأعجب من ذا لو يرى الرشد أنه
 - ١٧- فمن لم يكن في قلبه حبُّ أحمدٍ
- وصاحبه خب لثيم وقد أجرى
فحرر في تقسيمه الإفك والشعرا
تهور فيه القدم بالكفر واستجرا^(١)
فسحقاً له سحقاً فقد أظهر الكفرا
إجابته لما هذى وأتى هُجرا
بتعقيد ألفاظ كمنظوم ذي الإطرا
ليفهمه القاري ومن كان لا يقرأ
وأبدي له خزيّاً وأنشره نشرًا
بأرجاسه أولى وأركاسه أخرى^(٢)
لتعلم أن القدم ما أحكم الأمرا
أتى بصواب في مقالاته النكري
لينشر من أقواله الكفرا والشرًا
غدا قلبه من حبّ خير الورى صفرا
فظنوا الردى خيراً وظنوا الهدى شراً
ولا نال إلا الخزي والعار والوزرا
بذلك أبدى من مخازيه ما أزرى
أعزّ الورى فخراً وأعظمهم قدرا

(١) يريد القسم الخامس من الرائية الصغرى للنبهاني، الذي جعله في ثلب السلف الصالح ومن تبعهم من أمثال ابن تيمية وابن عبد الوهاب رحمهم الله. والقدم: ثقل الفهم. وسيكررها الشيخ كثيراً

(٢) الأركاس جمع ركس: بمعنى رجيح.

- ١٨- فليس لعمرى مؤمناً بمحمد
 ١٩- ومن أشرك المعصوم في حقه
 ٢٠- فذا كافراً بالله جل جلاله
 ٢١- نعم نحن وهابية حنيفة
 ٢٢- ومن هاضنا أو غاضنا بمغيضة
 ٢٣- وكم من أخي جهل رماناً بجهله
 ٢٤- بمحكم آيات وسنة أحمد
 ٢٥- وما ضل منا السعي بل كان سعينا
 ٢٦- فلاندع إلا الله جل جلاله
 ٢٧- ولا يستغيث المسلمون بغيره
 ٢٨- نوحد سبجانه بفعاله
 ٢٩- وأهل النهى سكان نجد جدودهم
 ٣٠- قد استعربت منهم قبائل جمه
 ٣١- أتم عقول الناس طراً عقولهم
 ٣٢- وقد ورثوا مجداً أصيلاً مؤثلاً
- وما نال إلا الخزي من ذاك والحسرا
 وأسهب في منظومه المدح بالإطرا
 كهذا الذي أبدى بمنظومه الكفرا
 حنيفة نسقي لمن غاضنا المراً
 سنصعقه صعقاً ونكسره كسراً^(١)
 فعاد حسيراً خاسئاً نائلاً شراً
 نصول على الأعداء فأنطرحهم أطرا
 على ملة المعصوم والسنة الغرا
 ونرجوه في السرا وفي العسر والضراً
 تعالى عن الأنداد من ملك الأمرا
 وأفعالنا لله خالصة طراً^(٢)
 هم العرب العربا بهم لم تحط خبراً^(٣)
 سموا بالعلی قلداً وبالمصطفى فخرا
 وأحسنهم خلقاً وخلقا فهم أخرى
 لأهل الهدى منهم فنالوا به الفخرا^(٤)

(١) الهیض: عود الهم والحزن، ثم توسعوا بهاض إلى معنى هاج؛ لأن معاودة تلك الأمور تثير

الهیج.

(٢) طراً: جميعاً.

(٣) العربا: الخلفاء في عروبتهن.

(٤) مؤثلاً: أي ذا أصل.

- ٣٣- مسيلمة الكذاب ليس بجدهم وليس له نسل يُقرر أو يُدار (١)
 ٣٤- ولا لسجاح ويل أمك فاتسد فما القشُر إلا ما هذرت به نشر (٢)
 ٣٥- وقد أسلمت والشام كان مقرّها فلو كان من لؤم لكنّ به أخرى (٣)
 ٣٦- إذا كنت من أنباط إجزم لم تكن من العرب العربا ولا من سَمَوافخرا (٤)
 ٣٧- ولم تدر من دين الهدى غير مذهب يضلّك في الدنيا ويخزيك في الأخرى
 ٣٨- فما لك والأنساب دعها لمن له بها خبرة إذ كان منكم بها أدرى
 ٣٩- فعلمك بالأنساب أعظم آية على جهلك المردي كما قلته جهرا
 ٤٠- أتحسب أنا ويل أمك غفلا كأنباط من في الشام ما حققوا الأمر
 ٤١- وقولك فيما قد تهورت ضلّة وحررته رقماً وأودعته الشعرا
 ٤٢- (إلى الله بالمعصوم لم يتوسلوا) نعم هذه حق يعدونها كفرا (٥)

(١) أي لا يوجد لمسيلمة في نجد ذرية ذوو أمر يقررونه على غيرهم أو يدرون من أجله.

(٢) الفشر: الهذيان.

(٣) كان في قوله: «فلو كان من لؤم» تامة بمعنى وجد، وما مضى رد على قول النبهاني:

ضعاف النهى أعراب نجد جدودهم وقد أورثوهم عنهم الزور والوزرا

مسيلمة الجدد الكبير وعرسه سجاح لكل منهم الجدة الكبرى

فقد ورثوا الكذاب إذ كان يدعي بأن له شطراً وللمصطفى شطرا

قال ابن كثير - رحمه الله - عن سجاح: «أسلمت أيام عمر بن الخطاب، فحسن إسلامها» (البداية والنهاية: ٤٧/٥).

(٤) إجزم: قرية النبهاني - كما مضى في ترجمته -.

(٥) ما بين القوسين من كلام النبهاني، وهو - في محاولة منه للتليس والاستغفال - يسمي

الاستغاثة الشريكة «توسلاً»، ولهذا فقد رد الشيخ عليه بتبيين حكم الاستغاثة الشريكة؛ لأنه

يعني ما يرمي إليه النبهاني، كما في الآيات التي بعد هذا، التي وضح فيها الفرق بين الاستغاثة

الشريكة، والتوسل البدعي المحرّم. - وقد مضى التنبيه لهذا في المقدمة -.

- ٤٣- على عرف عباد القبور لأنه
 ٤٤- فيدعونه جهراً لدى كل كربة
 ٤٥- وهذا هو الإشراك بالله جهرة
 ٤٦- وما كان مسنوناً فنحن نقره
 ٤٧- أولئك أصحاب النبي محمد
 ٤٨- توسلهم بالمصطفى في حياته
 ٤٩- فيأتونه مستشفعين لما دهي
 ٥٠- فيدعو لهم أن يكشف الله ما بهم
 ٥١- ومن بعد أن مات النبي محمد
 ٥٢- بل الله مولاهم ولا شيء غيره
 ٥٣- وبالدعوات الصالحة توسلوا
 ٥٤- وما كان مكروهاً وكان محرماً
- بمعنى الدعاء والاستغاثة قد يُجرى
 ومعضلة دهياء تعرفهم جهراً^(١)
 فتباً لمن يدعو الذي سكن القبرا
 على عرف من منكم بسسته أدرى
 وأتباعهم ممن على نهجه يترى
 إذا ما دهاهم فادّخ أوجب الضراً
 من الكرب أو مستعتب طالب غفرا
 من الضر والأواء^(٢) ويستترئ النصرا
 فليس سوى الرحمن يدعونه طراً^(٣)
 وبالعمل المرضي يدعونه جهراً
 وإيمانهم بالمصطفى من سما فخرا
 ومخترعاً في الدين مبتدعاً نكرا

(١) تعرفهم: تغشاهم.

(٢) اللأواء: الشدة.

(٣) أي أنهم يطلبون منه ﷺ الدعاء والاستغفار لهم في حياته؛ كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ٦٤]، قال الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - عن الآية: «وإذا ظرف لما مضى، وليست ظرفاً للمستقبل.. فالآية تتحدث عن أمر وقع في حياة الرسول ﷺ، واستغفار الرسول ﷺ بعد مماته أمر متعذر؛ لأنه إذا مات العبد انقطع عمله إلا من ثلاث كما قال ﷺ... فلا يمكن لإنسان بعد موته أن يستغفر لأحد، بل ولا يستغفر لنفسه أيضاً؛ لأن العمل انقطع». (مجموع الفتاوى: ٨١/١).

- ٥٥- فذاك الذي بالجاء أو بذواتهم توسل أو يدعو بهم طالباً أجراً^(١)
- ٥٦- فما بذوات الأنبياء وجاههم أتى النص أن ندعوا بهم واضحاً يُقرأ^(٢)
- ٥٧- نعم قدرهم أعلى لدى كل مسلم على كل مخلوق وكل بني الغبرا^(٣)
- ٥٨- وتعزيزهم أعلى لدى كل مسلم وتوقيعهم إذ كلهم قد علا قدر^(٤)
- ٥٩- فما ورثوا الكذاب من كان يدعي بأن له شطراً وللمصطفى شطراً ولم يجعلوا للمصطفى ذلك القدر
- ٦٠- لأنهموا قد أخلصوا الأمر كله فقد جاء بالكفران والقاله النكرا
- ٦١- ومن أشرك المخلوق في حق ربه وحققتم الإرث الذي أوجب الكفرا
- ٦٢- وأنتم ورثتم جهرة كل كافر فلم تجعلوا الله شيئاً ولا شطراً
- ٦٣- بصرفكم ما للإله لغيره وقرر هذا المفتري في نظامه
- ٦٤- ومن قول هذا المفتري في نظامه (أشار رسول الله للشرق ذمّه
- ٦٥- وهم أهله لا غرو إن أطلع الشرا)^(٥)

(١) أي أن التوسل البدعي المحرّم: التوسل بجاء النبي ﷺ أو غيره؛ كقول الداعي: «أسألك بجاء نبيك». فهذا من البدع المحرمة، وجاء الإنسان خاص به؛ لا علاقة للداعي به. يقول الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - عن التوسل بجاء النبي ﷺ: «هذا توسل بدعي لا يجوز؛ وذلك لأن جاء الرسول ﷺ لا ينتفع به إلا الرسول ﷺ». وقال - أيضاً -: «هذا لا يجوز، لا في حياته ولا بعد مماته؛ لأنه ليس وسيلة؛ إذ أنه لا يوصل الإنسان إلى مقصوده؛ لأنه ليس من عمله». (مجموع الفتاوى: ١ / ٨٠).

(٢) يقرأ: يقصد ويتبع، من قرا ذات الألف اللينة لا المهموزة.

(٣) الغبرا: الأرض.

(٤) التعزير: التعظيم والنصر.

(٥) يشير إلى قوله ﷺ - وهو مستقبل المشرق -: «إلا إن الفتنة هاهنا، من حيث يطلع قرن الشيطان». أخرجه البخاري (٧٠٩٣)، ومسلم (٧٢٩٣). وقد مضى في المقدمة الرد على هذه الشبهة.

- ٦٦- أقول لعمرى ما أصبت وإنما
 ٦٧- فما شرقُ دار المصطفى قطُ نجدنا
 ٦٨- ومنه بدت تلك الزلازل كلها
 ٦٩- ففي الفتح ما يشفي ويطلع عالماً
 ٧٠- وما طعنوا في الأشعري إمامكم
 ٧١- وللماتريدي حيث جاء بدعة
 ٧٢- ووافق أهل الحق في جل مابه
 ٧٣- فبين حقاً في الإبانة قوله
 ٧٤- فلستم على منهاجه وطريقه
 ٧٥- وتزعم جهلاً ويل أمك أننا
 ٧٦- (بتحقير أحباب الرسول تقربوا
 ٧٧- وما هذه إلا مقالة آفك
 ٧٨- وما رجل منا بتحقيق شأنهم
 ٧٩- سوى أن حق الله وحده
 ٨٠- وتعظيمهم بالاتباع على الهدى
 ٨١- وأن لهم فضلاً على الناس كلهم
 ٨٢- وأما حقوق الله جل جلاله
- دهاك اسمُ نجدٍ حيث لم تعرفِ الأمرا
 ولكنه نجد العراق فهم أخرى^(١)
 وقد قررت أخبارها للورى سبرا
 بتلك المعاني قد أحاط بها خبراً
 ولكن باتباع له كسروا كسرا
 وللأشعري أشياء منكورة أخرى
 يقولونه حقاً ومن غيرهم يبرا
 وفي غيرها من كتبه أوضح الأمور^(٢)
 ولكنكم من أمة أثروا الكفرا
 نقول وما حققت أحوالنا سبرا
 إليه فنالوا البعد إذ ربحوا الخسرا
 أراد بها التنفير إذ عظم الأمور
 تقرب يا من قال بالزور واستجرا
 جعلنا ولم نجعل لأحبابه شطرا
 على المنهج الأسنى نقرره جهرا
 بما عملوا من صالح هم به أخرى
 فليس لهم منها ولا ذرة تجرى

(١) قال الخطابي كما في «فتح الباري» (١٣/ ٥١): «نجد من جهة المشرق، ومن كان بالمدينة

كان نجده بادية العراق ونواحيها، وهي مشرق أهل المدينة».

(٢) سبق أن الأشعري - رحمه الله - رجع عن بدعته، وصنف كتاب «الإبانة» بياناً لما هو عليه.

فهو بريء ممن يتابعه على بدعته التي رجع عنها.

- ٨٣- وما ذاك تحقيراً لهم وتنقصاً
ولكنه تعظيمهم إذ همو أدرى
- ٨٤- وأعلم بالله العظيم ودينه
فنالوا به فخراً وأعلوا به قدراً
- ٨٥- ولننا بهذا الاعتقاد سلامة
ونلتم بذلك الاعتقاد بهم خسراً
- ٨٦- ويعتقدون الأنبياء كغيرهم
سواء عقيب الموت لا خير لا شراً
- ٨٧- فليس لهم بعد الممات تصرفٌ
ولا لسواهم من بني ساكني الغُبرا
- ٨٨- فمن يدعُ غير الله أو يستغثُ به
وقد فارق الدنيا وصار إلى الأخرى
- ٨٩- فذاك بالرحمن قد كان مشركاً
وهذا هو الأمر الذي أوجب الكفراً
- ٩٠- وقد أجمع الأعلام من كل مذهب
على أن ذا كفرٌ وقد حققوا الأمراً
- ٩١- وما شدُّ منهم غيرٌ من كان رأيه
على رأي قوم أحدثوا للورى شراً
- ٩٢- فساروا على منهاج من ضلَّ سعيه
ولم يعرفوا الإسلام حقاً ولا الكفراً
- ٩٣- ولكنهم ضلوا بوهم شفاعه
دهامهم بها الشيطان واجتال من غرا
- ٩٤- وأي دليل من كتاب وسنة
عن السيد المعصوم معلومة تقرا
- ٩٥- وتُتلى بإسناد صحيح محقق
يقرره أعلام ستتنا الغُرا
- ٩٦- وقولك فيما قد نظمت تهوراً
وأبديته فيما تحرره جهراً
- ٩٧- (وقد عذروا من يستغيث بكافر)
كذبت وقد أبديت في نظمك الهُجراً
- ٩٨- فما وجدوا عذراً لمن كان كافراً
ولا وجدوا للمستغيث بهم عذراً
- ٩٩- ولا رحلوا للشرك في دار رجسه
وجابوا إلى أوطانه البرِّ والبحرا^(١)
- ١٠٠- ولا جَوَّزوا للمسلمين رحيلهم
لزورة خير الخلق في طيبة الغُرا
- ١٠١- ولكنهم قد جَوَّزوه لمسجد
يصلي به من رام من ربه الأجرأ

(١) يشير إلى قول النبهاني عن السلفين:

- ١٠٢- ومن بعد أن صلى يزور محمداً
 ١٠٣- وفيه حديث في صحيح مسلم
 ١٠٤- وقول عدو الله من كان كافراً
 ١٠٥- (وهم باعقاد الشرك أولى لقصرهم
 ١٠٦- هو الله ربُّ الكل جل جلاله
 ١٠٧- تأمل تجدهذي العوالم كلها
 ١٠٨- فحيثُ أَيْنَ الجهات التي بها
 ١٠٩- وإن اختلافاً للجهات محقق
 ١١٠- وكل علو فهو سفلى وعكسه
 ١١١- فمن قال علو كلها فهو صادق
 ١١٢- ومن قال سفلاً كلها فهو صادق
 ١١٣- فمن ياترى بالشرك أولى اعتقادهم
- ويدعوله لا يدعُ من سكن القبرا
 يقرره من كان يعرفه جهراً^(١)
 بمعبودنا الأعلى وقد أظهر الكفرا
 على جهة للعلو خالقنا قصرا
 فما جهة بالله من جهة أخرى
 بنسبة وسع الله كالذرة الصغرى
 على الله من حمق بهم حكّموا الفكرا
 فكم ذا من الأقطار قطر علا قطرا
 وقل نحو هذا في اليمين وفي اليسرا
 وذلك قد يقضي بآلهة أخرى
 فليس لهم رب على هذه يُدرى
 أولئك أم أصحاب ستتنا الغرا^(٢)

وكم رحلوا للشرك في دار رجسه
 ويريد رحيلهم للتجارة وشبهها.

(١) يعني حديث: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد» أخرجه مسلم في صحيحه (٣٣٨٤).

(٢) ما بين القوسين من قصيدة النبهاني.

قال أبو عبد الرحمن الظاهري - تعليقاً على قول النبهاني -: «ضحايا الشبه الكلامية في حق الرب جل جلاله مساكين العقول، وقد ظن الرازي والنبهاني أن دليلهم كمل بقولهم: «العالم كرة، فالجهة التي هي فوق بالنسبة إلينا هي تحت بالنسبة لآخرين»!

قال أبو عبد الرحمن: الدليل لا يكمل حتى يجعلوا الرب جل جلاله كروياً - سبحانه وتعالى -.. وربنا أعلم بنفسه، ولا نعلم عن ربنا إلا ما علمنا من وصفه لنفسه.

ولا يلزم من كون العالم كروياً وأن الله به محيط أن يكون الرب كروياً، بل الكون كله في قبضته لا يعجزه جل جلاله».

- ١١٤- أقول لعمري إنها الكبيرة ومعضلة شنعا وداهية كبرى
 ١١٥- بدت من غوى جعفري هَبِينْغ برى من الإسلام قد أظهر الكفرا^(١)

قلت: هذه شبهة يشيرها من ينفي علو الله عز وجل، من الأشاعرة وغيرهم، فيقول: أنتم تصفون الله بالعلو، فيقال لكم: إن الأرض كروية، فمن كان فيها في النصف الشمالي، فأشار إلى السماء فإنه يشير إلى العلو، ومن كان فيها في النصف الجنوبي، فأشار إلى السماء؛ فإنه يشير - بالنسبة للأول - إلى السُفل! وهذا مُبطل لعقيدة العلو!

وجواب هذه الشبهة أن يقال - زيادة على ما ذكره الشيخ أبو عبد الرحمن الظاهري - وفقه الله -:

- ١- يلزم من قولهم هذا أن تكون البلاد في النصف الجنوبي أسفل من تلك التي في الشمالي، فيقال مثلاً: إن البرازيل تقع تحت أمريكا، ولا أحد يقول ذلك، بل يُقال: إن البرازيل تقع جنوب أمريكا، فالاتجاهات على سطح الأرض لا يُقال فيها: يمين ويسار، وفوق وتحت، بل يُقال: شمال وجنوب، وشرق وغرب، فلا يُقال: إن البلد الفلاني يحده من فوق كذا ومن تحت كذا، بل يُقال: من الشمال أو الجنوب كذا...
- ٢- يلزمهم على هذا القول أن تكون السماء فوق الأرض في النصف الشمالي، وتحتها في النصف الجنوبي! ومن قال هذا فقد نادى على نفسه أنه خارج من زمرة العقلاء، وإن قال الأخرى فقد أقر أن اعتراضه إنما هو مبني على الوهم.
- ٣- من المعلوم أن الشمس عندما تُشرق من المشرق وتكون في كبد السماء؛ فإن أهل النصف الشمالي يرون الشمس فوقهم ويشيرون إلى الأعلى عند الإشارة إليها، وفي الوقت نفسه يراها أهل النصف الجنوبي فوقهم ويشيرون إلى الأعلى عند الإشارة إليها - والله المثل الأعلى -، وبهذا يُعلم أن العلو واحد بالنسبة للفريقين، لا أن علو أحدهما سُفل للآخر.

- ٤- قائل هذا الاعتراض يوافق على كون العرش أعلى المخلوقات، والسؤال بآين والإشارة باليد للمخلوق عنده لا إشكال فيه، فيقال له: هل العرش فوق أهل النصف الشمالي، وتحت أهل النصف الجنوبي؟ أو هل إن أشار أهل النصف الشمالي للعرش، وأشار أهل النصف الجنوبي له، يكون أحدهما يشير لسُفل الآخر؟! والله الهادي.

(١) هَبِينْغ: أحقق.

تخرُّ الرواسي الشامخات له خرا
وتنشق منه الأرض أعظم به نُكرا
كفور برب العرش قد حَكَمَ الفكر
وسنة خير الخلق منبوذةً ظهرا
وأتباعهم من هم أعز الورى قدرا
على الملة البيضاء والسنة الغرا
ومن كان زنديقاً تهوّر واستجرا
طريقته النكرا توغل واستقرا^(١)
وأبرزها يلهو بها كل من يقرا^(٢)
وأهدى وأولى بالصواب وهم أخرى
وأصحابك الغاؤون من أعلنوا الكفرا
على عرشه من فوقه بائن قصرا
ولا عطل الرحمن من صفة تجرى
لدى الفكر قد يقضي بآلهة أخرى
ومعبودنا الأعلى على خلقه طُراً
علو ارتفاع أعجز الوهم والفكر
على العرش لم يُشرك ولا قوله هُجرا^(٣)

١١٦ - تكاد لهذا القول ممن أتى به
١١٧ - وتنفطر السبع الطباق لهوله
١١٨ - وهذا العمري قول كل معطل
١١٩ - وخلف آيات الكتاب وراءه
١٢٠ - وأقوال أصحاب النبي محمد
١٢١ - وكل إمام بعدهم ومحقق
١٢٢ - وسار على منهاج من كان كافراً
١٢٣ - رأى رأي جهنم ذي الضلال ومن على
١٢٤ - فقل للذي أضحي ضلالات جهله
١٢٥ - طريقة أهل الحق أسنى طريقة
١٢٦ - وأنت على نهج من الغي سائر
١٢٧ - فمن قصر الرحمن في جهة العلى
١٢٨ - فليس لعمري مشركاً بآلهه
١٢٩ - ولا يقتضي ما قد زعمت بأنه
١٣٠ - هو الله ربُّ الكل جل جلاله
١٣١ - علا فوق عرش فوق سبع طرائق
١٣٢ - فمن قال إن الله في جهة العلى

(١) استقرا: تتبع.

(٢) أضحي: أظهر؛ أي جعلها ضاحية بمعنى بارزة.

(٣) الهُجر: القول القبيح.

- ١٣٣- فما جهة موجودة فوق عرشه
١٣٤- يدل على هذا الكتابُ وسنةُ
١٣٥- ومن قال قول الجهم من كان كافراً
١٣٦- فذلك جهمي كفور مكذب
١٣٧- فقا إثرَ جهم في ضلالات كفرهم
١٣٨- فعمن روى هذه العقيدة غير من
١٣٩- أشاعرةٌ حادت عن الحق واعتدت
١٤٠- ومن همط ما قد قاله في نظامه
١٤١- (تأمل تجد هذي العوالم كلها
١٤٢- أقول نعم لكن تأمل أهذه
١٤٣- فإن قلت هذا كنت بالله كافراً
١٤٤- وإن قلت لا بل عينها وهي عينه
- وما ثمَّ إلا الله مَنْ مَلَكَ الأمرُ^(١)
لخير الورى حقاً وأعظمهم قدراً
فما جهة بالله من جهة أخرى
بما في كتاب الله والسنة الغرا
فما فرقة إلا بكفرانه تُغرى^(٢)
حكى أنه منهم وهم بالهدى أخرى
وقد عطلوا الرحمن عن عرشه جهراً
وحَكَّم في معبودنا الوهم والفكر^(٣)
بنسبة وسع الله كالذِّرة الصُّغرى
وجودية تحويه أو حلَّ أو قرأ^(٤)
من الفئة البعدى الحلولية النكرا
فما جهة بالله من جهة أخرى^(٥)

(١) قال شيخ الإسلام في «التدمرية» (ص ٦٦-٦٧): «لفظ الجهة؛ قد يراد به شيء موجود غير الله، فيكون مخلوقاً، كما إذا أريد بالجهة نفس العرش، أو نفس السموات. وقد يراد به ما ليس بموجود غير الله تعالى؛ كما إذا أريد بالجهة ما فوق العالم...» إلى آخر كلامه في الرد على الجهمية.

(٢) تغرى: تولع وتلهج.

(٣) الهمط: التخليط والإتيان بالأباطيل.

(٤) قرأ: ثبت وسكن.

(٥) القول بوحداية الوجود وأنه لا خالق ولا مخلوق، بل الخالق عين المخلوق هو مذهب وحدة الوجود، ومن ههنا بدأ الناظم يرد على الاتحادية.

والضمير في عينها يعود إلى العوالم الواردة في قول النبهاني: تأمل تجد هذي العوالم كلها.

- ١٤٥- فأنت بهذا أكذبُ الناس كلهم
 ١٤٦- وأنت اتحادي بهذا وإن تقل
 ١٤٧- فلا خارج عنها ولا هو داخل
 ١٤٨- ولا هو بالمخلوق متصل به
 ١٤٩- فلا ربَّ موجودٍ لديهم ولا له
 ١٥٠- وإن قلت لا بل هذه عديمه
 ١٥١- وذو عدم والعَدَمُ لا شيء فأنتبه
 ١٥٢- وهذا هو الحق الصواب وغيره
 ١٥٣- وإذا كان هذا قول كل معطل
 ١٥٤- ولم يبق إلا قول مَنْ كان مؤمناً
 ١٥٥- وما قاله صحب النبي محمد
 ١٥٦- وكل إمام بعدهم ومحقق
 ١٥٧- وذلك معلوم لدى كل مسلم
 ١٥٨- فما فوق عرش الرب في جهة العلى
 ١٥٩- وحيثُذِ فالله من فوق عرشه
 ١٦٠- وقدرأوبالذات ارتفاعاً محققاً
 ١٦١- وعُلُوّاً وسُفْلاً كُلُّها تحت قهره
- وأكبرهم جرماً وأعظمهم كفراً
 كما قاله الجهم الذي أظهر الكفرا
 ولا هو عنها عن يمين ولا يسرى
 ولا هو عنها ذو انفصال ولا يُدرا^(١)
 صفاتُ تعالى الله عن كفرهم طُراً^(٢)
 فما جهة فوق العلى للورى تُدرى
 ودعنا من الكفر الذي قلته جهرا
 زبالةُ أفكارٍ به أحدثوا الكفرا
 كفورٍ برب العرش مَنْ مَلَك الأمرا
 بما جاء في القرآن والسنة الغرأ
 وأتباعه ممن على نهجهم يترا
 فهم بالهدى أولى لعمرى وهم أخرى
 يقرره القاري ومن كان لا يقرأ
 سوى الله مولانا الذي ملك الأمرا
 على كل مخلوقاته قد علا قهرا
 على كل مخلوقاته البرِّ والبحرا
 وفي قبضة الرحمن أجمعها طُراً^(٣)

(١) يدرا: يدرا.

(٢) طُرا: جميعاً. أي: فحصيلة مذهبهم: جحد الرب جل جلاله، لأنهم بلغوا حضيض التعطيل بنفي الصفة ونقيضها.

(٣) بدأ الشيخ يرد على شبهة «العلو والسفل»، مع كروية الأرض، التي سبق الرد عليها فيما مضى.

- ١٦٢- وإنَّ اختلافاً للجِهات محققٌ
 ١٦٣- فللحيوان الست ما أنت ذاكر
 ١٦٤- وكل مقال غير هذا فباطل
 ١٦٥- أولئك أتباعٌ لكل مُعطل
 ١٦٦- سوى الجحد للمعبود جل جلاله
 ١٦٧- فخذ عن ذوي التحقيق في شأن أمرها
 ١٦٨- فما فوق رأس المرء قد كان فوقه
 ١٦٩- يؤم إلى شيء فذاك أمامه
 ١٧٠- فليس لها في نفسها صفة لها
 ١٧١- ولكن على قدر الإضافات نسبة
 ١٧٢- وما كان خلفاً قد يكون أمامه
 ١٧٣- سوى الفلك الأعلى وما كان أسفلا
 ١٧٤- فإنهما لم يُتعتا بتغيير
 ١٧٥- فمن رام تحقيقاً لذاك فإنه
 ١٧٦- ويعسر في المنظوم من أجل وزنه
 ١٧٧- وقولك تخليطاً وخَرْطاً ملفقاً
 ١٧٨- «وكل علو فهو سفلى وعكسه»
 ١٧٩- فهذه مقالات لكل معطل
 ١٨٠- وما هذه أقوال من كان سالكاً
 ١٨١- فمن قال علوُّ كُلِّها فهو كاذب
 ١٨٢- وإذا كان هذا باطلاً متحققاً
- نعم حققَ الأَجارُ أخبارها سبِرا
 وما حكموا في غيرها ويحك الفكرُ
 يقدره أفكار من ضل واغترأ
 ملاحدة ليسوا على ملة تُدرى
 فصرت على منهاجهم تبتغي الشرا
 مقالاً وعدنا من مقالاتك النكرا
 وما تحت رجل منه أسفله يدرى
 وما كان من خلف يخلفه ظهرا
 ملازمة بل بالإضافات تُستقرا
 تغيير بالأحوال حالاً إلى أخرى
 وبالعكس واليمينى كذلك واليسرى
 فحكمهما غير الذي كان قد مرا
 كما قرر الأعلام أخبارها جهرا
 كما ذكر الأعلام في كُتُبهم نشرا
 حكاية ما قالوا وما حققوا سبرا
 بما ليس معلوماً تؤسسه هجرا
 إلى آخر الهذَرِ الذي قلته جهرا
 يقدر تقديرأ بأفكاره الخسرا
 على منهج المعصوم والسنة الغرأ
 فما ذاك معقول ولا حكمه مُجرى
 فذلك لا يقضي بآلهة أخرى

لأن إله العرش من فوقها يُدرى
 وهم تحت قهر الله أجمعهم طُرّاً
 وصحبك إذ أنتم بهذا كله أخرى
 إمام الهدى من كان من كفركم يبرا^(١)
 ليبراً منا أو يكون لكم فخراً
 على ذلك النعمان والعلماء طُرّاً
 ونسلك منها جأله قد سَمّا قدراً
 لنا في الهدى لم نَعُدْ ما قاله شبرا
 بحمد ولي الحمد شاماً ولا مصراً^(٢)
 على الملة البيضاء والسنة الغرا
 غواة طغاة أحدثوا في الهدى شرا
 وحرر في كفرانه الشر والشعرا
 أجادل أهل الحق أجمعهم طُرّاً
 وهذا لعمرى إفكه عندما أجرى
 وكان بما أبداه من غيّه أخرى
 وخَبُّ لثيم خانع مفعم شرا

١٨٣- ومن قال سُفل كلها فهو صادق
 ١٨٤- وعن كل مخلوقاته جلّ باين
 ١٨٥- فأنت الذي بالله ويحك مشرك
 ١٨٦- حنابلة كنا على نهج أحمد
 ١٨٧- فما هذه أقواله وطريقه
 ١٨٨- ولا مالك والشافعي ولم يكن
 ١٨٩- ونحن على آثار أحمد نقتفي
 ١٩٠- على السنة الغراء قد كان قدوة
 ١٩١- وما عم في هذا الزمان فسادنا
 ١٩٢- ولكتنا والحمد لله وحده
 ١٩٣- نافع عن دين النبي محمد
 ١٩٤- كهذا الذي أبدى ضلالات غيه
 ١٩٥- ويسزع من أني بالتحكم لم أزل
 ١٩٦- وأشتم أهل العلم بالجهل معلناً
 ١٩٧- ينابيع غي من ضلالات جهله
 ١٩٨- فما هو إلا جاهل متمعلم

(١) هذا رد على قول النبهاني:

حنابلة لكن مذهب أحمد

إمام الهدى من كل ما أحدثوا يبرا

(٢) رد على قول النبهاني:

وقد عم في هذا الزمان فسادهم

فما تركوا شاماً وما تركوا مصراً

- ١٩٩- وخزير طبع في شمائل ناطق
 ٢٠٠- سنسقيه كأساً مفعماً في حسائه
 ٢٠١- جزيناه دنيا ذا ومع كل مفتر
 ٢٠٢- على كفره بالله جل جلاله
 ٢٠٣- ووالله ما أملت فيما كتبته
 ٢٠٤- ولكن بآيات وسنة أحمد
 ٢٠٥- وأقوال أهل العلم من كل جهبذ
 ٢٠٦- وأملت فيه من كلام إمامه
 ٢٠٧- يرد على أتباعه في انتسابهم
 ٢٠٨- وهذا نظامي والذي قال منشدا
 ٢٠٩- فأيهما قد كان أصبح مملياً
 ٢١٠- نعم نحن أثبتنا العلو لربنا
 ٢١١- وهم عطلوا الرحمن من فوق عرشه
 ٢١٢- وراموا لها التأويل من هذيانهم
 ٢١٣- وألفت كتباً نثرها ونظامها
 ٢١٤- وماذا علينا من مقالات أحمق
 ٢١٥- ولو أن من يعوي يلقم صخرة
- يهر على أهل الهدى بالعوا هراً^(١)
 سماماً وشرياً في تجرعه المراً^(٢)
 على الله في الأخرى سيجزى لظى الكبرى
 ونأطره أطراً على ذلك الأطرا
 من الرد من فكري ضلالاً ولا هجراً
 بما صح إسناداً من السنة الغرا
 كما هو معلوم لدى كل من يقرأ
 كلاماً سما فخرأ به واعتلى قدراً^(٣)
 إليه الذي قد أحدثوا بعده كفرا
 فزن ماله قلنا وما قاله جهرا
 على فكره إيليسه كلما أجرى
 على كل مخلوقاته لم نقل هجراً
 وقد جحدوا أوصافه جل أن تجرى
 قتباً لهم تبأ لقد أحدثوا شرا
 يؤيد أهل الحق أرجو بها الأجر
 ونسج كلاب دائماً بالعوا تغرى
 لأصبح صخر الأرض أجمعه دُراً^(٤)

(١) هرير الكلب: صوت له غير نباحه، يكون من قلة صبرة على البرد.

(٢) الشري: الحنظل.

(٣) يعني بإمام النبهاني: أبا الحسن الأشعري.

(٤) قال الشاعر:

- ٢١٦- وما قلت عن رأي بفهمي سفاهة
 ٢١٧- أضل به بل كان ما قلت كله
 ٢١٨- يصدق أهـل التقى وذو النهي
 ٢١٩- وفي قطرٍ بالحق أضحى محمد
 ٢٢٠- وأعلن بالكفر البواح كمن غدا
 ٢٢١- وقد غاض هذا القدم ما قال جهرة
 ٢٢٢- وقد أسهب المأفون بالذم معلناً
 ٢٢٣- وأحسن شيء قاله في نظامه
 ٢٢٤- (ومن قلـد الشيطان في أمر دينه
 ٢٢٥- فتبأله من ماذق مارق غدا
 ٢٢٦- ويزعم أن الزبغ فيما يقوله
 ٢٢٧- لينفيه في زعمه وضلاله
 ٢٢٨- وقد عام في تياره بضلاله
 ٢٢٩- وقول الغبي القدم من ضل سعيه
 ٢٣٠- (ولم ينفرد شذاً مذهب أحمد
- بأمر صحيح من شريعتنا الغرا
 بـحمد ولي الحمد أجمعه طرا
 وينكره من كان مذهبه الكفرا
 يناضل عن دين الهدى كل من هراً^(١)
 يحرر في منظومه الكفر والشرا
 فلله ما أبدى وما قاله جهرا
 لأهل الهدى والقدم ما حقق الأمر^(٢)
 وكان به أولى وأجدر بل أخرى
 ينال به في دينه الخزي والخسرا
 بمنظومه كلباً يهرّب به هراً^(٣)
 ذوو الحق والمأفون خاض له بحرا
 لثلاييعاب القدم في ذمهم جهرا
 إلى لجة من زيفه وارتضى الكفرا
 ونال بهذا الخزي والعار والخسرا
 فقد ضل قوم من مذاهبنا الأخرى

لو كل كلب عوى ألقمته حجراً لأصبح الصخر مثقالاً بدينار

وقال آخر: لأصبح صخر الأرض أغلى من الدر.

(١) المراد بمحمد في هذا البيت: محمد بن حسن المرزوقي. وستأتي منظومته - إن شاء الله -.

(٢) المأفون: الأحق ناقص العقل.

(٣) ماذق: يخلط الحق بالباطل تليساً وتضليلاً.

- ٢٣١- كمن رد قولي تابعاً إثر جده
 ٢٣٢- إلى آخر الهنر الأخس الذي به
 ٢٣٣- وما ذاك إلا أنه ذو وقاحة
 ٢٣٤- قضى وطراً من شتم أصحاب أحمد
 ٢٣٥- لقد ضلّ في يهما مطاوع غيه
 ٢٣٦- فعاش ذميماً بين أمة أحمد
 ٢٣٧- فمارد محمود سوى ما أتى به
 ٢٣٨- فنال به محمود عزاً ورفعة
 ٢٣٩- وأعمأه نالوا بذلك رفعة
 ٢٤٠- وقد نصروا دين النبي محمد
 ٢٤١- فمن رام تنقيصاً لهم أو تهضمًا
 ٢٤٢- ويخفضه من حيث يطلب رفعة
 ٢٤٣- ويقصره عما تطاول يتغني
 ٢٤٤- ولا سيماً محمود حيث سمت به
 وأعمامه لكنهم آثروا السُّترا (١)
 غدا الأحق الأشقى يعط به فشر (٢)
 ومنطوقه ركس وقد ألف الشرا (٣)
 وعاد إلى قوم بهم أوقع الهجرا
 فعاث فساداً خائضاً نحوه بحرا (٤)
 بأوضاعه النكرا التي أوجبت خسرا
 من الكفر والزيف الذي قاله جهرا
 ونال به من كل من شامه شكرا
 فطوى لهم طوى فقد أحرزوا الأجر
 وردوا على من هدأعلامه الكبرى
 لمقدارهم فالله يقصره قسرا
 ويحصره عن نيل مطلوبه حصرا
 بذلك تعزيزاً على ضده قصرا
 مناقبه نحو العلى فاعتلى فخرا

(١) يعني: محمود شكري الألوسي - رحمه الله -.

وجه الستر في ذلك أن رد الألوسي في طبعته الأولى لم يُذكر عليه اسمه، وإنما جعل باسم مستعار، وهو أبو المعالي السلامي. وقصة هذا التستر شرحها الشيخ محمد نصيف - رحمه الله - فيما ساقه عنه الشيخ ابن سبيل كما سبق في المقدمة.

(٢) يقال: عطعت الكلام أي خلطه. والفشر: الهذيان.

(٣) أي أن منطقته نجس لما فيه من الإثم.

(٤) يهما: يهماء، وهي الفلاة لا ماء فيها.

فقال المني والحمد واستوجب الشكرا
إلى ربه كفيه أن ينسئ العُمرا
لأهل الهدى عمن يروم لهم وترا^(١)
ولكنما الأرجاس من ضده أخرى
أحق وبالفحش الذي قاله جهرا
ذوو العلم والتقوى ومن هم بها أدري
ضلالات أفاك وأبرزه سفرا
من الزينغ غطى غيها من لها يقرا
حوت بدعاً من غيه بل حوت كفرا
وحرر غيظاً فاض من جهله شعرا
يهرُّ بأرجاسٍ له نحوها هراً
هذوت من الإشرار والكفر والإطرا^(٢)
بستته والذب عنها وقد أجرى
على من رَمَتْ أرجاسه السنة الغرا
وقد أَلَّفوا في محو أعلامها كفرا
من الغيِّ ما نالوا به الخزي والخسرا
فقاهاوا بما منهم بها أوغر الصدر^(٣)

٢٤٥- ورد على من ند من كل ملحد
٢٤٦- فما أحدٌ إلا ويرفع ضارعا
٢٤٧- ويبقيه كهفاً للأنام ومعقلا
٢٤٨- فما قال أرجاساً وما تلك وصفه
٢٤٩- وأولى بها إذ هم بكل رذيلة
٢٥٠- وهم أهلها لا أهل سنة أحمد
٢٥١- وألف محمود كتاباً برده
٢٥٢- فلله ما أبدى فأجلى غياها
٢٥٣- فأصبح ممقوتاً بها حيث أنها
٢٥٤- ولام على تضليلها كلَّ مسلم
٢٥٥- وماذا يضر السحب في الجونا بئج
٢٥٦- عدو رسول الله أنت بما به
٢٥٧- وذاك حبيب المصطفى لا عتائه
٢٥٨- جداول أنهارٍ بأقلام رده
٢٥٩- بأزبال أفكار الغواة ذوي الردى
٢٦٠- ففار عليها من غواة توغلوا
٢٦١- وأكمد أكباداً لهم وأمضها

(١) وترا: أي حقداً.

(٢) هذا البيت والذي بعده تعريض بقول النبهاني عن الألوسي.

عدو رسول الله أَرْضَى عِدَاتِهِ وَمَنِي وَمَن أَحْبَابِهِ أَوْغَرَ الصِّدْرَ

(٣) أمضها: أي أَلَمَّهَا.

- ٢٦٢- ومن رشده ما قال فيما كتبه
 ٢٦٣- وأعطيته ما للإله بأنه
 ٢٦٤- ولم تعرف الإسلام حيث جعلت ما
 ٢٦٥- فلم يجد عنك المدح شيئاً وإنما
 ٢٦٦- كأمة عبّاد المسيح وقد غلّوا
 ٢٦٧- ولو حل منك المدح في سفر ذي التقى
 ٢٦٨- فما المدح بالإشراك إلا نجاسة
 ٢٦٩- أليس نهى أن يقربوا أنجس الورى
 ٢٧٠- وذلك أن الشرك رجس وأهله
 ٢٧١- فلو حل في سفر الهزبر مديحك
 ٢٧٢- فما هو إلا القدح لو كنت عارفاً
 ٢٧٣- ومع شحنه من قول كل محقق
 ٢٧٤- بمدحة أعلام النّهى وذوي التقى
 ٢٧٥- وأعظم به شعراً حوى كل نصرة
 ٢٧٦- ومن مدح خير الخلق تصنيف سفره
 ٢٧٧- فزيف ما أبديته من ضلالة
 ٢٧٨- ففي كل سطر من تقارير رده
- وألفته في مدح سيدنا شعرا
 إلهك حقاً حيث لم تعرف الشرا
 لمعبودنا للمصطفى فاقضى الكفر
 غدوت به لماً تجاوزت في الإطرا
 فنالوا بما قالوا الخسارة والوزرا
 للوثة إذ كان قد جمع الشرا
 تلوث ما قد حله بعد أن يطراً^(١)
 لمسجده لما عسى عَدِموا الطُّهراً^(٢)
 كذلك أرجاس وقد أَلْفُوا الشرا
 للوثة إذ كان بالشرك مُزورا
 وقدح عظيم في شريعتنا الغرا
 بشعرٍ إذا حققتَه تلقه دُراً
 حموا حوزة الإسلام أعظم به سِفر
 لأنصار دين الله أعظم به نصرا
 وأحكم في ترصين ترصيعه الشرا
 وذاك هو المدح الذي يوجب الشكرا
 مديحٍ محاغياً حوى الكفرا والإطرا

(١) في هذه الأبيات تعريض بقول النبهاني في رده على الألوسي.

ومن حمقه أو كفره قال إنه
 ولو حل مدحي للنبي بسفره
 إلهي وقد أكثر في مدحه الشعرا
 للوثة تبأله وله سفر

(٢) قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَمَلِهِمْ هَكَذَا﴾ [التوبة: ٢٨].

ولا منشداً بيتاً ولا منشداً شطراً
فتباً لمدح قد حوى الكفر والشرا
وتوَّعت في أمداحه النظم والشرا
عن الاستوا من فوقه فاقضى الكفرا
وأخبرنا ربُّ العُلى أنه أسرى
إلى الله حتى نال من ذلك الفخرا
فما فوقه ربُّ لديك ولا يُدرى
فما جهةُ بالله من جهةٍ أخرى
وعن يَمْنَةِ أسرى به أو إلى اليُسرى
كتاباً حوى كفراً بصاحبه أزرى^(١)
وكيف وقد أظهرت في قولك الشرا
بها من صريح الشرك ما أوجب الكفرا
وجاء بها القرآن والسنة الغرا
يغيث أخا كربٍ ويمنحه اليُسرى
ويبذل أسباباً بها تدفعُ الضُّراً
وبالمصطفى قد كان أشرك واستجرا
يقررها من كان منكم بها أدرى
وبالمصطفى منكم وقد أضحوا الأمرا
وما وجدوا للمستغيث بهم عنرا

٢٧٩- فماذا عسى إن كان ما راح منشئاً
٢٨٠- بمدح حوى الإطرا وكلَّ ضلالة
٢٨١- وماذا عسى إن صغتَ فيه مدائحاً
٢٨٢- وعظمت ربَّ العرش جل جلاله
٢٨٣- فما ذاك يجديك المديح لعبده
٢٨٤- وقد جاوز السبع الطباق بذاته
٢٨٥- وتجد أن الربَّ من فوق عرشه
٢٨٦- لقولك في مزبور مَينك ضلَّة
٢٨٧- فهلاً به أسرى إلى تحت أرضه
٢٨٨- وألفتَ في فضل استغاثكم به
٢٨٩- وليس جليلاً عند كل موحدٍ
٢٩٠- وذلك في أن استغاثكم به
٢٩١- وتلك لعمرى من خصائص ربنا
٢٩٢- خلا أنه إذ كان حيّاً وقادراً
٢٩٣- وينصر مظلوماً ويدفع ظالماً
٢٩٤- ومن يستغث بالله جل جلاله
٢٩٥- على الشرك بالمعبود وهو ضلالة
٢٩٦- وأعلمُ بالله العظيم ودينه
٢٩٧- وقد ينيوا والحمد لله وحده

(١) يعني كتاب النبهاني «شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق».

- ٢٩٨- وكان كتاباً بالضلالة مفعماً
 ٢٩٩- شواهد كُفِّرَ أطلعت في سطورها
 ٣٠٠- وما كل قول بالقبول مقابلاً
 ٣٠١- فكانت على أحبابه من ذوي الردى
 ٣٠٢- ونال بها أهل التقى من عاداته
 ٣٠٣- لأنهم لم يرتضوا بضلالة
 ٣٠٤- ولامت لمنع الاستغاثه جده
 ٣٠٥- وقد لامت النعمان من أجل أنه
 ٣٠٦- ومن قوله فيما به كان قد هذى
 ٣٠٧- (فلو خصني بالشتم مع عظم جرمه
 ٣٠٨- فذم هداه الدين من كل مذهب
 ٣٠٩- أقول لعمرى ما أتى بجهالة
 ٣١٠- ألسن أبحت الشرك بالله معلناً
 ٣١١- فلا غرو أن صفت فيه مصنفاً
 ٣١٢- وموجب هذا الشتم ما أنت مظهر
- حوى بدعاً شنعاء فأهون به سِفرًا
 شرورَ علوم كل شطر حوى شراً^(١)
 فكيف وقد أبدى ضلالاته جهراً
 جحيماً بيوم الحشر تُسعرهم سعراً
 هدى في غد حازوا به الفوز والأجراً
 ولا بالذي أبدى نظاماً ولا نثراً
 فتباً لمبديها المعلوم الذي هراً^(٢)
 رأى أنها كفرٌ فلم يرتض الكفراً
 وحرره هجواً وأبدى به شعراً
 لما لمته لكنه عمم الشراً
 وأعطى لكل من شناعته قدراً
 بشتك إذ أبدت من زيفك الهجراً
 كما قتلته فيما تحرره نثراً
 وأفصحت عن منشوره الهجر والنكرا
 تؤلفه نثراً وتنظمه شعراً

(١) هذا تعريض بقول النبهاني عن كتابه.

شواهد حق أطلعت في سطورها
 بدور علوم كل سطر حوى بدراً
 إلى آخر الأبيات.

(٢) يقول: إن شواهد الكفر المذكورة في البيت (٢٩٩) لامت جد الألوسي، وكان معظم بيت
 الألوسي سلفيين. وهو يشير إلى قول النبهاني.
 ولامت لمنع الاستغاثه جده ومن عمه نعمان أنكرت النكرا

- ٣١٣- وأما هداة الدين من كل مذهب
 ٣١٤- فما ذمَّهم محمودٌ شكري وإنما
 ٣١٥- وأثنى على قوم هداة أئمة
 ٣١٦- فقد كتموا أنتم زنادقة الوري
 ٣١٧- ومحمودٌ محمودٌ على كل حالة
 ٣١٨- غدا لفتى تيمية أي ناصر
 ٣١٩- وكان من الأعلام بل كان قدره
 ٣٢٠- وما بلغ المثني عليه نهاية
 ٣٢١- لذلك أثنى حسب ما يستطيعه
 ٣٢٢- وما كان هذا النصر إلا لأنه
 ٣٢٣- وما كان نصرُ المصطفى باتخاذ
 ٣٢٤- ونصرُ النبي المصطفى بأتباعه
 ٣٢٥- بما يستحق الربُّ جلَّ جلاله
 ٣٢٦- فمن كان هذا دينه وانتحالَه
 ٣٢٧- وماذا عسى لو أنفد العمر كلَّه
 ٣٢٨- فذاك الذي يريده لو خال أنه
 ٣٢٩- وما يستحقُّ العفو من كان ذا به
 ٣٣٠- وما ذاك إلا أنه كان طالباً
 ٣٣١- فلو كان من نسل المجوس لديكمو
- فزور وبهتان هذوت به فشرأ
 غواة طغاة أحدثوا البدع والنكرا
 وكان بهم أولى ومنكم به أخرى
 سواسية حُمقاً ملاحدة بُترا^(١)
 لنصرته خيراً هزبراً سما فخرأ
 نعم حيث لم يشرك ولم يقترب خُسرا
 أجل من المثني به عندنا قدرا
 ولا غاية من قدره توجب الشكرا
 لنصرته للمصطفى استوجب النصرا
 لنصر النبي المصطفى أنفد العُمرا
 إلهاً مع الرحمن تشركه جَهرا
 وتكفير أقوام رأوا أنه الأحرأ
 فتبأ لهم تبأ فقد آثروا الشرا
 فلن يستحقَّ العفو والصفح والعذرا
 بخدمته المعصوم بالكفر والإطرا
 بهذا استحقَّ النصر والفوز والأجرا
 يهرُّ بني الزهرا ويبغي لهم شرا
 لديهم بما خُصُّوا به حسداً شرا
 سما عندكم من أجل كفرانه قدرا

(١) بُترا: مبتورون؛ أي مقطوعون؛ دعاء عليهم بصيغة الفأل لهم.

- ٣٣٢- فإذا كان من نسل النبي محمد
 ٣٣٣- وردَّ على من ندَّ عن دين جده
 ٣٣٤- وتنبئ بالتعريض قدحاً وفريّة
 ٣٣٥- فلو كنت من أنصار دين محمد
 ٣٣٦- لأصبحت محموداً مراعىً مكرماً
 ٣٣٧- فلما عكست الأمر بؤت بما به
 ٣٣٨- فعوديت لا من أجل أنك لم تزل
 ٣٣٩- وماذا عسى إن كنت للعمر منقفاً
 ٣٤٠- وأنت عدو مبغض متنقص
 ٣٤١- وتجد أوصاف الإله وكونه
 ٣٤٢- ومرتفعاً بالذات من فوق عرشه
 ٣٤٣- فإن كنت في شك من النسب الذي
 ٣٤٤- فما أنت إلا ضفدع وابن ضفدع
 ٣٤٥- وشكك لا يجدي لدى كل مسلم
- أعزّ الوري قدراً وأعلاهمو فخراً
 وصدّ عن التوحيد يبغي له النصراً
 فمت كمدأ واخسأ فلن تبلغ الثأراً^(١)
 لدى السادة الأمجاد حقاً بني الزهرا
 ولم تستحقّ الذم والشتم والكسرا
 تُناط من الفحشاء والقالة النكرا
 بذكر معالي جده تنفق العمرا
 بذكر معالي المصطفى من سما فخرا
 لأحبابه النافين عن دينه الكفرا
 على العرش حقاً قد علا واعتلى قدرا
 تعالى عن الأمثال من ملك الأمرا
 نقول وفيه الشك تحصره حصراً^(٢)
 فلا حقّ تدريه ولا منكرٌ تدرا
 فدع هلك الأخرى وفحشاءك النكرا

(١) الأبيات رد على قول النبهاني عن الألوسي:

فلو كان من نسل المجوس عذرتهم وقلت امرؤ يبغي لأجداده ثأراً

(٢) الأبيات رد على النبهاني في قوله مشككاً في نسب الألوسي المتمي إلى علي بن أبي طالب

رضي الله عنه، لأنما له في موالة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

ولكن نراه يدعي خير نسبة وأم الفتى منه بنسبته أدرى

فمن ذا رأى في الناس شخصاً مالياً لقوم يرون الحب في جده كفرا

ومن ذا رأى في الناس شخصاً معادياً فتى بمعالي جده أنفق العمرا

إذن نحن في شك من النسب الذي يقول وفيه الشك نحصره حصراً

- ٣٤٦- فإنك كالحرباء تنو بطرفها
 ٣٤٧- وهل أنت إلا من قرية إجزم
 ٣٤٨- بمن أنت منسوب إليه حقيقة
 ٣٤٩- وقد صح عندي من أحاديث من له
 ٣٥٠- بأنك من غوغاء أنباط إجزم
 ٣٥١- ودعوى بني نيهان يحتاج أن يرى
 ٣٥٢- يقرره محمودٌ شكري لأنه
 ٣٥٣- وصحَّ لدينا في اعتقادك أنه
 ٣٥٤- وينبئنا عن ذاك نظمك جهرة
 ٣٥٥- وقد قال هذا القدمُ في هذيانه
 ٣٥٦- (وبعدُ فذيانك الكتاب يدلنا
 ٣٥٧- أقول لعمرى إن ذا لتهورُ
 ٣٥٨- وما الغيُّ إلا ما نحاه وما محا
 ٣٥٩- وما الجهل جهراً غير ما القدمُ خطُّه
 ٣٦٠- فأبدى كتاباً من سفاهة رأيه
 ٣٦١- حوى كلَّ شرٍّ مستطيرٍ شراره
 ٣٦٢- فحلَّ عليه اللعن إذ كان أهله
- إلى الشمس من حمق وقد أوغر الصدر
 قرية حيفا من فلسطين لا يُدرى
 فنحن على شك ودعواك لا نُجرا
 بحالك تحقيق يقررها جهرا
 أصابك منها الفال والحالة العسرى^(١)
 بذلك ثبثاً ثابتاً عن بني الزهرا^(٢)
 هو العلمُ الفرد الذي استوجب الشكرا
 كمذهب أهل الاتحاد وبه أخرى
 فتبأ له تبأ لقد أوجب الكفرا
 وأبرز جهلاً من غباوته جهرا
 على جهله طوراً على غيه طورا
 من القدم إذ أضحى بمنظومه يقرأ
 به الملة السمحا من الكفر والإطرا
 ويحسب جهلاً أنه الأوحدا الأدرى
 وحرَّر فيه الجهل والشرك والكفرا
 يغرُّ به الغوغاء من جهله غرّاً
 فما سامع إلا ويلعنه جهرا

(١) المعنى: أنه لم يُصب ممن انتسب إليهم غير الحالة العسرى.

(٢) يريد ببني الزهراء آل الألويسي، وقد حصل من القوم تراشق في الأنساب، فالشيخ الألويسي شكك في نسب النبهاني إلى طيء بغاية الأمانى، (٢/ ٩٢-٩٣)، والنبهاني شكك في نسب الألويسين بالرائية الصغرى - كما سبق -.

- ٣٦٣- وأما كتاب الألمعي فإنه
 ٣٦٤- وأعلى به أعلام سنة أحمد
 ٣٦٥- وأكثر فيه النقل عن كل جهيد
 ٣٦٦- ولا شك قد أسهبت فيما كتبه
 ٣٦٧- وكل جواب فيه معنى مطابق
 ٣٦٨- نعم كل من يهوى هواه وغيه
 ٣٦٩- لأنهمو في غمرة من ضلالهم
 ٣٧٠- وغاز عدو الله تكبير حجمه
 ٣٧١- وما ذاك إلا أنه قد أمضه
 ٣٧٢- فمت كمداً لا عشت ما عشت آمناً
 ٣٧٣- وما كان ما قد قال من رد غيكم
 ٣٧٤- ولكن على النهج القويم كلامه
 ٣٧٥- وأقوال أعلام الهدى وذوي التقى
 ٣٧٦- وسيرك في يهما مفاوز من مشى
- كتاب حوى علماً أشاد به القرا
 وأعلامه أعلى لهم جهده فخرا
 ليغمر غمراً غمره أحدث الشرا
 فكثر ما ينفي بتكبيره الكبرا
 لمعنى حرام رامه الأحقق المغرى
 يرى أنه أخطأ ولم يفهم الأمرا
 فظنوا الردى خيراً وظنوا الهدى شرا
 ففاه بما أبدى لكى يدرك الشأرا
 وأورى به في الهمط جلجاله جمراً^(١)
 ولا ناجياً مما أمضك أو أورى
 بتخييط عشوا كالذي قلته فشرأ^(٢)
 بأي من القرآن والسنة الغرأ
 ومنهم مصايح الدجى للورى طراً
 ثوى في نواحيها وأودى به المسرى^(٣)

(١) الهمط: الخلط والأباطيل، والجلجال اسم لما لحركته صوت شديد، والأبيات رد على قول النبهاني:

وكثر فيه النقل من دون حاجة
 وبالحرف والقرطاس عظم حجمه
 (٢) رد على قول النبهاني:

ولكنه عشواء تمحبط خطها
 والفشر: الهذيان.

(٣) اليهما: الفلاة، لا يهتدى فيها.

على منهج أسنى وقد فقد البدرا
وقد ضلّ في يهما المهامه واغترأ^(١)
من الشرك بالمعبود خالقنا شرا
وهيات لو يدري لأبصره كفرا^(٢)
ومن كان زنديقاً تجاهل واستجرا
ويحسبه نصراً ومن حمقه فخرا
لإثم ولا أبدى بما قاله وزرا
وجاء بهذا لابن تيمية نصرا
وأنصاره ممن على نهجه يترى
سمت شرعاً المعصوم واستعلنت جهرا
ومن كسرت أعداءنا كتبهُ كسرا
ومن غيّه في غمرة إذ هذى جهرا
من العلم والتقوى فقال وقد أزرى
وهذا هو الشر الذي أوجب الإزرا
وكان به عن منهج الصدق مزورا
وكانت لعمرى من مناقبه الكبرى
مثالب قد كانت بمن خالها أخرى

٣٧٧- بديجور ليل الشرك والفدّم لم يكن
٣٧٨- فيحسب جهلاً أنه في مسيره
٣٧٩- وقال كتابي وهو لا شك قد حوى
٣٨٠- كتابٌ لخير الناس قد كان نصرة
٣٨١- أينصره من كان بالله مشركاً
٣٨٢- وقد جعل المعصوم ندّاً لربه
٣٨٣- ومحمودٌ شكري لم يكن متجانفاً
٣٨٤- وقال غباء من سفاهة رأيه
٣٨٥- نعم نصرَ المعصوم غاية جهده
٣٨٦- كشمس الهدى البحر الخضم الذي به
٣٨٧- وذاك أبو العباس أحمد ذو النهى
٣٨٨- وأعجب شيء أنه من ضلاله
٣٨٩- وخال سفاهاً أنه بمحلة
٣٩٠- وذلك من أغلى وأعلى مناقبي
٣٩١- ويبرزه للراشقين دريئةً
٣٩٢- وأعلى مقاماتٍ لمحمود قد سمت
٣٩٣- وشاد لمن عادى مناقب ظنها

(١) المهامه: المفاوز البعيدة.

(٢) البيت رد على قول النبهاني:

وهذا لأعداء النبي أتى نصرا

كتابي لخير الخلق قد جاء ناصراً

- ٣٩٤- وتلك لهذا في الحياة وبعدها
 ٣٩٥- وما يَتَرُ الرحمنُ من أجرٍ محسن
 ٣٩٦- وأسلافُ محمودٍ على الدين قد مضوا
 ٣٩٧- فإن كان قد أبدى وأظهر دينه
 ٣٩٨- ففاق بما أبدى وأظهر وارتنقى
 ٣٩٩- وما كان ما يُخفيه خوفاً جدوده
 ٤٠٠- ولكنما إبليس في فيك خائناً
 ٤٠١- فأصبحت لا تدري سواها وإنما
 ٤٠٢- بفيك على من كان للدين مظهرها
 ٤٠٣- فأصبحت ملعوناً بكل محلة
 ٤٠٤- وقرّظ قولاً منك في مصر عصبه
 ٤٠٥- ولو أنهم من أهل شرعة أحمد
 ٤٠٦- ولكنهم صُمّ وبكّم عن الهدى
- ومحمودٌ لا يُجزي بذلك في الأخرى^(١)
 ولكنه يلقي به الفوز والأجرا
 وماذا عسى لو أبرزوا تقيّةً تدرا^(٢)
 وخالف من أخفى وللصدّ قد ورى
 به شرفاً يبقّى ومنقبّةً كبرى
 وأظهره محمودٌ رجساً ولا كفرا^(٣)
 بأرجاسه الكبرى وأركاسه الصغرى^(٤)
 لك القحّة الشنعا شعاراً بها تُخرى
 وللجنة الغراء أظهرها جهرا
 وأصبح محمودٌ بها نائلاً فخرا
 هم الغاغة النوكا إذ قرضوا الكفرا^(٥)
 لما قرضوا كفرا وأعلّوا له قدرا
 وأعينهم عمي فلم تبصر الشرا

(١) رد على قول النبهاني:

وذلك فخري في الحياة وبعدها وهذا له خزي بدنيّه والأخرى

(٢) تقيّة: مداراة، وتدرا: تدرا - بالهمزة - أي تدفع.

(٣) المعنى أن محموداً أظهر سلفيته التي كان يخفيها أجداده خوفاً من القبورين والبدعيين.

وهذا الرد عود على قول النبهاني:

كشكري الألسوي تابعاً لئرجده وأعمامه لكنهم آثروا السُّترا

(٤) هذا تعريض بقول النبهاني:

هم الكل أعداء النبي فبعضهم عداوته كبرى وبعضهم صغرى

(٥) النوكى: الحمقى.

- ٤٠٧- نفوسُ كلابٍ في جُسومِ أوادم
٤٠٨- وقَرَّظَ سفرَ الأُلُوسي عَصْبَةً
٤٠٩- وكلُّ غدا يلقى الذي هو أهله
٤١٠- نعم كلنا يلقى غداً بفعاله
٤١١- وما أحدٌ منا يذمُّ ذوي الهدى
٤١٢- ونعلي مقاماتٍ لهم بمدايح
٤١٣- وقد كان معلوماً لدينا بأنَّ مَنْ
٤١٤- غواةً طغاةً لا ثقات أئمة
٤١٥- هم الكل أعداءُ النبي فبعضهم
٤١٦- ولا كان أهلُ الزيغ والكفر عندنا
٤١٧- لذلك أعطينا ولم نحترم لهم
٤١٨- وللأحمق الأشقى أمضُ عداوة
٤١٩- سنسقيه كأساً مفعماً ونذيقه
٤٢٠- وإشراكه بالله جل جلاله
- تهرُّ على أهل الهدى دائماً هراً
عن الحق ما زوروا ولا حرروا هُجْراً^(١)
إذا ما أتى عَرَضٌ لمولاه أو نُكْراً^(٢)
وأقواله الزلفى أو الخزي والوزرا
ولكننا تُنْشي ونمنحه شكرا
وننشرها نظماً ونبدي بها نثرا
زعمتَ هداةً من ذويك وفي مصرنا
فلن يستحق المدح منا ولا النصرنا
عداوته كبرى وبعضهم صغرى
أئمة إسلام لستنا الغرّاً
مقاماً لكلٍّ مِنْ عداوتنا قَدراً
نخصصه من تلك بالحصّة الكبرى^(٣)
بذاك دفاعاً عن مقالاته النُكْرا
وجَحْدٍ علوّ الله من فوقنا جهرا

(١) هذا رد على قول النبهاني:

وقرّظ قولي عندما تم طبعه
وقرّظ سفر السوء بالزور أهله
ومشايخ إسلام الشريعة في مصرنا
ومن كان عن سبل الشريعة مزورنا

(٢) غير مفهوم معنى نكرا في هذا السياق، ولعله يريد منكراً ونكيراً.

(٣) رد على قول النبهاني في ذمه لمن زعمهم أعداء محمد ﷺ.

وخصوا محبيه بنسبة حبه
وقد جعلوا لي حصّة من كبارها
فأعطوا الكل من عداوتهم قدرا
لما علموا من حبه حصتي الكبرى

- ٤٢١- فقد جاء هذا القَدْمُ أمراً مؤيداً
 ٤٢٢- فيا من هو العالي على كل خلقه
 ٤٢٣- أبد فتةً أضحت ليوسفَ ذي الردى
 ٤٢٤- وراموا الأنصار الرسول ودينه
 ٤٢٥- فتباً لهاتيك العقول ومارأت
 ٤٢٦- وصلَّ على خير الأنام محمد
 ٤٢٧- وأصحابه والآل مع كل تابع
- وأظهر في منظومه ذلك الأمرا
 على عرشه من فوقه بائن طُراً
 حماة وردءا حيث قد أطلدوا الكفرا
 بآرائهم كسراً وأضداده نصرأ
 من الرأي في طمسٍ لأعلامه جهرا
 أعزُّ الورى قدراً وأعلامهم فخرأ
 وتابعهم ممن على نهجهم يترى

تمت، والحمد لله رب العالمين

* * *

حرف الرء

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين

رائيته في الرد على النبهاني

الحمد لله الذي أظهر الحق وأداله، وقمع الباطل وأزاله، أحمدته سبحانه وتعالى على ما أولاه من فضل وأناله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من اعتقد الحق وعمل به وقاله.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي علم الله به من الجهالة، وهدى به من الضلالة، وفتح به أعينا عمياً وأذناً صماً وقلوباً غُلْفاً، فنصح الأمة وأدى الأمانة وبلغ الرسالة. صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.

أما بعد: فقد وقفت على منظومة رجل من أهل الشام من أهل بيروت يقال له يوسف بن إسماعيل النبهاني^(١) تجاوز فيها الحد وأقلع فيها وألحد وأسهب في مسبة أهل الإسلام وهداة الأئمة والأعلام وجاء بضروب من

(١) توفي النبهاني سنة ١٣٥٠هـ بمسقط رأسه إجزم بشمالي فلسطين، وكان أديباً شاعراً صوفياً تولى القضاء بقصبة جنين من أعمال نابلس وكوى سنجق من أعمال ولاية الموصل كما عين رئيساً لمحكمة جزاء باللاذقية، ثم بالقدس، ف رئيساً لمحكمة الحقوق ببيروت. وجاور بعد ذلك بالمدينة. انظر مصادر ترجمته بمعجم المؤلفين ٢٧٦/١٣.

- ٤١٨- وللأحمق الأشقى أمضِ عدواة
نخصمه من تلك بالحمة الكبرى^(١)
٤١٩- سنسقيه كأساً مفعماً ونديقه
بذاك دفاعاً عن مقالاته النكرا
٤٢٠- وإشراكه بالله جل جلاله
وجَخذِ علُوَّ الله من فوقنا جهرا
٤٢١- فقد جاء هذا القذمُ أمراً مؤيداً
وأظهر في منظومه ذلك الأمرا
٤٢٢- فيا من هو العالي على كل خلقه
على عرشه من فوقه بائنٌ طراً
٤٢٣- أبد فتنة أضحت ليوسفَ ذي الردى
حماة وردهاً حيث قد أطلوا الكفرا
٤٢٤- وراموا لأنصار الرسول ودينه
بآرائهم كسراً وأضداده نصراً
٤٢٥- فتباً لهاتيك العقول وما رأت
من الرأي في طمس لأعلامه جهرا
٤٢٦- وصل على خير الأنام محمد
أعزُّ الورى قدراً وأعلامهم فخرا
٤٢٧- وأصحابه والآل مع كل تابع
وتابعهم ممن على نهجهم يترى

تمت والحمد لله رب العالمين

* * *

(١) رد على قول النبهاني في ذمه لمن زعمهم أعداء محمد ﷺ:

وخصموا محبيه بنسبة حبهم فأعطوا الكل من عدوتهم قدرا
وقد جعلوا لي حصة من كبارها لما علموا من حبه حصتي الكبرى

(٤)

منظومة

الشيخ عبدالعزيز بن إبراهيم السويح

- رحمه الله -

(ت ١٣٦٩ هـ)

ترجمته^(١):

قال الأستاذ أحمد الدامغ: «هو الشيخ عبدالعزيز بن إبراهيم السويح - رحمه الله -، والد فضيلة الشيخ إبراهيم السويح - رحمه الله -، صاحب كتاب «بيان الهدى من الضلال في الرد على صاحب الأغلال». كان يجيد الشعر بالفصحى والعامية وأغلب شعره بالعامية.. وقد عثرت على شعر له بالفصحى في صورة مخطوطة عندي، منه قصيدة موجهة إلى الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود - طيب الله ثراه -، يهنته فيها بفتح الأحساء، ومؤرخة في ١٥ جمادى الثانية عام ١٣٣١ هجرية ونصها:

فتحاً يقارنه بالسعد إقبالاً	ملكاً على أهله مسترجعاً آلاً
فتحاً به بدت الأيام بهجتها	كأنه في جبين الوقت إهلالاً
فالصدر منشرح والقلب في فرح	والنفس ترقص إعظماً وإجلالاً
بُشراكي بِشرك بالأحسا وساكنها	قد اكتست من صميم الأمن سربالاً
من بعدما أوقف الأعراب سلبهم	والترك تظلمهم نهياً وإهمالاً
وأصبحوا نهبة الأعراب في وجل	لا يأمنون على نفس ولا مالا
حتى أتيح لها حامي البلاد أبا	تركي تتبعه الأبطال سردالاً
ليأخذ الملك من أيدي غواصه	رغماً على من على أملاكهم عالاً
في فتية من بني الأحرار يقدمهم	تخالهم في وطيس الحرب أشبالاً

(١) نقلاً عن كتاب: «الشعر النبطي في وادي الفقي» للأستاذ أحمد الدامغ، (١/ ١٤٠-١٥٠). ولم يذكر سنة وفاته - رحمه الله -، ومثله ابن خميس في «تاريخ اليمامة» (٥/ ٥٤٠).

هُنيئ بالنصر والإقبال من ملك حامى الرعية وهاباً ومفضلاً
لما رأيتُ لما قد صار ذكرني بيتاً به سارت الأمثال من قالا
فاشرب هنيئاً عليك التاج مرتفعاً فى رأس غمدان دارٌ منك محلاً
تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء فعاداً بعد أبوالا

وقد ذُيل هذه الأبيات بنثر نصه: بسم الله الرحمن الرحيم: إلى معالى
مولى الهمم العوالى وسليل الأكارم الأعالي: أدام الله إجلاله، وأبقى
على الرعية إحسانه وأفضاله، آمين. بعد السلام عليكم ورحمة الله
وبركاته: بكمال الابتهاج تلقيت البشرى التى ملأت القلب سروراً،
والأفئدة بهجة وحبوراً، وهو تجلى شمس أنواركم على ولاء الأحساء
وتوابعها، فكانت عندي أحسن بشارة قرّرت بها العين، فتجاسرت لتحرير
هذه الأسطر، ورفعتها لمقام مولاي أطال الله بقاءه، والحمد لله الذى
أقامكم مقاماً تسرّ به الخواطر، وأحيا بكم هذه الولاية إحياء الروض
بالسحب المواطر، وإنى على الدوام (.....)^(١) بعد ذى الجلال والإكرام
بأن يحرسكم بعينه التى لا تنام، ويحفظكم بعنايته، والسلام. خادمكم
الداعى لجنابكم: عبدالعزيز بن إبراهيم السويح.

(١) يياض فى أصل الرسالة.

المنظومة

- ١- على وجهها الموسوم بالشؤم إذ تُقرا
 - ٢- فتى يوسف النبهان أهون بشخصه
 - ٣- ولم أدر من أي الطوائف نسبة
 - ٤- وإنني بشك أن يكون نكاحه
 - ٥- ومضمونها الشرك الوخيم وسبة
 - ٦- وما رُوجت إلا على كل أحق
 - ٧- وليس عجيب أن يكون مغفل
 - ٨- لقد قال غير الحق إفكاً وباطلاً
 - ٩- تقول ابعد ياليتَه قد أقالها
 - ١٠- فضيفتها مني قريضاً مُنمقاً
 - ١١- وما أنا باللعان لولا اجترأؤه
 - ١٢- كما سبَّ محموداً الأوسي واجترا
 - ١٣- وسب كتاباً قد حوى كل آية
 - ١٤- فكم من حديث قد حواه وآية
 - ١٥- ولم يدر ما قد قال من غلط جهله
- قصيدة أفاك أتت من بني الغبرا
فتبأله قدماً ويُسأله غمرا
ولكن بيت السوء ظناً به أحرا
حلالاً وأن الفحل أحبلها طهرا
لأعلام دين الله والسنة الغرا
ضعيف النهى لم يدر شيئاً ولم يُلدرا
غبي يرى بغراً ويحسبه تمرا
ويحسبه المأفون من جهله ذراً
..... اللئيم لها النظر^(١)
..... قد حوت نُكراً^(٢)
وكل فتى يُجري بمثل الذي أجرا
على شتمه إن اللئيم لمغترا
من الوحي ما ألقى الخيْثُ لها الفكر
ولكن في أذنيه عن سمعها وقرا
فيا محنة الإسلام من سوءة كبرا

(١) مكان النقط كلمات غير واضحة.

(٢) مكان النقط كلمات غير واضحة.

- ١٦- ويعتبه إذرد زيفاً وباطلاً
 ١٧- وما الشعر في حق الرسول بنافع
 ١٨- لقد كان ذا شعر ونصر يُعينه
 ١٩- فكم يدعي حبَّ الحسين روافض
 ٢٠- وما الحبُّ إلا في اتباع طريقه
 ٢١- وما العلم إلا من كتاب وسنة
 ٢٢- فيا أيها القدم الذي جاء مفسداً
 ٢٣- يسب دعاة الدين من كل جهيد
 ٢٤- كما سب في مصر أخا العلم والتقى
 ٢٥- وقد غاظه نصرُ الهدى وتباعه
 ٢٦- وفي قطرٍ سبَّ الهمام محمداً
 ٢٧- لئن قلتَ هو هُرٌّ فانت فقارة
 ٢٨- وما أنت كفراً أن تصان وتُتقى
 ٢٩- تبيّت في التأليف للناس عُجبةً
 ٣٠- أن قام كلبٌ ينبج الحقَ ضَرَّه
 ٣١- وقد قيّض الرحمنُ ربي لدينه
- ألا إنني أنشدت في جدك الشعرا (١)
 لمن كان ذا شرك عن الحق مغترا
 أبو طالبٍ والشرك أحرمة الأجر (٢)
 ومن فعلهم إن الإمام غدا يبرا
 كما جاء في التزييل والسنة الغرا
 وما غيرها إلا المهالك والخسرا
 بسب دعاة الدين ظناً به فخرا
 هداة لمن أخطا الصراط أو ازورا
 فقال (منارَ السوء) يمنحهم شكرا
 فأوغر في صدر الخيث له جمرا
 كما سب في نجد سليمان واعترا (٣)
 وكم يُهلك الضرغام من كفه فأرا
 ولا عرضك المهتوك يستوجب السُترا
 ومهزاةً للعارفين كما السُخرا
 بلى إنه للتيس يشبهه طُراً
 إذا هَرَّ كلبٌ من يلقمه صخرا

(١) أي أن النبهاني يتمدح بأنه أنشد الشعر في النبي ﷺ، جد الألو سي.

(٢) أي أن شعر أبي طالب في النبي ﷺ لم ينفعه؛ لأنه كان مشركاً.

(٣) أي أن النبهاني سب رشيد رضا ومجلته «المنار»، وسب الشيخ محمد بن حسن المرزوقي القطري، وسب الشيخ سليمان بن سحمان - رحمهم الله تعالى -.

- ٣٢- يُعِيرْنَا أَنْ قَدْ تَبْنَا بِدَارِنَا
٣٣- فَكُمْ مَدْعٍ دَعْوَاهُ مِنْ كُلِّ كَاذِبٍ
٣٤- فَفِي مَكَّةَ وَلَدَ النَّبِيِّ وَصَحْبَهُ
٣٥- وَكَمْ فِي بِلَادِ اللَّهِ مِنْ عَاشٍ كَافِرًا
٣٦- وَإِنَّا لَنَامِعٌ صَحْبَهُ خَيْرٌ مَشْهُدٍ
٣٧- فَكُمْ يَشْهَدُ التَّارِيخُ مِنْ مَوْقِفٍ لَنَا
٣٨- فَسَلْ عَنْهُمْ أَبْطَالَ كَسْرَى وَقِصْرٍ
٣٩- فَمَا أَفْسَدَ الدِّينَ الْحَنِيفِي غَيْرُكُمْ
٤٠- وَفَرَّقَ جَمْعَ الْمُسْلِمِينَ وَشَمَلَهُمْ
٤١- سَرِيتَ عَلَى مَا قَالَ جَهْمُ فَقَلْتَهُ
٤٢- وَتَجَحَّدَ أَنَّ اللَّهَ فَوْقَ سَمَائِهِ
٤٣- إِذَا كَانَ هَذَا الْفُوقُ وَالسُّفْلُ وَاحِدٌ
٤٤- كَذَا صَالِحُ الْأَعْمَالِ قَدْ جَاءَ رَفْعُهَا
٤٥- فَعِنْدَكَ مَا فَرَعُونَ إِذْ قَالَ ابْنُ لِي
- مَسِيلْمَةُ الْكَذَابِ أَوْ عَرَسَهُ الْبَتْرَا
فَمَا أَشْأَمُوا قِطْرًا وَلَا أَسْعَدُوا قِطْرًا
وَفِيهَا أَبُو جَهْلٍ وَمَنْ مِثْلُهُ كَفَرَا
وَمَنْ مُسْلِمٌ يُرْجَى لَهُ الْخَيْرُ وَالْبِرَا
يُحَقِّقُهُ التَّارِيخُ مِنْ كُلِّ ذِي خَبْرَا
نَصَرْنَا بِهِ الْإِسْلَامَ إِذْ فَرَّ مَنْ فَرَا
فَكُمْ فَتَحُوا مِصْرًا وَكَمْ كَسَرُوا كَسْرَى
فَمَذْهَبُ جَهْمٍ أَوْرَثَ الْكُفْرَ وَالشَّرَا
فَكُمْ جَرَّ فِي الْإِسْلَامِ مِنْ دَمْعَةٍ حَرَا
لِتَبِعَهُ قُطْبًا فَيَا خِيَةَ الْمَسْرَا
وَمَعْتَقَدَ اللَّهِ فَوْقًا أَتَى كَفَرَا
لَدَيْكَ فَمَا الْمَعْرَاجُ فِي قِصَّةِ الْأَسْرَا^(١)
بِأَيِّ كِتَابِ اللَّهِ يَدْرِيه مَنْ يَقْرَأُ^(٢)
لَهَا مَانِذَا كَفَرَ لَدَيْكَ وَلَا تُكْرَأُ^(٣)

(١) إِذَا كَانَ الْعُلُوُّ وَالسُّفْلُ عِنْدَ النَّبْهَانِيِّ وَاحِدًا، فَمَاذَا يَقُولُ فِي حَادِثَةِ مَعْرَاجِهِ ﷺ إِلَى السَّمَاءِ؛ هَلْ هِيَ إِلَى الْعُلُوِّ أَوْ السُّفْلِ ١؟

(٢) قَالَ تَعَالَى: ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

(٣) أَيِ أَنْ فَرَعُونَ لَمْ يَقُلْ لَهَا مَانِ: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَنْهَكُنْ أَبْنِيَّ مَرْحًا لَعَلِّي أَنْتَلِجُ الْأَسْبَابَ﴾^(١) أَسْبَبَ السَّمَكَاتِ فَطَالِجٌ إِلَى اللَّهِ مُوسَى [غافر: ٣٦-٣٧]، إِلَّا لِأَنَّ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلَامُ - أَخْبَرَهُ أَنَّ اللَّهَ لَهُ صِفَةُ الْعُلُوِّ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى -.

- ٤٦- تشابهتما بالكفر إذ كان جاحداً
ومنهك التعطيل مجراكما مجرا
٤٧- ومن جمعه إذ قال لم يتوسلوا
وما زاروا المختار في طيبة الغرا
٤٨- أقال رسول الله بي فتوسلوا
وبي فاهتفوا في (١)
٤٩- وهل أرشدَ الصحبَ الكرام لفعله
وهل جاء عنهم فعل ذاك أو الأمر
٥٠- أيرضى رسول الله أن نستغيثه
ونصرف للموتى العبادة والنذرا
٥١- حمى جانبَ التوحيد عن كل شبهة
كمثل غلو السالفين أو الإطرا
٥٢- أتدعو عباد الله للشرك جهرة
شدت من الشيطان إزراً لك الوزرا
٥٣- وتطلب بالإشراك أجراً وترتجي
بسب دعاء الدين والعلم في الأخرى
٥٤- كمطعمة الأيتام من كدّ فرجها
وتطلب زعماً عند خالقها الأجر
٥٥- وما ذنبنا عند الغبي وحزبه
إذا انجال عن وجه الصواب لك السّترا
٥٦- سوى محض أفراد العبادة كلها
إلى الله لا ندعو نبياً ولا قبراً
٥٧- ونبغض أهل الشرك بالله والذي
إلى بدعة يدعو ومن فعله نّبرا
٥٨- فلا مذهب التعطيل نرضاه مذهباً
ولا نتقي في الدين زيدا ولا عمرا
٥٩- وصلى إله العرش ربي بفضل
على المصطفى خير الوجود أبي الزهرا
٦٠- مع الآل والأصحاب كلّ عشية
على ... (٢) تُسلى مكررة تترا

تمت، والحمد لله رب العالمين

* * *

(١) غير واضحة.

(٢) كلمة غير واضحة.

المنظومة

١
 وما كان عبد العزيز بن إبراهيم يسبح ولا على وجه النبهاني البروق
 على وجهها الموسوم بالشوم اذ تقرا
 فتي يوسف النبهاني اهلون بحجته
 فقال له يا وسأله عبرا
 ولم ادر من اي الطوائف نسبة
 ولكن بيت السوطيانه احر
 واني شك ان يكون نكاحه
 او مصونها الشريك الوعيم وسنة
 وما روجت الا على كل احمق
 وليس عجيب ان يكون مغفل
 والحق قال عليه السلام انما هو باطل
 انتم تسمونه باليهود فها انما
 انتم تسمونه باليهود فها انما
 وما انا باللعان لولا اني
 كما صب محمود الالوسي وجبرا
 وسب كتابا قد جوى جلالة
 فكم من حديث قد ضل وآية
 ولم يدر ما قد قال من غلط جهله
 ولعنته اذ رد مؤلفا و باطلا
 وما الشعر في حق الرسول نافع
 لموكان ذا شعر ونضر لعينه
 فكم يدعي حب الحسين ورفض

قصيدة افاك انت من بني القبرا
 فقال له يا وسأله عبرا
 ولكن بيت السوطيانه احر
 حلالة وان العمل حلها طهر
 لا غلام دين الله والسنة الفيرا
 صفيق النهي لم يدر شيئا ويرى
 عبي يدر بعينه بحسب عبرا
 وبحسب الاقرب من جهله
 من الشعر في حق الحسين
 وما انا باللعان لولا اني
 وكل من يجرى على الذي
 على شتمه ان الكبير
 من الموحى ما لقي الحبيب لها الفكر
 ولكن في ما تميز عن سمعها وقرا
 فها بحسب الاسلام من سوء كبرا
 الا انني اشرت في جدر الشعرا
 لموكان ذا شعر في الحق مفسرا
 ابو طائب وشرك احمد الاجرا
 ومن تعلم ان الامام عند سبرا

(٥)

منظومة

الشيخ محمد بهجة البيطار

- رحمه الله -

(ت ١٣٩٦ هـ)

ترجمته^(١):

هو محمد بهجة بن محمد بهاء الدين البيطار، عالم فقيه، أديب مؤرخ مصلح، ولد بدمشق في أسرة دمشقية عريقة، جدها الأعلى من الجزائر.

كان والده عالماً أديباً، نشأ في حجره، وتلقى عليه مبادئ علوم الدين واللغة، وعلى أعلام عصره، مثل: جمال الدين القاسمي، ومحمد الخضر حسين، والشيخ محمد بدر الدين الحسني، والسيد محمد رشيد رضا، الذي انتفع به، وسار على طريقته^(٢).

وكان تأثره بالشيخ جمال الدين القاسمي كبيراً، قال عاصم البيطار ولد الشيخ بهجة: «كان والدي ملازماً للشيخ جمال الدين، شديد التعلق به، وكان للشيخ - رحمه الله - أثر كبير، غرس في نفسه حب السلفية ونقاء العقيدة، والبُعد عن الزيف والقشور، وحُسن الانتفاع بالوقت والثبات على العقيدة، والصبر على المكاره في سبيلها، وكم كنت أراه يبكي وهو يذكر أستاذه القاسمي»^(٣).

وقد اختير الشيخ «بهجة البيطار» في جمعية العلماء، ثم في رابطة

(١) نقلاً عن: «علماء الشام في القرن العشرين» للشيخ محمد حامد الناصر (ص ١٦٦-١٧١)، وترجمة الشيخ البيطار - رحمه الله - معلومة مشهورة، من أوسعها: كتاب «محمد بهجة البيطار - حياته وآثاره» للأستاذ عدنان الخطيب.

(٢) «تمة الأعلام للزركلي» لمحمد خير رمضان يوسف (٣٢٢/٢)، و«رجال من التاريخ» للشيخ علي الطنطاوي، ص (٤١٢). وينظر: «علماء دمشق في القرن الرابع عشر الهجري» (٩١٨/٢).

(٣) «جمال الدين القاسمي» لزار أباطة، ص (٢١٥).

العلماء في دمشق.

وتولى الخطابة والإمامة والتدريس في جامع «القاعة» في الميدان خلفاً لوالده، ثم في جامع «الدقاق» في الميدان أيضاً، واستمر فيه حتى وفاته.

تنقل في وظائف التدريس في: سوريا والحجاز ولبنان، كما أنه درّس في الكلية الشرعية بدمشق: التفسير والأخلاق، ودرّس كذلك في دار المعلمين العليا وفي كلية الآداب في دمشق. وبعد التقاعد قصر نشاطه على المحاضرات الجامعية والتدريس الديني. وكان الشيخ عضواً في المجمع العلمي العربي، ومشرفاً على مجلته^(١).

سافر الشيخ (بهجة) إلى الحجاز، وحضر مؤتمر العالم الإسلامي في مكة المكرمة عام ١٣٤٥ هـ، وأبقاه الملك (عبدالعزیز)، فجعله مديراً للمعهد العلمي السعودي في مكة، ثم ولّاه القضاء، فاشتغل به مدة ثم استعفاه، فولاه وظائف تعليمية، وجعله مدرساً في الحرم، وعضواً في مجلس المعارف، ثم دعي الشيخ بهجة لإنشاء دار التوحيد في الطائف، وأخذ معه ولديه: الدكتور يسار، من خبراء المال، والأستاذ عاصم الذي كان من أعلم مدرسي النحو، وأحسنهم طريقة، وقد اشتغل سنين في المملكة العربية السعودية^(٢).

(١) «تتمة الأعلام» لمحمد خير رمضان يوسف (٢/ ٣٢٣).

(٢) «رجال من التاريخ» للشيخ علي الطنطاوي، ص (٤١٢-٤١٣، ٤١٨).

ويحدثنا الشيخ علي الطنطاوي عن علاقته بالشيخ بهجة البيطار وعن كرمه ومعتقداته وعلمه فيقول:

«كان الشيخ بهجة البيطار معلماً في مدرسة «أنموذج الميدان الابتدائية» عام ١٩٢١م، وكان يخطب الجمعة (بعد ذلك بسنوات) في جامع الدقاق»، فكان الطنطاوي يسمع خطبه ويعجب فيها أيما إعجاب. يقول: «كان يخطب ارتجالاً، كان يلقي إلقاءً طبعياً عادياً كما تُلقى المحاضرات»، «وصرتُ كلما استطعت، ذهبت إليه فصليت عنده، ثم سافر إلى الحجاز...».

«ثم عاد سنة ١٣٥٠هـ، إلى دمشق وإلى الخطبة في جامع الدقاق»^(١). ويتحدث الشيخ علي الطنطاوي عما تعلّمه من معتقدات الشيخ بهجة، فيقول:

«لقد وجدتُ أن الذي أسمعه منه يصدّم كل ما نشأت عليه، فقد كنت في العقائد على ما قرره الأشاعرة والماتريدية، وهو شيء يعتمد في تثبيت التوحيد من قريب أو بعيد على الفلسفة اليونانية، وكنت موقناً بما ألقوه علينا، وهو أن طريقة السلف في توحيد الصفات أسلم، وطريقة الخلف أحكم، فجاء الشيخ بهجة يقول: بأن ما عليه السلف هو الأسلم، والأحكم. وكنت قد نشأت على النفرة من ابن تيمية والهرب منه، بل وبغضه، فجاء يعظمه لي، ويحببه إليّ، وكنت حنفياً متعصباً للمذهب الحنفي، وهو يريد أن أجاوز حدود التعصب المذهبي، وأن أعتد على

(١) «رجال من التاريخ»، ص (٤١٢-٤١٣).

الدليل، لا على ما قيل...، وتأثرت به، وذهبت مع الأيام مذهبه مقتنعاً به، بعد عشرات من الجلسات والسهرات في المجادلات والمناظرات...»^(١).

ثم يقول الشيخ علي الطنطاوي: «وكان اتصالي بالشيخ بهجة قد سبّب لي أزمة مع مشايخي؛ لأن أكثر مشايخ الشام ممن يميلون إلى الصوفية، وينفرون من الوهابية، وهم لا يعرفونها، ولا يدرون أنه ليس في الدنيا مذهب اسمه الوهابية، وكان عندنا جماعة من المشايخ يوصفون بأنه من الوهابيين، على رأسهم الشيخ محمد بهجة البيطار...»^(٢).

«ومن أعجب العجب، أن والد الشيخ بهجة كان صوفيّاً من غُلاة الصوفية، القائلين بوحدة الوجود، على مذهب ابن عربي، وابن سبعين والحلاج...»^(٣).

أما صفاته: فيحدثنا الشيخ الطنطاوي عنها بمعرفة الخبير المطلع، فيقول متحدثاً عن كرمه:

«وكنت كلما حضرت خطبة الجمعة عنده، وانصرف إلى داره انصرف معه جماعة من الناس، فوجدوا المائدة معدّة، ففي كل جمعة وليمة، فيبقون يتحدثون، ويستمعون إلى الشيخ، حتى يؤذن العصر، فيصلّون ويذهبون».

«بقيت أكثر من ثلث قرن أصليّ الجمعة عنده، أنا وعدد من الفضلاء، وكان في إحدى جلسات منزله بعد الجمعة، الأمير شكيب أرسلان،

(١) المرجع السابق: ص (٤١٤).

(٢) المرجع السابق: ص (٤١٦).

(٣) المرجع السابق: ص (٤١٦-٤١٧).

عرفته من قريب عظيمًا في تواضعه وفي سيرته»^(١).

«كنا عند الشيخ بهجة، كأننا في بيوتنا، إن جعنا طلبنا الطعام، وإن نعسنا ذهبنا إلى الغرفة الأخرى لننام، وهو في الحالات كلها، مشرق الوجه، باسم الثغر، لين القول، فقله درس، وسلوكه قدوة، ومجالسته متعة ما بعدها متعة، رحمه الله».

ثم يقول متحدثاً عن سلوك الشيخ بهجة:

«كان حلاًلاً للمشكلات، يستمتع بالنكتة ويقولها، لازمته أكثر من أربعين سنة، سافرت معه، شاركته في لجان التحكيم، وفي لجان رسمية، فكان في الحالات كلها الرجل الكامل الفاضل»^(٢).

«وكان مطلعاً على جوانب من علوم شتى، وملماً باللغة الفرنسية، فهماً وكتابة، درسها في المدرسة (العزريّة) في دمشق، وهي مدرسة نصرانية»^(٣).

توفي الشيخ بهجة غرة جمادى الآخرة ١٣٩٦هـ، الموافق ١٩٧٦م في دمشق، رحمه الله رحمة واسعة^(٤).

وقد ترك عدة مؤلفات قيّمة؛ من أبرزها:

- مسائل الإمام أحمد: لأبي داود السجستاني «تعليق».

- أسرار العربية: لابن الأنباري «تحقيق».

(١) المرجع السابق: ص (٤١٤-٤١٥)

(٢) المرجع السابق: ص (٤١٩)

(٣) المرجع السابق: ص (٤١٥)

(٤) «تتمة الأعلام» (٣٢٣/٢)

- قواعد التحديث من فنون مصطلح الحديث: للقاسمي، «تحقيق وتعليق».
- الرحلة النجدية الحجازية: صور من حياة البادية.
- الإسلام والصحابة الكرام بين السنة والشيعه.
- حياة شيخ الإسلام ابن تيمية: محاضرات ومقالات ودراسات.
- كلمات وأحاديث، بعنوان: الثقافتان الصفراء والبيضاء.
- حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر: لجده عبدالرزاق البيطار، «تحقيق وتقديم».
- تفسير سورة يوسف.
- الفضل المبين على عقد الجواهر الثمين، وهو شرح الأربعين العجلونية، تأليف جمال الدين القاسمي «تقديم وتحقيق»^(١).

(١) المرجع السابق: (٢/٣٢٣).

المنظومة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين، وقفت على رسالة للشيخ يوسف النبهاني سماها: «الرائية الصغرى في ذم البدعة ومدح السنة الغراء»، وهو من باب تسمية الشيء باسم ضده، فرأيت المؤلف قد تعدى بها حدّه وتجاوزته إلى ما بعده، وكفرّ بها كبار الرجال، وفطاحل الأبطال، من الأئمة المصلحين، أهل التقوى والدين، أمثال المرحوم السيد جمال الدين الأفغاني، والرحوم الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، والإمام الكبير والعلم الشهير السيد محمد رشيد رضا، صاحب مجلة المنار، وعلامة البلاد العراقية السيد محمود شكري الألوسي^(١).

(١) يلاحظ: أن البيطار - رحمه الله - قد أحسن الظن كثيراً بالأفغاني وتلميذه محمد عبده؛ فدافع عنهما، وأنزلهما منزلاً لا يستحقانه، وقد مضى الحديث عنهما، وذكر المراجع التي تُفيد في معرفة حالهما - وهذا يغني عن تعقب الآيات التالية -. ولعل البيطار - رحمه الله - اغتر - كغيره من الفضلاء - بالهالة الإعلامية التي صنعها الاستعمار ثم تلاميذه لهما؛ كما بين هذا الدكتور محمد محمد حسين - رحمه الله - في كتابه «الإسلام والحضارة الغربية».

ويلاحظ - أيضاً -: أن البيطار - رحمه الله - قد جعل الفصل الخامس من رده للانتصار للشيخ محمود شكري الألوسي - رحمه الله -، دون أن يتعرض أو يدافع عن دعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب - رحمه الله -، التي هجأها النبهاني في رائيته! وظني أنه تعمد هذا؛ نظراً لحال بلاده الشام في ذاك الوقت؛ حيث كانت «الوهابية» تُهمّة يُحاسب المرء عليها! وينظر لهذا: ما ذكره الأستاذ محمود مهدي الإستانبولي - رحمه الله - عن المحن التي مرّت بالشيخ جمال الدين القاسمي - رحمه الله -، جرّاء اتهامه بالوهابية، في رسالته: «شيخ الشام جمال الدين القاسمي»، ص (٣٩-٤٣).

رأيته قد تمادى بها في طغيانه، واسترسل في زوره وبهتانه، وطفق يكتب عن هؤلاء الأبرار، والأئمة الأخيار، ما أوحى إليه الشيطان، من ضروب الكذب والبهتان، حتى جاءت رسالة مفعمة بالشور، مملوءة بقول الزور، شاهدة عليه يوم الحساب، بما جاد به عن الصواب.

وقد رددت عليه بهذه المنظومة، التي سميتها: «الطامة الكبرى على صاحب الرائية الصغرى»، ولم أقصد مجاراته في طول قصيدته وعرضها؛ لأن وقتي أقل من أن يتسع لمثل ذلك، ولكنني كتبت ببناي ما أجراه الحق على لساني، طاوياً الكشح ما استطعت عن السب والشتم، وألفاظ البذاءة واللوم، راجياً أن يكون هذا الرد منبهاً له في آخر أمره، وخاتمة عمره، حتى يستغفر من ذنبه، وينيب إلى ربه، وما توفيقى إلا بالله، عليه توكلت وإليه أنيب.

مقدمة

- ١- كمال الفتى بالعقل بين الورى طراً
 - ٢- به يرتقي فضلاً به يبلغ المنى
 - ٣- فمن كان ذا عقل يزين فعالة
 - ٤- ومن يفقد العقل الثمين فإنه
 - ٥- إلى الله أشكو ما يلاقي أولو الحجا
 - ٦- فمن كل حشوي ومن كل جامد
 - ٧- فينهض ذاك المصلح الفرد وحده
 - ٨- ويستل سيفاً من صوارم نصحه
 - ٩- يسوق لهم جيشاً من الحق صارماً
- به يجتني علماً به يتني قدرا
 به يقتني خيراً به يتقي شرا
 فقد عاش في الدنيا سعيداً وفي الأخرى
 إلى الناس والأوطان يستحسن الضرا
 من العقبات الواقفات لهم وعرا
 ومن كل شرير يرى فجره برا
 ويسأل مولاه المجيب له النصرا
 عليهم به يقي مكائدهم بترا
 فيقذفهم قذفاً ويدحرهم دحرا

الفصل الأول: في غرور النبهاني في دعاويه

- ١٠- أأست ترى من آل نبهان يوسفأ
- ١١- تأليفه ملأى بكل سفاهة
- ١٢- ويطعن في أنساب آل محمد
- ١٣- يرى الخير في من يتمون لغيره
- ١٤- دليلى على ما قلته من ضلاله
- ١٥- حشاها بما أوحى إليه غروره
- ١٦- وراح بها يرمي بكل مذمة
- ١٧- إذا ذكر الأعلام في الدين والتقى
- ١٨- على أن دعوى الاجتهاد ضلالة
- ١٩- يراهم إباحيين حيث تمسكوا
- ٢٠- يراهم إباحيين إذ تركو الهوى
- ٢١- وقد خص دعوى الاجتهاد بأربع
- ٢٢- وقال الذي يغى الهدى في سواهم
- ٢٣- فما قول ذا المغرور في من تقدمو
- ٢٤- أهم دخلوا في حكم من جاء بعدهم
- ٢٥- وهل هم إباحيون إذ هم تمسكوا
- ٢٦- ومن ذا يراهم فاسقين وإننا
- ٢٧- وهل ثم فرق بين أتباع أحمد
- ٢٨- نعم لا نرى فرقاً وأى موحد
- ٢٩- وما حجر الرحمن فيض نواله
- يصرح في تضليل أهل الهدى جهرا
- فيدي بها لعناً ويدي بها كفرا
- ويسخر من أنصار سسته الغرا
- وليس يرى في المتمين له خيراً
- قصيدته المسماة رائية صغرا
- من الإفك والبهتان مخرقه كبرى
- أئمة هذا العصر إذ نوروا العصرا
- يفسدهم طوراً ويكفرهم طورا
- وأن دعاة الاجتهاد أتونكرا
- بهدي كتاب الله والسنة الغرا
- وما تبعوا زيدا وما تبعوا عمرا
- وحرم أن الناس يعدونهم شبرا
- فقد حاد عن سبل الشريعة وازورا
- من التابعين السابقين لهم عصرا
- أم الحكم لم يشملهمو ولهم أبرأ
- بما في كتاب الله والسنة الغرا
- روينا عن المختار أن بهم خيرا
- ومن بعدهم جاؤا إذا تبعوا الأثرا
- سوى الأرعن النبهاني قال بما مرا
- ولكن ذا المعتوه قد زعم الحجرأ

- ٣٠- يظن وبعض الظن إثم محرم
 ٣١- وذلك بأن يطووا المذاهب كلها
 ٣٢- لقد خاض في بحر الضلال وما درى
 ٣٣- رأوا أن قول الحق في الخلق شائع
 ٣٤- وكلهم عن بذل وسع تكلموا
 ٣٥- وأن زعيم الاجتهاد لمرة
 ٣٦- وكلهم في الاجتهاد على هدى
 ٣٧- فقام دعاة الاجتهاد بعصرنا
 ٣٨- فمن قول أسلاف ومن قول غيرهم
 ٣٩- فيؤخذ منها كل قول موافق
 ٤٠- كذا قاله شيعي الجمال لديننا
 ٤١- وتأليفه الإرشاد للخلق قد حوت
- بأن دعاة الاجتهاد نواشروا
 لكي ينشروا في الناس مذهبهم نشروا
 لما قصدوا والقوم في قصدهم أدري
 وما فرقة بالحق من فرقة أخرى
 ورؤم وصول الحق قد أجهد الفكر
 يُصيب ويخطئ الحق في مرة أخرى
 وما منهم إلا وقد أحرز الأجر
 ليلتقطوا من بين أقوالهم ذرّاً
 من القوم أهل الحق في الفرق الأخرى
 لما في كتاب الله والسنة الغرابة
 هو القاسمي الجد أعظم به حبراً
 طليعته بسطاً لذلك فلتدرا

الفصل الثاني: في الانتصار للسيد جمال الدين الأفغاني

- ٤٢- فأول من في عصره قام صادعاً
 ٤٣- فقد جاء مصراً قاصداً لصلاحتها
 ٤٤- سقاها علوماً في ينابيع فكره
 ٤٥- وسرعان ما التف التلاميذ حوله
 ٤٦- فأرشدتهم للحق حتى تفوقوا
 ٤٧- أتهجوا إمام الشرق مصباح نوره
 ٤٨- رويدك لا تنطح بقرنك صخرة
- هو السيد الأفغاني من قد سما ذكره
 فأعمل في أرجائها همته كبرى
 فأخصب روض العلم والفضل في مصر
 ليلتقطوا من بحر أفكاره ذرّاً
 وأصبح كل في سماء العلا بدراً
 جمال الهدى والدين من قد علا قدراً
 فتدّمي ولا تنبح بصوتك البدر

- ٤٩ - لقد عاش ذا الأستاذ طول حياته
 ٥٠ - وأبقى من الآثار إثر وفاته
 ٥١ - فلم يبق للدهرية الدهر شبهة
 ٥٢ - وعندي أن الله جل جلاله
 ٥٣ - فقد بَصَّرَ الأقوام أسرار دينهم
 ٥٤ - عليك جمال الدين أكمل رحمة
 ٥٥ - وأغدق دمناً ضم مجدك والعلا
- يؤلف للإسلام جامعة كبرى
 على صفحات الكون ما يشرح الصدر
 وأظهر للإسلام آيته الكبرى
 اجتباه لتجديد لملته الغرا
 ودك خرافات به ألصقت نكرا
 ولقّاك مولاك المثوبة والأجرا
 شآبيب رضوان غدت فوقه تترا

الفصل الثالث: في الانتصار للأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده

- ٥٦ - ومن بعده قد قام لله داعياً
 ٥٧ - هو السيد الأسنى محمد عبده
 ٥٨ - توخى طريق الجد في طلب العلا
 ٥٩ - ونال بها الإفتاء بعدُ وقد غدا
 ٦٠ - وأصبحت الفتيا كسالف عصرها
 ٦١ - وقد أوجب الرحمن هذا وإنه
 ٦٢ - فحيث دعانا لاتباع كتابه
 ٦٣ - ويالهفي كم نال من جاء داعياً
 ٦٤ - فكم أوسعوا سباً وحباً وذلة
 ٦٥ - وقد أودعوا في السجن أسرى ولم يكن
 ٦٦ - وهذا ابن نبهاني أتى في زماننا
 ٦٧ - يحاول تعليم التعصب والهوى
- إمامٌ يقول الحق بين الملا جهرا
 ختام أولي التحقيق من قد سما قدرا
 إلى أن غدا في مصره آية كبرى
 بها الباطل مخذولاً بها الحق مفترا
 بحكم كتاب الله والسنة الغرا
 أطاع بذا مولاه وامثل الأمرا
 يحق علينا بعدُ أن نقفوا الأثرا
 لناخذ بما جاءت به الشريعة الغرا
 وكم أرهقوا عسراً وكم أخذوا قسراً
 فكأنك لهم حتى لقد أودعوا القبرا
 مخازي أضحى في الورى أمرها إمرا
 ليرجع فينا الطعن واللعن والكفرا

- ٦٨ - وإلا فما هذا التباغض والجفا
٦٩ - أما أن أن نسعى لتأليف شملنا
٧٠ - على مَ هجا علامة العصر عبده
٧١ - وهلا أعار الطرف نظرة منصف
٧٢ - وبين ما قد كان حقاً موافقا
٧٣ - أما هكذا كان الجدير بشأنه
٧٤ - هو الحسد الممقوت يفري بربه
٧٥ - ألا إن تفسير الإمام محمد
٧٦ - نعم فسر القرآن من جاء قبله
٧٧ - ولكنّ ذا التفسير قد جاء وافياً
٧٨ - وقد أوضح الأستاذ أن كتابنا
٧٩ - وضَمَّن ذا التفسير نقد كلامهم
٨٠ - وكم ذا أساء الشيخ نحو إمامنا
٨١ - وكم ذا افترى إفكاً عليه محرماً
٨٢ - فما افتراه ما ادّعاه بأنه
٨٣ - ومما افتره ما ادعاه بأنه
٨٤ - ومما افتراه ما ادعاه بأنه
٨٥ - وما قال في ترك الإمام لحجه
٨٦ - وأعجب من ذا ما حكاه لبعضهم
٨٧ - فأول أن الشيخ دجال عصره
٨٨ - فإن كانت الأحلام تنهض حجة
- وإلا فما هذا التخاذل والإزرا
وأن نهجر البغضاء من بيننا هجرا
على م ترى قد حرم الكتب أن تقرا
وحكّم في أبحاثه العقل والفكرا
وبين ما قد خالف الشرع وازورا
أيرضى رجال العلم والفضل ما أجرى
فقد يجعل المعروف في عُرفه نكرا
لمن خير تفسير غدا في الوري يُقرا
بفضل تفاسير بها استوجب الشكرا
بحاجاتنا في كل عصر تلا عصرا
على سنن العمران ينطبق الدهرا
بتأويل آيات غدت كلها تبرأ
برائية صغرى وكم ذا به أزرى
تمور الجبال الراسيات له مورا
يُضلّل أهل العلم مذ تبعوا الغيرا
بلا مانع قد أهمل الظهر والعصرا
يحُلّل شرب الخمر أو يشرب الخمرا
فلإن صح لا ريب أن له عذرا
برؤيته عين الإمام غدت عورا
وما زال دجالاً وإن سكن القبرا
ومن لفظها يُستبطن الخير والشرأ

- ٨٩- فلإني أخبركم برؤيا عجيبة
 ٩٠- فذا حسن فتح الإله مقامه
 ٩١- وقد حج بيت الله في مكة الهدى
 ٩٢- رأى المصطفى في حالة النوم عنده
 ٩٣- يقول ألا مبلغ كلامي ليوسف
 ٩٤- وأني عنه غير راضٍ وإن يكن
 ٩٥- وهذا هو المعهود في سيد السورى
 ٩٦- فإن التأليف التي قد نشرتها
 ٩٧- فأنت بها تبغي الدنا وحطامها
 ٩٨- وبعد فذا أستاذنا القاسمي قد
 ٩٩- وشاهد منه الوجه أبيض مشرقاً
 ١٠٠- عليه من أنواع الحلي أجلها
 ١٠١- كأن صفا المرأة نور ثيابه
 ١٠٢- أنا مله منظومة بخواتم
 ١٠٣- لعمري ما حور الجنان
 ١٠٤- أقول ولا أخشى ملامة لائم
 ١٠٥- ولا بدع أن نال النعيم فإنه
 ١٠٦- فهل ثم حبر ما بكى لفراقه
 ١٠٧- عليه سلام الله ما ذر بارق
- رأها تقى صالح يفعل البرا
 بيروت وهو البدر أكرم به بدرا
 وزار رسول الله في طيبة الغرا
 وأنواره كالشمس في الصحوة الكبرى
 بأن امتداحي منه ليس له ذخرا
 غدا مادحي نظماً غدا مادحي نثرا
 وهذا هو المعهود في من درى الأمرا
 بمدح إمام المرسلين أبي الزهرا
 ولست بها تبغي المثوبة والأجرا
 أتى حضرة الأستاذ في قاعة كبرا
 كأن ضياه الشمس قد فقدت سترا
 وكسوته في سندس قد غدت خضرا
 أو البرق حتى يأخذ البصر البهرا
 من الذهب الإبريز قد فاقت الحصرا
 بأجمل من مرآة (١)
- كذا فلتكن رؤيا الخيار ولا فخرا
 بطاعة مولاه لقد أنفق العمرا
 وهل ثم حبر مارثى ذلك الحبرا
 وما شوهدت آثاره في الملا تقرا

(١) مكان النقط كلمات غير واضحة.

الفصل الرابع : في الانتصار للعلامة السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار

- ١٠٨- وإن تلاميذ الإمام تواطؤا
١٠٩- وسلوا سيوف الحق فوق عداته
١١٠- وإن لمن خير التلاميذ نسبة
١١١- منار الهدى بحر الندى قاهر العدى
١١٢- إمامٌ إذا ما المشكلات تعقدت
١١٣- أتوه سراعاً يقصدون جنبه
١١٤- فيوضح منها كل ما كان غامضاً
١١٥- يراعه إن هزها يمينه
١١٦- وهذا منار العلم قد صاح في الورى
١١٧- يجوب بلاد الله شرقاً ومغرباً
١١٨- وقد نقد النبهاني بعض مباحث
١١٩- ومنها حديث الشمس بعد غروبها
١٢٠- فقد سألوا عنه المنار وأنه
١٢١- أجاب بأن المصطفى لم يجرى بما
١٢٢- أقام على هذا دليلاً بأنه
١٢٣- فلما بدا عكس الذي هو آمل
١٢٤- وهيهات أن تدري معاني كلامه
١٢٥- على السيد المفضل بذل اجتهاده
١٢٦- ولما أتى الأستاذ بيروت أظهرت
- على نهج ذلك الليث واستسهلوا الوعرا
بذا نصرُوا دين النبي أبي الزهرا
وأغزروهم علماً وأرفعهم قدرا
رشيد رضا من أحرز الفخر والنصرا
وأعجزت الأبطال أن يدركوا السرا
ليكشف عن وجه الخفا لهم السترا
ويُصبح بعد العسر إدراكها يسرا
على طرسه تستحقق البيض والسمرا
ففي سائر الأقطار قد زلزل الكفرا
ويجتازها براً ويجتازها بحرا
بأجزائه أبدى المنار لها ذكرا
فتسجد تحت العرش تستأذن السير
أجابهم فيما رأى أنه الأخرى
بذي الشاة الأولى مع الشاة الأخرى
نهى صحبه أن يأبروا نخلهم أبر
فقال لهم أنتم بدنياكم أدرى
ومن أين للخفاش أن يُنصر البدر
وليس عليه أن يعلمه الحُمْرا
له أهلها فيها المسرة والبشرا

أندخل للتعليم كلية كبرى
 بشرط امتثال الأمر للشرعة الغرا
 برائية صغرى وقد عكس الأمرا
 ببيروت للإسلام قد جوز الكفرا
 بها هوو الأبناء قد كفرو طرا
 وإعداد رب العلم أو الفضل عن مصرا
 من الشام لمأن أرادوا به شرا
 له عدّه تاجاً يتيه به فخرا
 طروسهم بيضاً وأقلامهم سُمرا
 بمدح أناس قد غدا فعلهم نكرا
 وما اقترفوه ما أحاط به خبرا
 وأصبح بين الناس أمرهم إمرا
 به أوقعوا بين الملا فتنة كبرى
 وأن لهم عند الإله بها أجرا
 ومن ذامن الإسلام يجري الذي أجرى
 له الحكم في الدنيا له الحكم في الأخرى

١٢٧- وأقبل طلاب العلوم ليسألوا
 ١٢٨- فجوز تعليم العلوم لهم بها
 ١٢٩- وذا يوسف النبهاني غير حكمه
 ١٣٠- ومن كذبه لم يستحي عند قوله
 ١٣١- وقال بأن الشيخ فتواه هذه
 ١٣٢- وزين للإسلام في مصر طرده
 ١٣٣- وأثنى على من كان بالشر ساعياً
 ١٣٤- إذا ما أتى يوماً على ذكر ما جرى
 ١٣٥- أما ونصير المصلحين بجعله
 ١٣٦- لقد أخطأ النبهاني فيما أتى به
 ١٣٧- أيثني على قوم ويشكر صنيعهم
 ١٣٨- أيثني عليهم بعد أن بان شرهم
 ١٣٩- ألم يعلم النبهاني أن الذين أتوا
 ١٤٠- ومع ذا فيغريهم بإيقاع مثلها
 ١٤١- فهل ثم ذو عقل يقول بقوله
 ١٤٢- عليه من الجبار ما يستحقه

الفصل الخامس: في الانتصار لعلامة العراق

السيد محمود شكري أفندي الألوسي

أئمة هذا العصر أعظم به حبرا
 ولست أؤدي ما حييت له شكرا
 سهاماً على النبهاني قاصمةً ظهرا

١٤٣- وأما الألوسي حَبْر بغداد فهو من
 ١٤٤- فأهديه من شكري ثناءً معطراً
 ١٤٥- أمانيّ في سفر له فبه ترى

- ١٤٦- فقد كشف الأستار عن جهله بما
 ١٤٧- وألقمه صخر الحجاج مبرهنأ
 ١٤٨- ولست أرى أن الذي قد حدا به
 ١٤٩- سوى ذلك السُفر العجيب الذي به
 ١٥٠- وماذا عسى أني أقول ومدحه
 ١٥١- أقر له الأعلام بالفضل والتقى
 ١٥٢- إذا ما أجلت الطرف في حسن روضه
 ١٥٣- غدا ناصراً للدين فيه وإننا
 ١٥٤- وأحمد ربي شاكراً ومصلياً
- عليه به سقف المساوي قد خرا
 فمن هوله قد كاد يُسكنه القبرا
 على نظمه ذا الوقت رائية صغرى
 الإمام الألويسي أحرز الفخر والنصرا
 من العلماء قد طبق البر والبحرا
 وألباهم في سفره قد غدت حيرى
 رأيت من التحقيق ما يُدهش الفكر
 لنشكره سرأ ونشكره جهرا
 على المصطفى الهادي المشفع في الأخرى

تمت على يد ناظمها الفقير لله

محمد بهجة بن محمد بهاء الدين البيطار

الدمشقي، وذلك في ١ جمادى الأولى سنة ١٣٣٢.

أعدتُ النظر على هذه المنظومة باقتراح صديقنا الأستاذ الجليل
 الشيخ محمد أفندي نصيف - حفظه الله وأدامه ذخرأ للعلم وأهله -،
 وذلك في جُدة ليلة الجمعة ٢١/٢٢ جمادى الأولى سنة ١٣٦٤ هـ.
 وكتبه الفقير إليه سبحانه: محمد بهجة البيطار.

تمت، والحمد لله رب العالمين

بسم الله الرحمن الرحيم مدحجت البيطار

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين. وقفت على رسالة الشيخ يوسف النبهاني سماها لا الرأية الصالحة في ذي البدعة ومدح السنة الغراء، وهومن باب تسمية الشيء باسم ضده. فرأيت المؤلف قد تعدى بها حد، وتجاوز به الى ما بعده، وكفر به كبار الرجال، وفاحل الأبطال من الأئمة المصلحين، أهل التقوي والدين، أمثال المرحوم السيد جمال الدين الأفغاني، والمرحوم الاستاذ الإمام الشيخ محمد عبيد الله الكبير، والعلم الشهير السيد محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار، وعلامة البلاد العراقية السيد محمود شكرى الألوسي. رأيت قد تمادي بهافي طغيانه، واسترسل في زوره وبهتان، وطفق يكتب عن هؤلاء الأبرار والأئمة الأخيار، وما أوحى اليه الشيطان، من ضروريات الكذب والهديان حتى جاءت رسالته مفعمة بالشروء، مملوءة بقول الزور ومشاهد غريبة عليه يوم الحساب، بما حاد به عن الصواب. وقد رد عليه هذه المنظومة التي سميتها بالطامة الكبرى على صاحب الرأية الصغرى، ولم أقصدها بالجلالة في طول قصيدته وعرضها، لأن وقتي أقل من أن يتسع لمثل ذلك، ولكن كتبت ببنياني، ما أجاز الحق على لساني، طاوياً الكشم ما استطعت عن السب والشتم، والفاظ البداية واللوم، راجياً أن يكون هذا الرد منبهاً له في آخر عمره، وخاتمة

(٦)

منظومة

الشيخ محمد بن حسن المرزوقي

- رحمه الله -

(ت.... هـ)

ترجمته:

هو محمد بن حسن المرزوقي الأنصاري القطري، أحد علماء الدعوة السلفية بقطر، كان معاصراً للشيخ سليمان بن سحمان - رحمهما الله - وكانت بينهم مراسلات - كما سيأتي إن شاء الله - . قال عنه الشيخ حمد الجاسر - رحمه الله - كما سيأتي إن شاء الله -: «له مقام محمود في نشر الدعوة السلفية، ومحاربة أعدائها، وممن تصدى للرد عليهم؛ كالنبهاني وغيره».

قال صاحب كتاب «الأدب القطري الحديث»^(١): «ومن أدباء المرحلة الأولى - أيضاً -: الشاعر محمد بن حسن المرزوقي، وهو شاعر تذكر بعض المصادر أنه كان حاد المزاج، له مهاجمة مع كثير من شعراء عصره»^(٢).

وعلى الرغم من أن الشاعر المرزوقي قد عاش في النصف الأول من القرن الحالي؛ إلا أننا لم نستطع معرفة الكثير عنه وعن أشعاره، سوى قصيدتين؛ إحداهما في كتاب «نزهة الأبصار بطرائف الأخبار والأشعار» لابن درهم، وهي قصيدة قالها في مدح الشيخ عبدالله بن جاسم،

(١) الدكتور محمد عبدالرحيم كافور، ص (٨٢).

(٢) الذي ذكر هذا: الأستاذ عبدالبدیع صقر في تقديمه لديوان الشاعر القطري ماجد الخليفي، حيث قال عن المرزوقي (ص ٣): «له قصائد جيدة في الرد على النبهاني والجهمية، وفي الدفاع عن التوحيد، وكان حاد المزاج، له مناوشات أدبية، وهجاء لكثير من أهل عصره». قلت: يتبين صدق هذا في تأمل موقفه مع الشيخ ابن سحمان - كما سيأتي إن شاء الله -، رحمهما الله.

مطلعها^(١):

تدوم بالعز والإقبال والظفر في نعمة الله تبقى مدة العمر
والقصيدة الأخرى في رثاء الشيخ جاسم بن محمد، وهي قصيدة
طويلة...

ومن أبياتها:

مَضَى هَادِمُ الْأَهْوَاءِ وَالْبِدَعَاتِ	مَضَى غَارِسُ التَّوْحِيدِ فِي قَطَرِ النَّدَى
رُسُومًا لَهُ فِي الدَّارِ كَالهَضْبَاتِ	مَضَى بَعْدَ مَا أَحْيَا مِنَ الْجُودِ وَالْهَدَى
مَمَالِكُ لِلْأَهْوَاءِ وَالشَّهَوَاتِ	بَنُو قَطْرِ مَنْ قَبْلِهِ بِجَهَالَةٍ
فَزَالَتْ بِمَهْدِي الرُّشْدِ وَالْبَرَكَاتِ	أُثِمَّتْهُمْ أَبْنَاءُ جَهَنَّمَ تَوُزُّهُمْ
بِصَائِبِ فِكْرٍ يُذَحِّضُ الشُّبُهَاتِ	فَلَمْ يَمُضِ حَتَّى عَلَّمَ الْمَجْدَ كُلَّهُمْ
وَجَاءَ بِأَحْبَارِ الْهُدَى وَدُعَاةِ	وَعَلَّمَهُمْ تَهْنِجَ الْمَكَارِمِ وَالتَّقَى
وَمِنْ كُلِّ جَهْمِيٍّ أَخِي لَبَسَاتِ	وَأَجَلَى دُعَاةِ السُّوءِ مِنْ كُلِّ مُشْرِكٍ
نَفَاها بِحَدِّ السَّيْفِ وَالْكَلِمَاتِ	طَرَانِقُ صُوفِيٍّ «وَزَارٍ» «وَمَوْلِدٍ»
وَأَذْهَبَ مَأْلُوفَاتِهِمْ بِعِظَاتِ ^(٢)	وَعَلَّمَهُمْ نَكَرَ الْفَوَاحِشِ جَهْرَةً

وجاء في كتاب «انتخاب الدرر من شعراء قطر»^(٣):

«الشيخ محمد بن حسن المرزوقي: ويسمى القطري والأنصاري

(١) «نزهة الأبصار بطرائف الأخبار»، لعبد الرحمن بن درهم (٣/ ١٠٧٢).

(٢) «الأدب القطري الحديث»، ص (١٩٨-١٩٩). وانظر: «درر المعاني في مدح آل ثاني»

(٣٣٢/١)

(٣) يضم ثلاثة دواوين: (الفيحاني - الخليلي - شاهين)، عني بطبعه: عبدالله بن إبراهيم

الأنصاري - رحمه الله -.

أيضاً، له قصائد جيدة في الرد على النبهاني، والجهمية، وفي الدفاع عن التوحيد، وكان حاد المزاج، له مناوشات أدبية وهجاء لكثير من أهل عصره، وللآن لم نعثر على شيء منها^(١).

قلت: هذا ما وجدته عن الشيخ المرزوقي - رحمه الله -، وبقي أن أشير إلى ما حدث بينه وبين الشيخ حسين بن حسن آل الشيخ - رحمه الله - الذي سبقت ترجمته في المقدمة، وأن له ردّاً على النبهاني. فقد اختلف المرزوقي معه في حكم الجهمية الموجودين حول بلادهم، فذهب المرزوقي إلى أنهم كفار لا يُعذرون؛ لأن الحجة قد قامت عليهم، وأن الذي لا يكفرهم، فهو مثلهم، ورأى الشيخ حسين أن هناك اختلافاً بين العلماء في تكفيرهم، فلا يجوز تكفير من لم يكفرهم، وتحزب لكلٍ منهما فريق يؤيده، فانتصر يوسف بن شبيب الكويتي لرأي الشيخ حسين، وألف رسالة بعنوان «نصيحة المؤمنين» سنة ١٣٢٥ هـ.

فرد عليه الشيخ سليمان بن سحمان - رحمه الله - بكتابه «كشف الشبهتين عن رسالة يوسف بن شبيب والقصيدتين»، قال في مقدمته:

«الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل الله فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، أما بعد...

فإنه بلغنا عن بعض الإخوان الساكنين بالساحل من أرض عُمان أن في جهتهم جهمية، وإباضية، وعُبَادَ قبورٍ متظاهرين بمذاهبهم وعقائدهم، مظهرين العداوة للإسلام وأهله. وذكروا أنه كان لديهم أناس ممن يتسبب إلى العلم والطلب يجادلون عنهم، ويوالونهم، ويقُدُّون إليهم، ويأخذون جوائزهم وصلاتهم، ويأكلون ذبائحهم.

وهؤلاء الجهمية الذين كانوا بالساحل من أرض عُمان قد شاع ذكرهم، وانتشر خبرهم، وظهر أمرهم من قديم الزمان. وكذلك الإباضية الذين كانوا بهذا الساحل معروفين مشتهر أمرهم، لا يخفى على أحد.

وقد راسلنا بعض الإخوان في هؤلاء الذين يوالونهم، ويجادلون عنهم، فظننا أن الأمر ليس كما زعموا، وأحسننا الظنَّ بمن هناك من طلبة العلم، فلم نُنْعِمِ الإخوانَ بجوابٍ، ولم نسمح لهم بخطابٍ، إلا نحضهم على الصبر على الأذى، وتحمل المشقة والبلوى، وبذل النصيحة لهم، والتلطف في الدعوة لهم، والدعاء لهم بالهداية، حتى رأينا لهم رسالة طبعها لهم بعض الغزائنة أولادِ عبد الله الغزنوي رحمه الله، ونسبوا إلى رجلٍ يقال له: يوسف بن شبيب الكويتي.

وهذا الرجل لم يكن معروفًا بالعلم والدراية، ولا بالمعرفة والرواية، بل كلامه وتركيبه يدل على جهله، وعدم معرفته. وقد قيل إن الذي ألفها غيره ممن يترشح للعلم والمعرفة.

وقد نقل هذا المؤلف عن شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه نقولاً يُلبس بها على العوام الذين لا معرفة لهم بمدارك الأحكام، ولا دراية لهم بموارد الأفهام. ويوهمهم أن هذه النقول التي نقلها عن شيخ

الإسلام ابن تيمية تدل على ما ذهب إليه من عدم تكفير الجهمية الخارجين عن شريعة الإسلام، ويظن أن هذه النقول له، وهي عليه لا له، كما سنبينه إن شاء الله تعالى، وننقض استدلاله، وما ذاك إلا أنه ليس له إلمام بهذه الصناعة، ولا متجر له في هذه البضاعة...».

ثم أخذ - رحمه الله - في الرد عليه، والانتصار للمرزوقي ومن معه، مورداً أقوال السلف في هذا الشأن.

ولكن الشيخ حسين بن حسن آل الشيخ - رحمه الله - لم يقتنع بهذا، وأرسل مستفتياً الشيخ محمد بن عبد اللطيف آل الشيخ - رحمه الله - عن هذه المسألة، فلما رأى الشيخ ابن سحمان - رحمه الله - سؤاله وما فيه من تجن على المرزوقي ومن معه، ألف رسالة في الرد عليه سماها: «كشف الأوهام والالتباس عن تشبيه بعض الأغبياء من الناس»، ومن قوله فيها:

«ثم إنه بلغني أن حسين بن حسن وضع قصيدة ينتصر فيها لهؤلاء القوم، ويهجونا فيها... وقد كنتُ فيما سلف معرضاً عنه وعن غلطاته وورطاته، مراعاةً لحق والده وإخوانه؛ ولأنهم يزعمون أن هذا مما قيل على لسانه، وطلبوا مني أن لا أستعجل بالجواب حتى أتتحقق منه ذلك؛ لأنهم ظنوا أن هذا لا يصدر منه؛ لأنه خلاف ما يعتقدونه، وخلاف ما عليه شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، والفضلاء والنبلاء من أولاده وتلامذته، بل هو خلاف ما عليه أهل السنة والجماعة، فلما رأيت هذه الورطات، وسفاسط هذه الغلطات بقلمه، وتحققت ذلك منه في هذا السؤال، عدلت عن الجواب بالنظم، وبينت له الأحكام التي زعم أنني أجهلها، وهي بحمد الله لا تخفى على أدنى طلبة العلم، وقد وضحتها أهل

العلم وبينوها، ولكن عميت عين بصيرته عنها، وأخلد إلى الأرض واتبع هواه»^(١).

وقال - رحمه الله -: «ثم إنني قد رأيت لهذا الرجل^(٢) قصيدة اعترض فيها على محمد بن حسن المرزوقي وإخوانه، من أهل ساحل عمان، قال فيها أعظم وأشنع مما قاله في سؤاله من عدم تكفير الجهمية، وأن للعلماء فيهم قولين، وفيها إلزام من كفر الجهمية بتكفير طوائف من أهل السنة والجماعة، وأن من كفر بإباضية أهل هذا الزمان فقد كفر جميع الصحابة، لاسيما علي بن أبي طالب!

فقال يهجو من نازعه في هذه المسائل:

ألا فاسمعوا قول الهداة الأطايب	فقلنا له هذا الجواب لقولكم
حكمتكم بكفر القوم من كل جانب	فأما الذي قد قلتموا قبل أنكم
وهم تابعو جهم بكل المعائب	لأنهموا ما كفروا شرّ فرقة
لتكفير أهل العلم أهل المناقب	فقولك هذا قد تضمن واقتضى
فما كفروا الجهمي ردي المذاهب» ^(٣)	وذلك خلق منهم طال عدّهم

وقال الشيخ ابن سحمان - رحمه الله - في أول كتابه «تمييز الصدق من المين في محاوراة الرجلين»:

«من سليمان بن سحمان إلى الأخ عبدالله بن الشيخ حسن بن حسين

(١) ص (٣٠-٣١).

(٢) أي: حسين بن حسن آل الشيخ - رحمه الله -.

(٣) ص (٨٨-٨٩). وقد رد المرزوقي على قصيدة الشيخ حسين هذه - كما سيأتي إن شاء الله.

سلمه الله تعالى وهداه، آمين. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته. أما بعد:

فقد وقفت على جواب حسين الذي أرسل إليكم، وتأملتة فلم يكن فيه شيء ممّا وقع النزاع فيه، بل حاد عن ذلك، وصدّر كلامه بالكذب على محمد بن حسن المرزوقي، وأنا أذكر لك ما في كلام أخيك من الكذب على المرزوقي، وما فيه من الخطأ والغلط والوهم، فإن بان لك ما ذكرته، واتضح لك كذبه على المرزوقي وغلطه ووهمه، فالواجب الرجوع إلى الحق، وعدم التعدي على المرزوقي، وبهته بما ليس فيه، وتبيين غلط أخيك، وإن أشكل عليك شيء من كلامي، ولم يتضح لك؛ فاعرضه على المشايخ، فإن كان حقاً فالواجب قبول الحق، وإن كان خطأ رجعتُ إلى الحق^(١).

ثم بيّن تحريف الشيخ حسين لكلام المرزوقي - رحمهم الله -، إلى أن قال:

«ثم اعلم - وفقك الله لما يحبه ويرضاه - أنه ليس المقصود بهذا الكلام الانتصار للمرزوقي على أخيك، ولا لأنه اعترض عليّ وهجاني، إنما المقصود بيان الحق، وردُّ الباطل على مَنْ قال به كائناً من كان، ولأن أخاك قال في رسالته: «فرحم الله رجلاً وقف لنا على زلة وهفوة فأرشدنا إلى الحق، فإن الحق ضالة المؤمن، يأخذه حيث وجده»، فهذه مما نبه^(٢) عليه، فإن رجع إلى الحق، فالحمد لله رب العالمين، وإن لم يرجع

(١) «إجماع أهل السنة النبوية على تكفير المعطلة والجهمية»، ص (١٢٣).

(٢) على اللهجة الدارجة في «نجد»، والمقصود منها: «يصبح عليه».

وتمادى في الباطل، فقد قامت عليه الحجة بالبيان، وحسبنا الله ونعم الوكيل، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً^(١).
ثم أورد ابن سحمان - رحمه الله - قصيدته التي يرد فيها على الشيخ حسين - رحمه الله -، ومنها هذه الأبيات التي تتعلق بالمرزوقي^(٢):

ومن قوله في نظمه حين ما هذى	وقال من البهتان ما هو قائله
(وتحسن ظناً بالهؤولي ^(٣) محمد	ومن كان في البهتان ظلماً يماثله)
أيجوز ظن السوء بالمسلم الذي	يقول مقالاً تستبين محامله
أقول به كسرّ يمين لذي النهى	وبيت مضى قد قال فيه وذاهله
وما الطعن في الأنساب من أمر ديننا	فسل عنه أهل العلم إذا أنت جاهله
بلى إنه للجاهلية مذهبٌ	فسرت على منهاج مَنْ ذاك باطله
وليس على عبد تقىٍ نقیصة	إذا حقق التقوى وبانت فضائله

(١) المصدر السابق، ص (١٥١). وقد رجع الشيخ حسين - رحمه الله - عن قوله - والله الحمد - . قال الشيخ محمد بن مانع - رحمه الله - في إحدى رسائله للشيخ سليمان بن سحمان - رحمه الله -: «وما عرفتم به محبكم كان لديه معلوماً، خصوصاً وصول حسين إليكم، واعترافه بخطئه، ورجوعه، والحمد لله». انظر الرسالة في «دارة الملك عبدالعزيز» برقم (٢٥٢). نقلاً عن هامش «إجماع أهل السنة...»، ص (٢٣).

(٢) المصدر السابق، ص (١٧١-١٧٩).

(٣) الهولي: أي محمد بن حسن المرزوقي - رحمه الله -، نسبة إلى أسر عرب فارس المسمين هناك بالهولة. قال الأستاذ محمد بن دخيل العصيمي: «هذه الأسر والقبائل تسمى في اللهجة الفارسية «هولة»، ومعناها «حوله»؛ أي القبائل المتحولة من الساحل الغربي إلى الساحل الإيراني، ولأن اللغة الإيرانية لا تنطق حرف الحاء، قُلبت هاء، فقالوا: الهولة». (عرب فارس، ص ١).

وليس الهويلي يا جُوَيْهَلُ لفظه
فليس بجهمي فترمي به بالردى
وليس يواليهم ويركن نحوهم
ولكنه يحمي حمى الدين جهده
وهل قال إلا ما هو الحق والهدى
ووافق أهل الحق في جلّ ما به
يؤول ما قالوا بغير الذي له
ولكنه أبدى كمائن عُصبة
فعادى الذي عادى لدين محمد
وقد بلغتهم حجة الله جَهرة
ووالى ذوي التقوى لحسن بلائهم
لذلك أحسنّا به الظن والذي
ومهما استمروا مستقيمين في الهدى
سوى البغي بالعدوان والجهل والهوى
ونقبل أخبار الرشيد محمد
ونقبل أخبار السفية يُوسِفِ^(١)
وقولك أدهى بل أشد ضلالة
وقولك في هذي القصيدة ناصراً

يُعاب بها في دينه من تناضله
ولا بأباضي ولا مَنْ يشاكله
كمن كان بالعدوان بغياً ينزله
ولم يأل في إيذاء من لا يعامله
صريحاً لدينا تستبين دلائله
يقولون لا تأويل خبّ يُماحله
أرادوا وتخفى^١ في الدليل محامله
غشّتهم دياجير الهوى وقساطله
وكفّر من قد شاع بالكفر باطله
وقامت عليهم بالبلاغ دلائله
وإغنائهم في الدين عمن يخاتله
يساعده في شأنه أو يماثله
فما لامريء فيهم مقال يحاوله
ومن رام ذا فيهم أُصِيبَ مقاتله
إذا قال في الأشرار ما هو قائله
وأشباهه من كل قَدُم يماثله
وأشنع مما قاله مَنْ تَخَالَلْهُ
ومنتقماً للقَدَم فيما يحاوله

(١) أي: يوسف بن شبيب الكويتي، الذي رد عليه بكتابه: «كشف الشبهتين».

ومستشفياً مني لنصري محمدٍ على الحق إذ عادى لمن هو جاهله
 (وتفعل جهلاً منك بل وسفاهة ونقصان عقل فعله وتماثله)
 أقول نعم قد كنتُ أفعل فعلَهُ بتكفير جهميٍّ ومَنْ قد يشاكله»

قلت: هذا ما حدث بين الشيخين: سليمان بن سحمان، وحسين بن حسن آل الشيخ - رحمهما الله -، وقد عادت علاقتهما إلى التصافي بعد رجوع الشيخ حسين عن رأيه - كما سبق بيانه في هامش مضى -.

أما صاحبنا محمد بن حسن المرزوقي - رحمه الله - فقد جمع كتاباً سماه «أنجح الفوائد»^(١) أورد فيه شيئاً مما واكب الخلاف السابق مع الشيخ حسين. ومن ذلك: قوله:

«وقلت أيضاً سنة ١٣٢٩: القول السديد على منظومتي حسين بن حسن إمام الجزيرة حالاً من علاقة رأس الخيمة، يقال لها جزيرة زعاب:

لَكَ الْحَمْدُ يَا مَنَّا يَا خَيْرَ وَاهِبٍ وَيَا خَيْرَ مَسْئُولٍ بِرَغْبَةِ طَالِبٍ
 وَيَا مُرْشِدَ الْمُحْتَارِ أَصْرِفْ قُلُوبَنَا عَنِ الذَّبِّ عَنْ قَوْمِ الْخَنَا وَالْمَثَالِبِ
 فَبَعْدَ ظُهُورِ الشَّيْخِ جَدَّدْ دِينَنَا هِدَاةً أَتُونَا مِنْ رِيَاضِ الْأَطَايِبِ
 وَمَنْ بَعْدَهُمْ جَاءُوا أَنْاسَ بَزِيهِمْ وَجَسْتَهُمْ لَكِنْ أَتَوْا بِالْمَصَائِبِ
 حَتَمْتُ عَلَى نَفْسِي مَجَاوِبَهُ لِهِمْ فَيَارَبْ وَفَقْنِي لِرَدْعِ الْمَشَاغِبِ
 إِذَا فَاتَ ذُو أَجْهَلٍ بِشَبْهَتِهِ أَتَى عَلَى إِثْرِهِ ذِي بَدْعَةٍ وَمَعَائِبِ
 فَفِي عَامِنَا هَذَا وَجَدْتُ رَسَائِلًا نَمَاهَا حُسَيْنٌ فِي جَزِيرَةِ زَاعِبِ

(١) صورته لي الأخ الكريم: حسان الرديعان - وفقه الله -، من مكتبة الشيخ حمود الشغلدي - رحمه الله -، بحائل.

بذكر لدى الإخوان مع كل صاحب
 وفهم لتوحيد زمان المطالب
 قضى رأيه ضرباً لنهج المكاسب
 يث من البأساء شر النوائب
 يعلم قرآناً لطفل المكاتب
 الإقامة في دار الرّبي والمعائب
 وبالفور واسوه بجزل المواهب
 وسموه شيخاً وهي بغية راغب
 على صهره والدين مع كل صاحب
 وجال ولكن لا بحدّ القواضب
 بجهلٍ وحزنٍ في نياحة نادٍ
 على ملة الإسلام خير المواهب
 بشر أقاويل ومحض أكاذب
 سوى فرقة دانوا بشر المذاهب
 بها كفروا بعض الهداة الأطائب
 بإسلامهم جاء اختلاف الأطائب
 وساوس فكر مع نقولات كاذب
 جواباً لما أبديت من رأي خائب

فكنا بنجد مدة لم نجد له
 ولا جالسوه كي يُفيد بعقله
 ولازم منفوحاً^(١) ودام بغفلة
 أتى بعمان في رثاثة هيئة
 ألح علينا أن نقرره لكي
 وإن تاح ربي حجة لم تجد له
 فحالا كتبنا للأخلاء كلهم
 بمال وأثواب وأهل ومنزل
 فلما حوى هذا تكبر واعتدى
 فأبرز شعراً قد حوى كل بدعة
 فقال بمنظوميه يا ذا خطه
 إلى الله أشكو ما دهي من مصائب
 تكلم في دين الهدى كل جاهل
 وليس لهم شبه من الناس يا فتى
 كمثل أناس أظهروا لمقالة
 نرى كل جهمي وكل إياضة
 إلى آخر النظم الذي قد نماه عن
 أصخ لجوابي خذ عجلة راكبٍ

(١) في الهامش: «منفوحة قرية صغيرة من قرى الرياض بنجد». قلت: وهي أحد أحيائها الآن.

وتبدي جواباً نحو نسج العناكبِ
 بأباض وقتي يا كثير المثالبِ
 يخالف ما تدعوله من معائبِ
 وتبصرة الجوزي في صوت خاطبِ
 ولم يك للتوحيد يوماً بصاحبِ
 ويأتي من الأهواء خبث المذاهبِ
 وأحمد قاضي الحق سامي المناقبِ^(١)
 بسيف عُمان من قريبٍ وجانبِ
 وتابع جهماً في خبيث المشاربِ
 وقرب للزيران نسك الرغائبِ^(٢)
 أباضية باؤا بخزي المثالبِ
 طريقتهم قد ردها كل راهبِ
 فشتان لا هذا بذا من مقاربِ
 كماء الورى أهل التقى والمراتبِ
 فحلّ بدين الحق جل المصائبِ
 يناضل عن قوم الهوى والمعائبِ
 لشبهته عادوا شتات المذاهبِ

تصور بهتاناً على كل مسلم
 تمثل أصحاب اليقين وسنة
 وتبدو كفراً ثم لعناً لمن غدا
 ألا من قرى في غالي الوعظ دائماً
 وصد عن الوحيين يا صاح عمره
 فلا عجباً من أن يرى الحق باطلاً
 تعرّض إبراهيم جهلاً وراشداً
 وأصهاره مع كل صاحب سنة
 بتكفيرهم من كان للنند داعياً
 وراكب للفحشاء من غير خفية
 بأنهموا قد شابها لخواارج
 خواارج يا مغرور بالذنب كفروا
 وذنب أولاء الشرك ثم تجهم
 فلما خلا من ساحل كل باسل
 وداخلهم قراء فلس وكسوة
 كمثل حسين إذ تصدى بجهله
 وغير سكان الجزيرة بينهم

(١) في الهامش: «أحمد بن عبدالرحيم، قاضي رأس الخيمة وقراها».

(٢) في الهامش: «الزار: ضرب من الجن».

وأوقد نيران العداوة والقتلا
فوالله لو في الزعب أهل نباهة
لأولوه ضرباً ثم جلوه ضحوة
ولا قدموه في الصلاة وجمعة
وكدر ماءً كان صافي المشارب
كأجدادهم أهل النهى والمناقب^(١)
وكان لهم في ذاك حسن العواقب
ولا افتزع المخذول أسنى المراتب

فصل

في أوصاف من ذب عنهما وعقيدة من ذمهم وبهتهم بالزور
من الموحدين السلفية:

فيا أيها الإخوان بالله فاسمعوا
نصحتُ لهذا المرء بيني وبينه
وقلنا فقدم بالدراسة يافتى
بتوحيد خلاق وتفسير وحيانا
فعاند واختط الخطا راغباً إلى
ثلاثة أعوام أقام مآتماً
وسموه شيخاً بعد هذا وارتدى
بسبب الذي أبدوا له نحو قولنا
فقالوا فهاتي دار شرك وبدعة
كدار التي قد ذب عنهم وقاحة
أصروا على جحد الصفات ودعوة

مقالة من في القول ليس بكاذب
وجهرأ بنادي صهره وأصاحبي
لعامة زعاب برهبة راغب
وكتب حديث كي تفز بالمطالب
صحائف أخبار القرون الذواهب
على قوم نوح في جزيرة زاعب
ردى الفشر بالدعوى لشر المكاسب
أفادوه توضيحاً لنهج المحارب
بلا مرية بين المشاة وراكب
هما اشتهرا في ترك خير المذاهب
لجيلان مع أمثاله في الرغائب

(١) في الهامش: «الزعب: اسم قبيلة».

فقول إلهي ثم قول رسولنا
فكم دعوة جاءت لهم إثر حجة
وأبدوا بتكفير وهمز وسُبَّة
أثمتهم مع كتبهم وعقائد
وإن صح إيمان لمن كان هكذا
فكل خبيث فاعذرناه بلا مرا
وقولك ناس أخرجوا لمقالة
وأنهم قد كفروا لمساكن
متى نحن كفرنا هداةً أطايا
يوالون أهليه يعادون ضده
نفاة صفات الله مع كل مشرك
ومن شك فيهم صار في الكفر نحوهم
متى نحن عممنا البلاد بأسرها
متى نحن خصصنا لمن كان جارهم
فأبدر لهم خطأ لنعلم صدق ما
وقولك قولان أتى بتجهم
وعندك خلق منهم طال عدوهم
أقول فسافر وادرس العلم مدة
هلم فعدد لي ومن شدَّ سابقاً
لندري ويدري من يحثك خفية

فقد بلغتهم ما الجواب لناكب
أو ان ظهور الشيخ جم المناقب
لشيخ الهدى عمداً فسُحِقاً لثالب
سوى كتب أهل الحق من كل جانب
وتارك نهج الحق أوجب واجب
وسلم على من شئت منهم وصاحب
بها كفروا بعض الهداة الأطايا
لمن كان جيرانا بدار المحارب
مقيم في التوحيد من كل جانب
كذبت وربّ العرش لست بصائب
نكفرهما جهراً على رغم غاضب
وأسوتنا القرآن أركى المطالب
بكفر كما زورت عن كل صاحب
بكفر رماك الله داء الثعالب
رमित به أهل الهدى والمراتب
وأن أباضي الوقت لا كالمحارب
فما كفروا الجهمي ردي المكاسب
ومن لي بأكار الحشيش وحاطب
بإسلام جهمي خبيث المذاهب
دهتكم مدى الأيام أيدي المصائب

فخمس مئين كفروهم بلا مِرا
وقولك في تقسيم سكان مكة
فيا محنة الإسلام من كل جاهل
أولئك ما اسطاعوا بحيلة قادر
وكم لأولاء القوم من حيلة بدت
وقولك عنهم كفروا لمجاور
أيا أمرط العينين أين كلامهم
ولكنهم قالوا تعين هجر من
وقولك جدي ذا يقول مقالتي
فقد برزت في الدين آثار هديهم
وما أنت فيهم غير شخص زكت له
لذاك رماك الجهل في هوة الهوى
وقولك في نظم وخطك بيننا
فهل نحن ذبينا عن الشرك والخنا
كموسى وخباز وأنذال فارس
نتوب عن التوحيد مع ذم مشرك
ولو فيك خير ما هجرت بعارض
وأنت وصبيان المكاتب واحد
لأنهم ما أبدعوا لحوادث
وغرك زُعَابٌ دعوك بعالم

فأبدر لنا فردين من ذي المناقبِ
كسكان ذا الدارين أقوى العجائبِ
تردى بجور لم يخف بأس ضاربِ
ولم يهتدوا نهج الفرار لضاربِ
يميزها أهل الهدى والمراتبِ
جميعاً عموماً ما لهم من معاتبِ
بقولك قالوا ما لهم من معاقبِ
يلازم دار الشرك غير مراقبِ
كذبت على شيخ التقى والمناقبِ
وحاشا علاهم من جهول مشاغِبِ
جدودٌ ولكن حظه جد خائبِ
فأرداك بل أغواك حب المكاسبِ
لأجمعنا فابدوا بتوبة أثبِ
جهاراً ونادمنّا أهْيَلُ المعايِبِ
صباحاً نوافيهم ببلدة زاعبِ
عدمك ما هذي نصيحة صاحبِ
جُفيت خصوصاً بين كل الأقاربِ
ولكنهم أولى بسامي المراتبِ
ولا ناضلوا يوماً لنيل المناصبِ
لذلك رأيت الحق شر المذاهبِ

ولو كان زُعَابٌ كمثل جدودهم
فلو أبصروا نهج الصواب لقادهم
ونقلك عن صحب وكل أئمة
كذبت على الأصحاب مع كل عالم
فمن قد خلا منهم نقول بكلهم
حكيت بإسلام الأباض بوقتنا
أباضةً هذا الوقت غاية بحثنا
لأنهم ازدادوا بشركٍ وبدعةٍ
فقد كفروا من سادة الدين جملة
فمن قبل لم تبلغهم ويك حجة
وقد أنكروا الميزان ثم شفاعة
ولم يشبتوا في القبر من فرط خبثهم
بأصل وفرع خالفت سبل الهدى
جهادهما فرض على كل مسلم
فعلُوا وزعابٌ وآل قوايسم
قديمًا تجاهد للذين مدحتهم
وجئت وخالفت الصواب وأهله

لأولوك ضرباً بل رموك بحاصبٍ
لمنهاج آباء كرام أطايبٍ
بإسلام أباض بلا شك راقبٍ
وأنت فلا تدري بنهج الأطايبٍ
لقد مرقوا كالسهم من قوس حاجبٍ
لدى هاشل مع ساكني دار زاغبٍ^(١)
فكفرهم من غير شك لحاسبٍ
على من خلا منهم بماضي الحقائق
وكانوا كلاب النار يا ويح خائبٍ
وذا الآن لن يبقى اعتذار لطالبٍ
وحوضاً عسى تأتبه عذب المشاربٍ
نعيماً ولا بؤساً أكيد المصاعبٍ
وشيعة جعدٍ مثلهم في المثالبٍ
وبغضهما نهج الهداة الأطايبٍ
وآل نعيمٍ شمروا للتحاربٍ^(٢)
بأمر هداةٍ من رياض الأطايبٍ
فأبديت ما أولاك شر المعاطبٍ

(١) في الهامش: «هاشل ولد ابن منصور، من سكان الجزيرة».

(٢) في الهامش: «هؤلاء من قبائل العرب في ساحل عمان الآن».

وما جئت به بغياً تدم لعصبة
 كراشد إذ عاداك في الله جهرة
 سلالة عمران فلا تنس فضلهم
 أولئك إخواني فله درهم
 أولئك مع أمثالهم ميزوا الهدى
 وقد بذلوا لله نفساً وخالفوا
 وقد حك قراء بما ليس فيهموا
 متى ألفوا رداً على كل مبطل
 متى نكروا قبحاً على طول لبثهم
 مناهجهم كسب الحرام وأكله
 تقرر توتيناً وتدعو لسُبحة
 ومنهم عبيد الله يدعى بسيد
 وقاضي العنيزي قد رمى بمكيذة
 ومنهم خدين الرفض مع كل فاسق
 فتاواه جهلٌ للرشاء ملازماً
 وكلهم مُسْتَحْقَرٌ ببلاده
 بحول إلهي أن يروا ما يهينهم
 لقد كنت في نجد فلم تك واجداً
 سمو شرفاً في سمتهم والمذاهبِ
 وأحمد قاضي الحق أكرم بصاحبِ
 وذو الميز إبراهيم سامي المناقبِ
 فقد ألقموك الترب في دار زاعبِ
 وعادوك حقاً يا لثيم المشاربِ
 لرأي الذي تنحو له من معائبِ
 من الوصف حالاً من وقاحة كاذبِ
 بسيف عمان يا عري المناكبِ
 متى جددوا للناس نهج الأطايبِ
 ومدح الذي ييدي لهم من مواهبِ
 وترفض من يدعو لنهج الرغائبِ^(١)
 فديدانه ثلباً لأهل المناقبِ
 فزالت بحمد الله من كل جانبِ
 فللسحت أكالٌ وليس بتائبِ
 فللدين والإخوان غير مراقبِ
 كما كنت لا جاهاً ولا فضل طالبِ
 فشرأ بشر والجزا غير ذاهبِ
 من القوت ما يكفي لجوعه ساغبِ

(١) التوتين: التطعيم ضد الجدري وغيره من الأمراض المشابهة.

ولا كسوةٌ تدري بها كيف لونها
أتيت عماناً نلت كل مليحة
فأبرص في ماض الزمان وأقرع
فيارب اردده كما كان أولاً
ووعدك يا مختار بالفشر والهوى
تهدد أرباب المعارف والنهى
وقد جردت لله نفسٌ وأشرعت
فإن عدت في زور المقال فإننا
فكم جال في الميدان قبلك فارس
وأختم نظمي بالصلاة مُسَلِّماً
وتابعهم من كل ناصر سنة

ثم أورد فتوى للعلماء قال عنها:

«فتوى علماء الرياض الشيخ عبدالله والشيخ إبراهيم أبناء الشيخ
عبد اللطيف والشيخ سليمان بن سحمان لتأييد حجة محمد بن حسن
المرزوقي، وإبطال حجة حسين بن حسن إمام زغاب:

بسم الله الرحمن الرحيم، قال السائل: ما قول علماء المسلمين وأئمة
الموحدين في إمامة رجل يقول في الجهمية والقبورية المنكرين لتوحيد
الذات والصفات والعبادة، كأكثر أهل دبي وأبي ظبي ونحوهما: قولان،
وأنتما لم تبلغهما الحجة، وأن الإباضية في زماننا لما سئل كيف تشبهنا
بهم؟ قال: هم مسلمون... إلخ.

الجواب: لا تصح إمامة من لا يكفر الجهمية والقبوريين أو يشك في تكفيرهم، وهذه المسألة من أوضح الواضحات عند طلبة العلم وأهل الأثر، وذلك أن الإمام أحمد رحمه الله وأمثاله من أهل العلم والحديث لم يختلفوا في تكفير الجهمية، وأنهم ضلال زنادقة، وقد ذكر من صنف في السنة تكفيرهم عن عامة أهل العلم والأثر، وعد اللالكائي الإمام رحمه الله منهم عدداً يتعذر ذكرهم في هذه الفتوى، وكذلك ابن الإمام عبدالله بن أحمد في كتاب السنة، والخلال في كتاب السنة، وإمام الأئمة ابن خزيمة قرر كفرهم، ونقله عن أساطين الأئمة، وقد حكى كفرهم شمس الدين ابن القيم في كافيته عن خمسمائة من أئمة المسلمين وعلمائهم وقد يفرق بين من قامت عليه الحجة التي يكفر تاركها وبين من لا شعور له بذلك، وهذا القول يميل إليه شيخ الإسلام في المسائل التي قد يخفى دليلها على بعض الناس، وعلى هذا القول فالجهمية في هذه الأزمنة قد بلغتهم الحجة وظهر الدليل، وعرفوا ما عليه أهل السنة والجماعة، واشتهرت التفاسير والأحاديث النبوية، وظهرت ظهوراً ليس بعده إلا المكابرة والعناد، وهذه هي حقيقة الكفر والإلحاد، كيف لا وقولهم يقتضي من تعطيل الذات والصفات والكفر بما اتفقت عليه الرسالة والنبوات، وشهدت به الفطر السليمة، ما لا يبقى معه حقيقة للربوبية والإلهية، ولا وجود للذات المقدسة المتصفة بجميل الصفات، وهم إنما يعبدون عدماً لا حقيقة لوجوده، ويعتمدون على الخيالات والشبه ما يعلم فساده بضرورة العقل، وبالضرورة من دين الإسلام عند من عرفه، وعرف ما جاءت به الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين،

ولبشر المريسي وأمثاله من الشبه والكلام في نفي الصفات ماهو من جنس هذا المذكور عند الجهمية المتأخرين، بل كلامه أخف إلحاداً من بعض قول هؤلاء الضلال، ومع ذلك فأهل العلم متفقون على تكفيره، وكذلك القبوريون لا يشك في كفرهم من شم رائحة الإيمان، وقد ذكر شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم في غير موضع أن نفي التكفير بالمكفرات قولها وفعلها فيما يخفى دليله ولم تقم الحجة على فاعله، وأن النفي يراد به نفي تكفير الفاعل وعقابه قبل قيام الحجة عليه، وأن نفي التكفير مخصوص بمسائل النزاع بين الأمة، وأما دعاء الصالحين والاستغاثة بهم وقصدتهم في الملمات والشدائد فهذا لا يُنازع مسلم في تحريمه، والحكم بأنه من الشرك الأكبر، فليس في تكفيرهم وتكفير الجهمية قولان، وأما الإباضية في هذه الأزمان فليسوا كفرقة من أسلافهم، والذي يبلغنا أنهم على دين عبّاد القبور، وانتحلوا أموراً كفرية لا يتسع ذكرها هنا، ومن كان بهذه المثابة فلا شك في كفره، فلا يقول بإسلامهم إلا إنسان مصابٌ في عقله ودينه.

وأما قول السائل: وهل تصح جمعة ثانية لأهل قرية منذ كانوا وهم يصلون بجامع واحد وإمامه محسن العقيدة والسيرة ما فيه من مقال، والجامع كبير يأخذ أكثر مما في البلد، ولكن طلب الإمام الجديد من الإمام القديم أن يكف عن ذم القبورية والجهمية، فلم يطعه، وقام الإمام الجديد واعتزل بنصف أهل البلد بجامع آخر.

الجواب: أنه لا يصح إقامة جمعة ثانية في قرية يشملها اسم واحد من غير ضرورة داعية إلى ذلك، والإمام الذي يُكفر الجهمية والقبورية

والإباضية هو الذي تصح الصلاة خلفه، ولا تصح خلف من لا يرى كفر هؤلاء الملاحدة أو يشك في كفرهم، واعتزال الإمام الجديد بنصف الجماعة لكون الإمام القديم يذم القبورية والجهمية عذر باطل لا يبيح إقامة جمعة ثانية، فلا تصح جمعة معهم، ولا تنعقد والحالة هذه، وصلى الله على محمد وآله وسلم. رجب سنة ١٣٢٥ هـ.

ثم قال المرزوقي - رحمه الله -:

«وقال أيضاً^(١) على رسالة وجدها في ساحل عمان سنة ١٣١٨ هـ،

وثم في شوال ١٣٢٥ هـ^(٢):

على كل حالٍ وحد الله واعبدا	وللحق والإنصاف ويحكم اقصدا
وإيا كما الجهل الوخيم وبدعة	فتدروكما عن منهج الحق والهدى
فخير كلام ما أتى عن إلھنا	به فاظفرا في كل حال لترشدا
وأقوم هدي نهج طه وصحبه	فلا تطلبها هدياً سوى هدي أحمدا
وبعد فإن النصح في الدين واجب	كما قد حكى المختار طه وأرشدا
فمن عجب أني رأيت رسائلأ	ملفقة من جاهل وذوي اعتدا
وينشرها عمداً ويدعوا لأخذها	فأهون بها تبأ لمن كان مفسداً
وأبدى بآياتٍ على أخذ سبحةٍ	وثم حديثٍ افتراه تعمدا

(١) يعني نفسه.

(٢) وهي قصيدة في بيان بدعية: «السبحة» التي انتشرت في عصره بين المتسبين للعلم وغيرهم. وللتفصيل والمزيد عن بدعتها، والحكم على ما ورد فيها من آثار، تراجع رسالة العلامة الشيخ بكر أبو زيد - رحمه الله -: «السبحة: تاريخها وحكمها».

عزاه لفردوسٍ بجهلٍ وفريةٍ
 فيا معشر الإخوان من كل منصفٍ
 سألتكم بالله والحق واضح
 فكم خرزة كانت لمسباح أحمد
 وهل سبّح الصّحب الكرام بسبّحة
 وما نوع مسباح الصّحابة بيّنوا
 أئمتنا نعمان أحمد مالِك
 هل اتخذوا المسباح يوماً لوردهم
 أقول فحاشا ما لطفه وآله
 يعدون أذكّاراً بها بزمانهم
 فما ذكروه في صحاحٍ ومسند
 وهيهات أن يأتي المبيح بحجة
 فما ذكروا عن أحمدٍ ومحمدٍ
 ولا السلف الأخيار فاهوا بذكره
 فقل بدعة من غير شكٍ وحيرة
 ولا بد أن نبدي لما ابتدعوا لهم
 ففتشت في الأسفار ثم نظمته
 وما ذكروا عن مرّةٍ عدت الحصى

فأعشى لأعمى صار كلّ مقلداً
 يصير به في العلم والفضل يُقتدا
 ومن حاد عن نهج الإصابة فنّدا
 وكم مرةٍ فيها التهليل ردّدا
 فردوا سؤالِي يا ذوي الدين والهدى
 أيسرا ومُرْجاناً وكوكاً مُنْضِدا
 ورابعهم أعني الإمام محمدا
 فيا قوم هاتوا ما يزول به الصدا
 ولا صحبه منظوم خرز تعقدا
 ومن قال هذا قد طغى وتمردا
 ولا صح عن حبر بفتياه يقتدا
 ومن يتدع في الدين يُلفى ملددا
 ومالك والنعمان في ذاك مسندا
 حنانيك فاسلك نهج من كان مهتدا
 علانيةً فانطق بهائم واشهدا
 جزاء لما أبدى الكويتي واعتدا^(١)
 جواباً وجيزاً صح نقلاً وموردا
 فذاك لها رأي ولم يك مقتدا

(١) في الهامش: «هو يوسف بن شبيب».

وأرشدناها طه لما هوا أيسر
نقول لهم قال الرسول وصحبه
فقالوا فكانت مرأة تعقد الحصى
إذ دلها ماذا بقى ثم حجة
فهلأ وسعكم فعل طه وصحبه
أما خبرنا ذاك الصحابي حذيفة
أقاما على قوم بمسجد كوفة
كما قد حكاه الدارمي في كتابه
فقالا ضلالاً جمعكم لحجارة
ولكنكم يا قوم عدوا ذنوبكم
فذا نهى أصحاب الرسول بلا خفا
ونهي ابن مسعود جهاراً بوقتهم
ولو كان عد الذكر بالصخر والنوى
لما كان عبد الله ينهى جهارة
وما قد عزاه المفتري في جوابه
ولو فعلوا الزنبيل والنطع والنوى
بكتب صحاح عمت الكون صحفها
وفعل أبي هريرة بخفية حاله
إذا شذ فرد من صحابة أحمد
وقال لنا طه عليكم بستتي

فعدت بلا شك لما كان أسعدا
وأتباعهم مع سادة أيدوا الهدى
لقد دلها الهادي بلطف وأرشدا
لمبتدع نهجاً فقل يا ملددا
بترك لمترك ورأي من اعتدا
كذاك ابن مسعود إمام ذوي الهدى
بزجر رونا ذاك يا صاح مسندا
وحبر ابن وضاح أفاد وأرشدا
لذكر بدعتم محدثاً فعلكم سدى
وأضمن إحساناً لكم لم يفت غدا
وذا حجة تحكي حساماً مهندا
لدى الصحب والاتباع يا صاح قد بدى
لدى الكل أمراً سائغاً كان أرصدا
لديهم بنهي زاجراً لمن ارتدى
من النقل واهي الطرق لم يك جيداً
وما لوا إلى المسباح يوماً لأسندا
ولما خلت قلنا لكم فعلكم سدى
بتعقيد خيط لم يكن ثم موردا
وخالفه الباؤون هل كان يُقتدا
وسنة سادات لكم أسسوا الهدى

فردّ على مبدية قد ضل مقصدا
 بأيديهم الأذكار تبدو وتعقدا
 بكل كتاب صاح تلقاه مسندا
 بأنملة مستنطقات لتشهدا
 حديث لفردوس عزوه تعمدا
 كذاك على الفردوس بعداً لمن بدا
 وعنوانه الفردوس نقلاً مؤكدا
 لناقلة راجعه تلقاه مسندا
 بباب صلاة ذاك تلقاه مرصدا
 وأصحابه تلغي لما كان أوردا
 حنانيك قد سرتم إلى منهج الردى
 بأن نظام الخرز لم يك موجدا
 فقال له سبح بيميناك واعقدا
 على بندق والطوب جهلاً تعمدا
 وصمم وساعات تحير واعتدا
 تجارت به الأهواء للأرض أخلدا
 وبين لنا أقسامه ثم فاعدا
 تراه أم استقراء أوضح ليتهدى
 قديماً بلا شك أتت تلك مسندا
 كذا الحسن البصري خذه على المدى

ومحدث أمر لم تجده بديننا
 وسنته مع كل تابع هديه
 كما قال طه في حديث مؤيد
 عليكن بالتسبيح باليد افعلوا
 ومن نهجهم نعم المذكر سبحة
 كذبتهم على طه بتصحيح لفظه
 وما قدرواه الديلمي في كتابه
 بأن قد أتى نعم المذكر سبحة
 حكاها سيوطي بجمع جوامع
 ولو مدح المسباح لم تلق آله
 أيمدحه الهادي وهم يتركونه
 أما الحسن البصري أفتى بوقته
 أتاه ابن عياش يروم إبانة
 ولو صح هذا كيف قسم لسبحة
 ومن قاس مسباحاً على كل موزر
 فذاك جهول بل غبي مغفل
 فأبي قياس ذاك يا خب قل لنا
 أذاك اقتراني أم قياسي مثل ما
 وبدعة مسباح لدى كل عالم
 كما قاله الحبر ابن مسعود سابقاً

لقاموسنا شرح بذا الوقت قد بدى
 قديماً ولكن كان هذا مؤلدا
 خصوصية فيه فلا تترددا
 وراجع لتأليفهما يا أخا الندى
 وتلميذه أيضاً نفاه وأرشدنا
 سليمان نجل الشيخ قالا وفندا^(١)
 بنجد فقالوا بدعة لم تكن هدى
 هما بدعا مستعمليه وشددا
 كرجم بغيب مثل من جار واعتدا
 أخا الجهل فاحذر أن تخالف أحدا
 فكم ذا تحال التبر والصفر واحدا
 كذاك الكرام الكاتبون على المدى
 ولا تخش من مثقال ذر يفت غدا
 وعد بها الأذكار دهرك واعقدا
 وأصحابه أهل المكارم والهدى
 فقل بدعة جهراً ولا تترددا
 وعض عليها بالنواجذ تسعدا
 جزاء لما أبدوا عناداً تعمدا

وقد جاء في تاج العروس مبيناً
 وقال فما المسباح يُعرف عندهم
 نفاه ابن مسعود وكذا حسنٌ حكى
 كذاك ابن وضاح وصاحب مدخل
 وأيضاً تقى الدين أفتى بنفيه
 وعالم شقرا عابد الله بعده
 كذاك ابن سحمان وثم شيوخي
 وعالم كتلان ودوتي كلاهما
 فمن خالف الأعلام صار يقينه
 فدع محدثات الرأي من كل وجهة
 ودع زخرفات القول ويلك دائماً
 فسبح بلا عد فربك عالم
 فيُحصون أقوال ابن آدم كلها
 وإلا فسبح بالأنامل ما تشا
 بهذا أتى قول الرسول وفعله
 وما كان لم يفعل طه وصحبه
 وسر دائماً في نهج سنة أحمد
 فهذا جوابي للثلاثة كلهم

(١) في الهامش: «المعروف بعبده الله أبي بطين، وسليمان بن محمد، الحنبليان».

وردهم للحق كان تعطفوا
غدا ابن شبيب يوسفُ جنةً لهم
ولم يك هذا الوزغ كفواً لأحمدٍ
فيوسفُ لم يقرأ ولم يك كاتباً
أفي الحلم نال العلم أم صهره دعا
سيجلب مسباحاً بشارقةً لهم
وأدوية كذباً يروجها لهم
فوالله لو في الدار من آل قاسمٍ
وأوجعه ضرباً وأعلن نفيه
طبعنا لما كنا جمعنا لرد من
ليعلم أننا لا نزال ولم نزل
ونلقمه صخراً ونشدخ رأسه
عليّ ضماناً أن أجدد غارةً
وآليت أني لا أوالي من دعا
وصل على المختار يا رب دائماً
وتابعهم من كل صاحب سنة

لدى فئة يرجون منهم عسيحدا
فهذه لا يرمى ولو كان أفسدا
فأرنبة أنى تقاوم فرقدا
متى صار للتأليف أهلاً ومحتدا
فصار طبيباً ثم خبراً مجددا
كما جلب المرأة زي من اعتدا
فصار ابن كرجي طبيباً ومرشدا
فتى في معالي الأمر سمو لأرشدا^(١)
ليحظى بأجر ثم يُحمد سرمددا
بمطبوعه حالاً على الدين قد بدا
وقوفاً بثغر الدين نطعن في العدا
بحد الضبا لم نخش غزني وأحمدا
دواماً لمن للجهل أضحي مؤيدا
إلى بدعة حتى أوسد جلمدا
كذا الآل والأصحاب دأباً مؤيدا
ومن كان ذا هجر لمن زاغ واعتدى.

(١) في الهامش: «أي في الشارقة من ساحل عمان».

ومن قصائده في هذا الكتاب، قوله:

«وقال أيضاً^(١) في أهل الزمن وذكر شيء من المحن سنة ١٣٢٥ هـ:

<p>والعمر ولّى ولم أظفر بمقصودي هوّن عليك ووجد خير معبود عظم إلهك لا تركز لمنقود معظمين لبدعيّ ومردود في قول كعب وفي قول ابن مسعود وصاحب الفسق فيهم غير مظهرود حتى البلاد لها شأن بتقليد صارا الدينا بلا شك كمفقود فيك العيوب لدينا غير محمود ومنزل حسن عالٍ بتشيد أيامهم فنيّت في جمع منقود عن رفع مظلمة أو نفع مطرود وكلهم في الهوى مبدٍ لمجهود ذكر أللوحى ولا درساً لتوحيد تركاً وطرداً بلا خوف لمعبود تأنبوه بإيذاء وتبعيد</p>	<p>مضى الزمان وعيشي عيش تنكيد كان الزمان وكان الخلف لازمه وال اليقين، وعاد الشك أجمعه فالخطب عمّ وصار الناس كلهم هذا الزمان الذي كنا نحاذره فصاحب الدين ممقوتٌ ومنكتم كلّ يقلد في الأهواء صاحبه والأمر بالعرف ثم النهي عن نكر إذا نصحت لشخص قال أنت كذا أضحت تفاخرهم في حسن بزتهم وجمع حلي وخدام وأسلحة تلقى الأمير مع المأمور في وهن لنيل دنياهم كالأسد ضارية تمضي سنون ولم تسمع ببلدتهم حكامهم قد جفوا ديناً وحامله إذا رأوا صالحاً يدعو لنهج هدى</p>
--	---

(١) يعني نفسه - كما سبق -.

حكم الطواغيت قالوا فيه مصلحة
 أهل الحجى والنهى مالوا لسالفه
 أهل الترفض مع فسق وفاعله
 حكاهم للرشا مالت وعالمهم
 ولاية الكفر أمست من مناقبهم
 قضاتهم قد غوت نهج السوى إلى
 دأباً تنم على الإخوان ديدنها
 أبدوا لنا بدعاً ماكان عرفها
 غرت عواماً بزى الزهد كاذبة
 ما في الزمان فتى تُرجى منافعه
 مآثم الرفض والأهواء بادية
 والهرج والمرج تلقاها مروجة
 بروا بعيداً وعقوا كل والدة
 تلقى الهوى والربا والجور مرتكبا
 ووافقوا أهل ظلم في مقاصدهم
 وقلدوا الأمر لكعباً أخا بدع
 مخالف الشرع لم يظفر بحاجته
 فالبهت والذم والإيذاء قد وجدت
 أهل الرباء وبهتان وجور هوى
 فالدين في غربة والناس أكثرهم

وفي الربا ساعدت شيب لمولود
 قالوا الشريعة لا تجدي بمقصود
 يمشي ببلدتهم يوماه كالعيد
 كلاهما خالفت ما لو لمنقود
 فكلهم قال هذا خير موجود
 مدح الضلال ومدح الجاه والجد
 يا ليتها هتكت عرضاً لمنكود
 وجانبوا نهج توفيق وتسديد
 كحنية الفخ إغراراً لمصيود
 يراقب الله نصاراً لتوحيد
 لا رادع لهم حتى بتهديد
 والدين والسمت في جلباب مطرود
 لم يرفدوا رحماء لانوا لمبعود
 والعلم والنصح فيهم غير موجود
 قد حالفوا كل بدعيّ وملدود
 لجلب أمر وفكر غير محمود
 لو نال خيراً أقصاره لتبديد
 لكل متسبب عندي لتوحيد
 مقرباً عندنا يُلقى بتمجيد
 بخبث طبع يوالي كل مطرود

من الديانة هجرانٌ لمبتدع
صار الذي كان تأتم الهداة به
من كان يهجر ذا بدع ومظلمة
بشتخة جَلَبَتْ لهواً على مرح
تَبَّأ لجالبها أهون بسامعها
لا داعياً مرشداً يدعو لصالحة
فالكل يسري لما يهواه خاطره
حق الغريب وحق الجار أهمله
تجارهم لم تُزك ويل أهمهم
لا يربُّ سحت كما قال الإله لكم
أين الفرار وكم من بدعة حدثت
موالداً وَلَدَتْ رقصاً وتصدية
وصيرت ديننا في زي مسخرة
فالآل والصحب ثم التابعون لهم
كذا طرائق سوء بان منكرها
فما الطريقة إلا نهج أحمد مع
فهل ترى من غدا للنار يحملها
أو هل سمعت بمن للجدر ينطحها
ويستغيث بأموالٍ لكربته
فاخلص لربك اتبع نهج سيدنا

لا مرحباً بقبوري ومردود
وتقتفيه بأمر غير معهود
أمسى يياشرها من غير ترديد
ساعات سنطورهم تبدى بتغريد
نالوا الوبال وإثماً غير معدود
ولا وزير ولا قاض بتسديد
لم يلتفت لمراضي خير معبود
من كان تعرفه بالدين والجود
من شر عاقبة في يوم موعود
كسب الحرام طريق غير محمود
وسنة درست من غير تعديد
وضرب كف وأشعاراً بتغريد
فأي دين أتاناً بالأناشيد
كذا الأئمة لم تفعل لمولود
ومنهل الحق أضحى غير مورود
أصحابه السادة الغر الصناديد
ويضرب الدف مع حمل العرايد
نطح الكباش وثور ويك مهدود
فاكفر بهذا ولا تشرك بمعبود
قولاً وفعلاً تنل فوزاً بتسديد

ثعالب السوء نادت في أرائها
فالدّار في أمرنا أعداؤنا خذلوا
ما في البلاد حماةً غير ما رحلوا
واغربة الدين والإيمان في بلد
إن دام هذا ولم يحدث له غير
وفارق الكل لا تلوي على أحد
من كان نأمله في كشف معضلة
فأي دار بها الإسلام في شرف
أين الفرار وأي الدار نلق بها
عمري غدا بين واش ثم مبتدع
يا صاح من رام فوزاً يمشين على
وآل ثم أصحاب له بَعُ
وقادة الخير كالنعمان أولهم
ومالك كلهم كانوا أئمتنا
تقليدهم بفروع مع مخالفة
قلد جميعاً بتوحيد وكن حذراً
واسلك عقيدتهم حباً متابعة
وارفض لجهمية مع كل معتقد

هذا زمانك عيشي عيش محمود
ملنا الأمير بمرقوش ومنقود
ومن بقى عندنا في زي ملحود
أهل الهدى بين مقهور ومضهود
لا ترج حياً ولا تفرح بمولود
أرضاً بأرضٍ وخلانا بموجود
أبدى بعذر ولا أجدى بمقصود
وسنة المصطفى تزهو بتجديد
ولا تهاكل ميمون ومحمود
يارب يسّر بأنصارٍ لتوحيد
طريقة المصطفى يحظى بتسعيد
فازوا بسبقٍ وفاقونا بتسديد
وأحمد وابن إدريس أخى الجود
أئمة الناس قد جاءوا بمقصود
في أصل معتقداً غير محمود
من رأي مبتدع تبدى بتقليد
واهجر أشاعرةً هجراً بتنفيذ
للشرك ديناً ولو أبدى بتوحيد^(١)

(١) في الهامش: «أي ولو تلفظ بالشهادتين وأتى بالواجبات؛ لأن الشرك والتجهم من المنافي لهما، فافهم».

لكي تنال نعيماً غير محدود
واهجر بلاد الهوى حباً لمعبود
عند اللقاء بفوز غير محدود
أقوامٌ سوء تُرى بالأوجه السود
إلى الرسول بلا شكٍ وترديد
لكي تفوز بدار الخلد والجود
حُسن الختام وتوفيقاً لمقصود
وصحبه النجباء السادة الصيد
على الغصون بدا القمري بتغريد

نواقض الدين عشر تلك فافهمها
وحبّ في الله لا تركن لمبتدع
فلازم السنة الغراء تنج بها
ولا توافسق أهواء تلفقها
خير الأمور أخى ما كان مرجعه
فامسك عليه وجانب كل منحرف
أنشأتُ هذا وأرجوا قادراً صمّدا
ثم الصلاة على الهادي وعترته
ما لاح برقٌ على وادي العقيق وما

وقال في سنة ١٣١٨ هـ في ساحل عمان في حوادث بني الزمان:

صلّ على المبعوث من عدنان
والتابعين لهم مدى الأزمان
والأخذ بالقرآن كل أوان
أنت المُخلص من لظى النيران
لم يبق غير الرسم للقرآن
لكنما الأعمال غير الشأن
في كل قطر تلقّها بعيان
والعلم والإيمان في كتمان
من غير فعل الخير والإحسان
في الأكل والملبوس والبنان

يا مُنزل الآيات والقرآن
وعلى جميع الآل مع صحب له
يا رب وفقنا لنعمل صالحاً
يا رب جنبنا الحوادث والهوى
هذا زمانٌ قد تغير أهله
والاسم للإسلام باق في الورى
برزت جميع المنكرات كما ترى
والجهل والطغيان فاش عندنا
والناس يرجون الجنان وحورها
همم الرجال مع النساء بوقتنا

دار الجزاء يوماً عظيماً الشان
والنهي أيضاً ذان متروكان
هماتها في البغي والعدوان
حق الرعية جهرة بعيان
أهل التقى بالطرد كل أوان
ونحو لنحو المال والسلطان
لكنهم حربٌ لذي الإيمان
هم أهل قبلتنا بلا نكران
من غير معقول ولا برهان^(١)
سفر السعادة عن أولي العرفان
فيه أرواح البهتـان
هم في العقيدة أنجم الحيران
منعاً بنقل واضح التبيان
جاء بأحداث بسيف عمان
بإباحة التجدير للإنسان
تركت لها لأصحاب منذ زمان
ببالاة الآراء والهذيان
جهلاً وترويجاً على العميان

فكأنهم خلَقوا لها لم يذكروا
والأمر بالمعروف أهمل في الوري
أمرآء هذا الوقت جارت واعتدت
أخذت مظالمها ولكن أهملت
قد سالمو الأرفاض لكن حاربت
علماءهم أهل المناصب داهنوا
قد سالمو أهل التجهم والربا
قالوا لعباد القبور وخذنهم
قد وتنوا أبناءهم ونساءهم
فسأتى بهدي ثم تنوير كذا
شرحٌ لخمسين وثم كتابنا التوحيد
علماء نجد كلهم منعت لذا
فالهشمي الشافعي حكى به
عبدٌ لواحد ثم أحمد آخر
فتأولوا آي القرآن وسنة
لا علم عندهما ولا ترك لما
قد جوزوا المسباح عمداً بيننا
بثلاث آيات حكمه بسبحة

(١) مضى معنى التوتين.

قد صار يمدح سبحة الإنسان
 في مدفع مع بندق النصراني
 لم يمدح المسباح قط زمان
 كم أحدثت من بدعة بأوان
 حكموا له بالخير والإيمان
 في الضر والكربات للجيلاني
 من ثلث ميت يا أخي بعمان
 يا رب دمر ناكث الأيمان
 يا رب أفقرهم من السلطان
 يا رب زلزلها من البلدان
 ومآكل وتلاعب النسوان
 باعت ممالكها على الشيطان
 بولاة يُمنّ يا علي الشان
 يحظى بما يهوى لدى العميان
 هذا له سهم وذا سهمان
 إن لم تكن فالأمر في شتان
 أهون بقاضي الجور والنيران
 ركنوا بمعتقد لرأي فلان
 أو ماتريدياً بلا نكران
 لأئمة الإنصاف منذ زمان

نسبا حديثاً عن رسول إلها
 من بعد هذا ثم قاساه لنا
 كذبا على الباري وثم رسولنا
 كم غيرت قراؤنا من سنة
 من ناقض الإسلام في أفعاله
 مع كل جهمي وكل من التجى
 أفتوا للحكام البلاد بنهبة
 خفروا العهد الله في جار لهم
 كم أيدوا فسقاً وكم هدموا هدى
 فرعاة جور أيدت لمفاسد
 ديدانهم جمع الدنا ورياسة
 لا غيرة بقيت لهم بديانة
 يا رب فانزل رحمة وإغاثة
 من وافق السلطان في شهواته
 فالدين ضاع لدى الأمير وقاضي
 عقد النكاح مع الطلاق برشوة
 دأباً ترى صرف الحقوق لظالم
 أتباع نعمان ومالك شافع
 أمسوا أشاعرة بمعتقد لهم
 ما عذرهم تركوا بأصل ديانة

يا رب يسر من يرد أخا الهوى
تجار وقتي يا أخي تختموا
ساعاتهم أمست كحلية نسوة
منهم تراه لدى الشروط مرابطاً
أكلوا الربا عمداً لربك حاربوا
قطعوا لأرحام وعقوا والداً
قد قرروا القانون في بلدانهم
قالوا إذا مات الولي يكن لنا
عبدٌ لقادر عيروسُ رفاعي
تدري بمن يدعوهم في كربة
احذر تزل وتعتقد في حلقة
من كان يعبد واحداً لم يعتقد
لا تعتقد في حلقة وتميمة
نزل الحديد وبأسه بمنافع
وعلى الإله توكلوا وتحصنوا
فاللعن والبهتان عند جميعهم
تركوا الإماء مع العبيد بغيهم
يا رب يسر عالماً ومجدداً
كم أتلّفوا الأموال في كأسٍ وفي
ومناظر فيها البراق مصوراً

لمناهل التحقيق والإيمان
من خالص الإبريز والعقيان
في الصدر أبدوها بلا كتمان
كسب القمار كجيفة الأنتان
بشس التجارة من جهول جان
بروا صديقاً جهدهم بتهان
تبأ لهم من معشر عميان
غوثاً معيناً سائر الأزمان
بدويهم كلٌ بذات الأكوان
هذا مقالة عابد الشيطان
لا ترجُ غير الله ذا الإحسان
في خضرهم نفعاً وعَبَّادان
في طرد نفس الجن والإنسان
في أخذ أسلحة لقمع الجان
بدراسة الأوراد والقرآن
من غير ما كيل ولا ميزان
وفسادهم من غير ما نكران
للدين حتى يرشد الحيران
صين وسامانٍ لدى النسوان
قد علّقوها زينة لمكان

ساعات سنطور ودعوة خمسة
 ملئوا منازلهم كأعداء لنا
 بشتخنة الشيطان جاؤنا بها
 تباً لمبديها وسحقاً للذي
 لا غيرة بقيت بغالب أمة الـ
 أهل الشهامة والديانة سافروا
 ومن الحوادث أن في تجارنا
 تركوا من الإسلام ركنين له
 أيضاً وتقسيم الزكاة برأيهم
 والآخرين فلم يزكوا مالهم
 الله أكبر من عظيم مناكير
 في يوم عاشورا بمجتمع لهم
 يُبدون أمراً لا يسوغ لعقل
 ويلاه من تلك الفضيحة إنها
 كم مثلواكم شبهواكم أشركوا
 كم أبرزوا جزعاً وكم لطموا على
 كم شبهوا بنات أحمد منهم
 ضلوا الطريق عقولهم فسدت كذا
 يا ناصر الإسلام هل من نخوة
 تبدي بهدم ماتم بنيت على

قد أحدثوها جهرة بزمان
 صُورًا وتمثالاً من الحيوان
 تجد الغراب موالف الأتنان
 يرضى بإصغاء لصوت أغان
 مختار في دين بذا البلدان
 من هذه البلدان منذ زمان
 قوماً سروا للبغي والعدوان
 حجاً بلا عذر ولا برهان
 منهم يؤخرها لحولٍ ثاني
 يا ويلهم من نقمة الديان
 تبدوا من الأرفاض في البلدان
 من غير ما نهى ولا نكران
 فيه السكوت ولو بدا بطعان
 نُشرت بأيدي الرفض كل زمان
 بالله من رجل ومن أوثان
 تلك الوجوه لطاعة الشيطان
 متهتكات أقبح النسوان
 صاروا الدنيا ضحكة الصبيان
 وحمية للدين والإخوان
 سب وتكفير لذي الإحسان

يا رب فابعث من تشاء بوقتنا
 كم قربوا للجن قالوا سيّداً
 مع طيب عودٍ ثم خاتم عسجدٍ
 حتى يكون الزار يشكر سعيكم
 ما بعد هذا الفعل حبة خردٍ
 أيضاً فكم من مجلس ببلادنا
 لعب القمار وضرب مزار بها
 إن قلت هذا منكر قالوا لكم
 جراً لسفن ثم هم خدا منا
 لولا همو متنا ولم نقدر على
 يا رب فابعث للعباد أئمة
 شهماً يريد الأجر لم يخش الوري
 أما النساء فلا لهن عقل ولا
 لا الذكر يزجرهن عن فعل الخنا
 لو كان دين ما برزن لسكة
 مع كشفها للصدر تجرر ذيلها
 لو كان عقل للنساء بساحل
 ما كان تغدوا للمقيض تعمداً
 قبحاً لها سحقاً لمن يرضى بها
 أما سخيفات العقول من النسا

للناس يردعهم من العصيان
 تُسكا يريد من الشياة الضان
 دأباً يكون بخنصر الأيمان
 أيضاً فلا يمكث بذا الإنسان
 يبقى لصاحبه من الإيمان
 بنيت على العصيان للمردان
 وغناء شابور بضرب بنان
 فهم الزقرت لهم كبير الشان
 في البحر غواصون للمرجان
 سعي على الأطفال والنسوان
 فضلاً لطمس الجهل والعصيان
 يا رب يسره بذا الأزمان
 دين وهن حبائل الشيطان
 بل لا حياء يردُّ عن طغيان
 بلباس حلي ظاهر لعيان
 أهون بذا النسوان كل أوان
 أوتخش رباً فاطر الأكوان
 مع رفقة الشيطان للبلدان
 يا ويلهم من نقمة الديان
 فرؤوسهن كجماجم الثيران

من كورها للشعر مثل عمامة
لعن الإله الواصلات من النسا
فالصالحات الطاهرات من النسا
يارب جنبنا الحوادث والهوى
يارب وفقنا طريقتك التي
يارب غفراً من ذنوب جمّة
هذا قليل من كثير حوادث
ثم الصلاة على النبي وآله

يدعى بشُنْقِيّ لدى النسوان
والماشطات لهن كل أوان
لم تأت محذوراً على الأزمان
أنت الجواد وفاطر الأكوان
بيتهال للناس في القرآن
يارب معذرة من النسيان
مما ذكرنا قد بدت بزمان
والصحب والأتباع بالإحسان^(١).

قلت: بقي أن يشار إلى أن العلاقة بين الشيخ ابن سحمان والمرزوقي - رحمهما الله - لم تدم على صفائها - للأسف -، فقد حدث بينهم النزاع - فيما بعد -.

قال الشيخ حمد الجاسر - رحمه الله - تعليقاً على ترجمة الشيخ عبدالله البسام - رحمه الله - لحسين بن حسن آل الشيخ - رحمه الله -: «لعل الشيخ - رحمه الله - تحاشى ذكر المساجلة التي جرت بينه وبين الشيخ سليمان بن سحمان - رحمهما الله -، وهي مساجلة لا تتصل - والله الحمد - بالعقيدة، وإنما لخلاف عارض حول عالم جليل من علماء عصرهما، هو الشيخ محمد بن حسن المرزوقي، الذي له مقام محمود

(١) ما سبق منقول من كتابه «أنجح الفوائد»، (ص ٣٢-٦٢). وله - رحمه الله - قصائد أخرى في خاتمة الطبعة الأولى من كتاب «كشف الشبهتين» للشيخ سليمان بن سحمان - رحمه الله -، المطبوعة في الهند، عام ١٣٢٦ هـ.

في نشر الدعوة السلفية، ومحاربة أعدائها، وممن تصدى للرد عليهم، كالنبهاني وغيره، فقد حدث أن قدم الرياض وكان يلبس عقلاً، ولعله لم يجد من حسن الاستقبال من المشايخ ما كان متوقِعاً، فعاد متأثراً، وأطلق لسانه في أمور لا تتصل بالعقيدة، ولعله نال من بعض دعائها ومناصريها، ممن تأثر منه حين عاد إلى بلدته قطر..»^(١).

وقال الشيخ أبو عبد الرحمن الظاهري - وفقه الله -: «حدثني شيخنا حمد الجاسر أن المرزوقي زار نجداً، ولم يلق قبولاً من المشايخ؛ فتكر لهم»^(٢).

قلت: وقد أرسل الشيخ ابن سحمان - رحمه الله - رسالة للمرزوقي - رحمه الله - بعد أن تنكر له، يقول فيها:

«من سليمان بن سحمان إلى الأخ محمد بن حسن المرزوقي: سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أشرفتُ على خطك الذي أرسلت إلى الشيخ سعد تقول فيه: «وَكُتِبَ سليمان إلي في مصر وعندنا يكون يوكل أحد نسلمها له، ما عاد لي شوق إلى موالاة أحد أبداً، جزى الله بالخيرات من ليس نعرف، وأما الأمر الديني فأنا عليه إن شاء الله تعالى»، فأقول: إذا كان الأمر كما ذكرت، فلا أدري ما السبب المهيّج لذلك؟ هل هو أمر ديني أو دنيوي؟ وهل هو أمر من جهتي وخاص بي، أو هو من أجل غيري؟ فإن كان من أجل غيري؛ فلا تزر وازرة وزر أخرى، وإن كان من أجلي والأمر

(١) جريدة الرياض، تاريخ ١٥/٦/١٤٢٠ هـ، مقال عن كتاب الشيخ البسام - رحمه الله - «علماء نجد خلال ثمانية قرون».

(٢) من مقدمته لكتاب «شعراء من الوشم»، للأستاذ: سعود اليوسف - وفقه الله -، ص (٣٤).

ديني، وقد حصل مني أمر يوجب قطع الموالاة من أجل ذنب ارتكبته، أو موالاة لأعداء الله ورسوله، أو معاداة للإسلام وأهله؛ فبينه لي، فإما وافقتك على ذلك وأقررت بذنبي، والرجوع إلى الحق خير من التماذي في الباطل، وإلا أجبتك عن ذلك؟ وإن كان الأمر دنيوي، فمأعلمتُ إلا أنني أكرمتك، وأنزلتك فوق منزلتك، وكنت أحبُّ وارِدَ إلينا، وأكرمُ وافِدَ علينا، فإن كنتَ رأيتَ غير ذلك منا؛ فبينه لي، وقبل ذلك لا أرضى أن يتكلم أحد في عرضك بشيء، بل أكون شجاعاً في حلقه... - إلى أن قال :-
وأما قولك: «وأما الأمر الديني فأنا عليه إن شاء الله تعالى» فأقول: إن كانت المحبة التي سبقت بيننا، والمناصرة التي سبقت بيننا، والمناصرة والمعاونة على البر والتقوى، ومعاداة من أحدث في الدين حدثاً، أو منكراً، والمساعدة على طبع ما رددنا به على أعداء الله ورسوله، ليست من الأمر الديني، فواضيعة الأعمار تمضي سهلاً! وقد خاب مسعانا، وواضيعة العمر، وإن كان الأمر الديني، فما الموجب لهذا الكلام الساقط السامع المتهافت؟ الذي لا يصدر من ذي محبة قديمة سابقة، ولا مودة أكيدة صادقة.

قلت: رحم الله الشيخين - ابن سحمان والمرزوقي -، وجمع بيننا وبينهما وإخوانهما من العلماء في مقعد صدق، عند مليك مقتدر، وقد أوردت ما سبق للفائدة العلمية.

المنظومة

الحمد لله الذي جنبنا زيغ الزائغين وانتحال الجهمية والمشركين،
والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين، وعلى آله وأصحابه
الطاهرين، أما بعد:

ففي سنة ١٣٣١هـ رأيت رائية لرافع راية الحزب الشيطاني، الملحد
الشهير بيوسف النبهاني، فإذا هي مشتملة على الإفك وخبث الانتحال،
ومدح الجهمية القبورية الضلال، وتكفير العرب الحنابلة النجديين،
وهجاء أكابر العلماء السلفيين، كمحمود شكري ومحمد عبده والأفغاني
جمال الدين، إذن تيقنت أنه خاتمة الدجاجلة الثلاثين وأنه من سُمارة
الدجال الأعور اللعين، فبادرت لنزاله في الميدان، ولو أنه الآن في خبر
كان، ليعلم حزبه أن للدين حماةً وأنصاراً، وأنه ما نال من أسفاره إلا الوزر
والعار، ولولا حذر العقاب، لما حررت له جواب.

والله المرجو أن يجزل لي الثواب، بقمع هذا الملحد المرتاب، اللهم
إياك أعبد وإياك أستعين، فيما أرجوه وأخافه من أمر الدنيا والدين.

- | | |
|---------------------------------|-------------------------------|
| ١- أقول وبسم الله أفتتح الأمرا | وأسأله التوفيق في نظمي الشعرا |
| ٢- جواباً لمن عادى الهدى ودعائه | لألقمه صخراً وأدحره دحرا |
| ٣- قبورية من كل قطر تحزبت | تؤلف أهواء وتنشرها نشرنا |

- ٤ - فحدادُ صنعا والزهاويُّ بعده
 ٥ - وكَسَمَ عطاءُ أحمدَ العظم عصابة
 ٦ - وأخسرَ منهم من غدا في حياته
 ٧ - دعيّ بني نبهان يوسف في الوري
 ٨ - حثالة أنباطٍ لقد ضل قصده
 ٩ - فدين أبي جهل لقد ظنه هدىً
 ١٠ - فجدد للجهمي رأياً ومسلكاً
 ١١ - ومن بعد سفر الزور أبدى قصيدة
- وأحمد زيني ثم من سكنوا هجراً^(١)
 بشام أتت شراً وأبدعت الوزراً^(٢)
 يروج صُفراً ثم يحسبه تَبِراً^(٣)
 لقد خاب مسعاه بديناه والأخرى
 فتبأ له بطناً وتعساً له ظهرها
 ودين ختام الرسل قد خاله كفراً
 يُحسنه نثراً وينظمه شعراً
 دعاها بجهل منه رائية صغراً

(١) حداد صنعا هو علوي بن أحمد الحداد (ت ١٢٣٢هـ)، ألف كتاباً في مناواة الدعوة السلفية سماه «مصباح الأنام...»، فرد عليه الشيخ سليمان بن سحمان - رحمه الله - بكتابه: «الأسنة الحداد في رد شبهات علوي الحداد».

والزهاوي، هو الشاعر العراقي: جميل صدقي الزهاوي (ت ١٣٥٤هـ). ألف كتاباً في مناواة الدعوة السلفية، سماه: «الفجر الصادق...». رد عليه الشيخ سليمان بن سحمان - رحمه الله - بكتاب: «الضيء الشارق...».

وأحمد الزيني، هو أحمد زيني دحلان (ت ١٣٠٤هـ)، ألف كتاباً في مناواة الدعوة السلفية، سماه: «الدرر السنية في الرد على الوهابية». رد عليه عددٌ من العلماء. ومن أفضل الردود عليه: كتاب: «صيانة الإنسان عن وسوسة دحلان» للشيخ بشير السهسواني - رحمه الله -.

(٢) كسم عطاء، هو محمد عطاء الكسم (ت ١٣٥٧هـ)، ألف كتاباً في مناواة الدعوة السلفية، سماه: «الأقوال المرضية...»، فرد عليه الشيخ سليمان بن سحمان - رحمه الله - بكتابه: «الصواعق المرسلة الشهابية...».

وأحمد العظم (ت ١٣٤٠هـ)، ألف كتاباً في مناواة الدعوة السلفية، سماه: «جلاء الأوهام...»، رد عليه الشيخ سليمان بن سحمان - رحمه الله - بكتابه: «كشف غياهب الظلام...».

(٣) الصُفر: النحاس. والتَّبَر: الذهب.

- ١٢- فضمنَّها زوراً كشاهد حقه
 ١٣- (وأعجب شيء مسلم في حسابه
 ١٤- أولئك وهابية ضل سعيهم
 ١٥- أقول فوهابية طاب سعيهم
 ١٦- يوالون ذا التقوى يعادون من غوى
 ١٧- وقد حسَّنوا التوحيد لما دعوا له
 ١٨- سلاطينهم تسدي وتلحم جهدها
 ١٩- قضاتهمو بالوحي تحكم في الورى
 ٢٠- ولم تستغث يوماً بغير إلههم
 ٢١- ولم تر في نجدٍ على الكفر واحداً
 ٢٢- فأكرم بهم من فرقة سلفية
 ٢٣- وترفض من للأشعري مقلداً
 ٢٤- وتبدي لأهل الابتداع مسبةً
 ٢٥- حنيفة الإيمان في نهج أحمدٍ
 ٢٦- وقولك سكان اليمامة أصبحوا
 ٢٧- كذبت فهم في غاية الحب والولا
 ٢٨- فسكان نجد ثم من هو مثلهم
 ٢٩- تعززه جهراً بتوقير هديه
- ومن حمقه أن قال في شعره جهراً
 غدا قلبه من حب خير الورا صفراً
 فظنوا الهدى شراً وظنوا الردى خيراً)
 فهم حكموا القرآن والسنة الغراً
 كماء الهدى لا إفك لا شرك لا أنكرا
 وقد زجروا أهل الهوى كلهم زجرا
 وتشر أعلام الهدى في الورى نشرا
 وقانون آراء فتهدمه كسرا
 ولم يجلبو للقبر نُسكاً ولا نذرا
 ولا رافضياً مع مذاهبك الأخرى
 تكفر جهمياً ومن يعبد الدهرا
 وللماتريدي دائماً تُعلن الهجرا
 وتهجرهم من غيهم أبداً زجرا
 حنابلة ما خالفت أحمداً شبرا
 قلوبهمو من حب خير الورى صفراً
 لخير الورى كانوا فما خالفوا الأمرا
 محبته من قلبهم سكنت جذراً^(١)
 فتتبعه دأباً وتشكره دهرا

- ٣٠- همو جددوا نهجاً له ولصحبه
 ٣١- وسل يمناً عنهم وسكان مكة
 ٣٢- محبة طه تلك طاعة أمره
 ٣٣- فمن لم يكن يحيا بها في حياته
 ٣٤- وقلت مقالاً لا سديداً وحجة
 ٣٥- (مسيلم الجدة الكبير وعرضه
 ٣٦- نعم كان في ذاك الزمان مسيلم
 ٣٧- ومثلهم المختار في كوفة افتري
- لما ملكوا سل كربلاء وسل شحراً^(١)
 بما هدمو من بدعة وبَنُو فخرأ
 بلا حيدة عنها يميناً ولا يسرى^(٢)
 يكن قلبه من حب خير الوري صفراً
 بنظم ونثر أشبها الروث والبعراً
 سَجاح لكل منهم الجدة الكبرى
 وأسودُ في صنعاَ وطلحة ذو الإغرا^(٣)
 غداة حكى جبريل أوحى له الأمرا^(٤)

(١) الشَّخْر: ما بين عدن إلى عَمَّان. (معجم البلدان: ٣/ ٣٧١).

(٢) يقصد الناظم بـ«طه»: نبينا محمد ﷺ.

قال ابن القيم - رحمه الله -: «وأما ما يذكره العوام أن «يس» و«طه» من أسماء النبي ﷺ فغير صحيح، وليس في ذلك حديث صحيح ولا حسن ولا مرسل، ولا أثر عن صاحب، وإنما هذه الحروف مثل: آلم، وحَم، وآلر، ونحوها» (تحفة المودود، ص ١٢٧).

(٣) أي: الأسود العنسي، أحد من ادَّعى النبوة. ومثله: طلحة الأسدي.

(٤) يلزم الناظمُ النبهانيُّ بأن هناك من ادَّعى النبوة في أماكن أخرى غير نجد؛ كالأسود العنسي باليمن، وطلحة بن خويلد الأسدي في الشام، والمختار بن أبي عبيد في العراق، فلماذا خصصت نجداً بالذم، وأغضبت عن تلك الأماكن؟ وسبب الغضب والذم واحد؟
 ومسيلم الكذاب، هو ابن حبيب اليمامي، ادَّعى النبوة زمن النبي ﷺ، حتى قتل سنة ١١ هـ على يد وحشي بن حرب - رضي الله عنه -، في حروب الردة زمن أبي بكر الصديق - رضي الله عنه -: «البداية والنهاية» (٣٤٥/٦).

والأسود العنسي، هو عبهلة بن كعب بن غوث، ادَّعى النبوة باليمن زمن النبي ﷺ، قتله فيروز الديلمي - رحمه الله - مطلع خلافة أبي بكر الصديق - رضي الله عنه -. «البداية والنهاية»، (٣٠٩/٦). وطلحة الأسدي، هو ابن خويلد بن نوفل، ارتد بعد وفاة النبي ﷺ، وادَّعى النبوة، ثم خذله الله على يد خالد بن الوليد - رضي الله عنه - وتفرق جنده، فلقق بالشام، ثم عاد إلى

- ٣٨- ففي يمن كانوا ونجد وكوفة
 ٣٩- فماذا على نجد من العيب والأذى
 ٤٠- تُعير نجدا في سجاج وزوجها
 ٤١- مسيلمة الكذاب أشرك نفسه
 ٤٢- وأنت تقول الأولياء جميعهم
 ٤٣- ومن كان ذا حبٍ لطفه وآله
 ٤٤- وتزعم أن الله في كل وجهة
 ٤٥- وترمي بني التقوى بكل رذيلة
 ٤٦- مسيلمة كل حكي لك كفره
 ٤٧- فكفرك أردى من مسيلمة إذ غدا
 ٤٨- وقولك يا أفاك إن رسولنا
 ٤٩- أشار إلى نحو العراق وكوفة
 ٥٠- متى كان في نجد الأبيرق فتنة
 ٥١- ولم يك في نجد اليمامة غير من
 ٥٢- فغوغاء مصر ثم شام وكوفة
- أغضب من نجد وترضى عن الأخرى
 بمن قد خلا من كافر عنه وازورا
 وذبك في الإسلام قد جاوز الحصر
 وقال له شطراً وللمصطفى شطراً
 تُدبر هذا الكون أجمعه طُرا
 به يعتقد غوثاً ويطلبه نصرا
 يميناً وتحتاً كان فوقاً كذا يسرى
 خصصت بني نجد بلائمة كبرى
 ووافقه قومٌ فنالوا به خسرى
 لدعوتك الشنعا بما جتته جهرا
 أشار إلى نجد بدم حوى شرا
 هما جهتا شرق لطيتنا الغرا
 بقى شرها دهرأ وآلامها عمرا^(١)
 ذكرت وكم خير بها أخلف الشرا
 همو قتلوا الأصحاب همو أضرموا النارا

=

الإسلام زمن عمر - رضي الله عنه - توفي - رحمه الله - سنة ٢١هـ. «البداية والنهاية» (١٢١/٧).
 والمختار بن أبي عبيد الثقفي، ادعى النبوة بالعراق زمن عبدالله بن الزبير، فبعث إليه أخاه
 مصعب بن الزبير، فقتله واحتز رأسه، وبعث به إلى أخيه عبدالله - رضي الله عنه - بمكة، سنة
 ٦٧هـ. «البداية والنهاية»، (٨/٢٩٢).

(١) الأبيرق تصغير الأبرق؛ وهو المكان المرتفع إذا اختلط فيه الحصا بالرمل. والمقصود هضبة
 نجد. «كلمات قضت» للشيخ محمد بن ناصر العبودي (١/٥٥).

- ٥٣- همو قتلوا صهرَ الرسول وسبّطه
 ٥٤- سيأتيك توضيحاً لما قد زبرته
 ٥٥- وأنتك دجال خدين ابنَ مُرة
 ٥٦- وقال عدو الله ممن قد انتمى
 ٥٧- (وقد عذروا من يستغيث بكافر
 ٥٨- أقول فذي أسفارهم لم تجد بها
 ٥٩- وذا الخلّة الشنعاء أنت مقرها
 ٦٠- نعم إنهم لم يستغيثوا بميت
 ٦١- وقد وجدوا ربَّ الورى جل شأنه
 ٦٢- وأما بنو نجد وهمو مثلهم
 ٦٣- تُكفر من أضحى يؤيد كافراً
 ٦٤- حكمت زماناً طال في أمة الهوى
 ٦٥- فذا بعض أهواء لديك جهارة
 ٦٦- توالون كفاراً بزّي وغيره
 ٦٧- كنائس كفار لديكم ومأتم
 ٦٨- مساجدكم معمورة بزخارف
 ٦٩- وتدعون فيها العيدروسي جهرة
- إذا كنت ذا جهل فسَلْ كُلَّ من يقرأ
 لتعلم كُلَّ الناس فريتكَ الغبرا
 فلم تر للإسلام جاهاً ولا قدراً^(١)
 لنبهان زوراً ثم عن شرعنا ازورا
 وما وجدوا للمستغيث بهم عذرا
 إغاثة ذي كفر جهاراً ولا سرا
 ونصرة أهل الكفر أنت بها أحرا
 وما وجدوا للمستغيث به عذرا
 وما أشركوا بالله سراً ولا جهرا
 فتلعنهم جهرا وتنظرهم خزرا^(٢)
 ومن كان يدعو غير من سمك الخضرا
 بقانون آراء وقد خالف الذكرا
 ولم تك في نجد جهاراً ولا سرا
 مشابهة الكفار في قومكم تترى
 وهل أحد يُنمى بنجد لها ذكرى
 ولكن من التقوى محاريبها قفرا
 وأضرابه في كل نائبة تعرى^(٣)

(١) ابن مرة: كنية الشيطان. «معجم المناهي اللفظية» للشيخ بكر أبو زيد - رحمه الله -، ص (٦٣).

(٢) خزرا: أي تنظرهم بطرف عينك.

(٣) هناك أكثر من (عيدروسي) تعظمهم الصوفية! ينظر لمعرفة كتاب الشيخ أحمد المعلم: «القبرية في اليمن»، ص (٣٨٢ وما بعدها).

- ٧٠- عبادتكم شطران لله نصفها
٧١- وحانات خمار وسوق فواحش
٧٢- فهل من يكن هذي لديه ممجدا
٧٣- وقولك يا ضليل لم يتوسلوا
٧٤- كذبت متى قالوا بأن مقامهم
٧٥- بأي كتاب قروره أبين لنا
٧٦- يقولون أفراد العبادة واجب
٧٧- وحب رسول الله وفق مراده
٧٨- توسل سكان اليمامة كلهم
٧٩- هل ارتكبوا وزراً بترك توسل
٨٠- ودجال بيروت حكى بكتابه
٨١- أهل ربنا قال استغيثوا بأحمد
٨٢- وهل قال طه للصحابة مرة
٨٣- وهل دعوة الباري بكل ملمة
٨٤- أما نزلت بالصحب جل نوازل
٨٥- فأيهم أبدى لطفه شكاية
٨٦- أيا علماء الشام من كل منصف
٨٧- وقال أخو الشيطان كذباً وفرية
- ونصفاً لعبادان صباحاً يلي عصر^(١)
لديك تراها ما ذكرت لها نُكرا
ومن قد خلا من ذاك تهجرهم هجرا
لأن لكل عند خالقه قدرا
مقام نبي الله في ذي وفي الأخرى
ولكنك الكذاب مرتدياً كبرا
على العبد لله الذي ملك الأمرا
بفعل لما مور ورفض لما ازورا
بأسماء ربي ثم قرأه دهرا
فجئنا ببرهان وفسر لنا الأمرا
فلم يستغيثوا بالرسول أبي الزهرا
بقراءه هاتوا بذات حجة غرا
ألا فاطلبوني إنني أكشف الضرا
تُحط لطفه قدره فاقضت وزرا
كما هو مشهور لدى كل من يقرا
ابن لي ببرهان ووضح لي الأمرا
أذا منكر أم يوسف قد حكى النُكرا
دعي بني نهان من حالف الغدرا

(١) عبّادان: مدينة أحوازية تقع جنوب غرب إيران. قال عنها صاحب «معجم البلدان» (٤/ ٨٣-

٨٤): «فيها مشاهد ورباطات... ويروى في فضائلها أحاديث غير ثابتة».

- ٨٨- (حنابلة لكن مذهب أحمد
٨٩- أقول فسكان الأبيرق كلهم
٩٠- فسكان نجد لم يدينوا ببدعة
٩١- وتنحل اسم الشافعي تستراً
٩٢- بدائك يا هيُّ ابن بَيِّ رميتهم
٩٣- أتدري وهل تدري الوري ابن من تكن
٩٤- تُحسن إشراكاً ونهج فلاسف
٩٥- نفاق ودهري وتقية رافض
٩٦- وحيناً تقول الأشعري إمامنا
٩٧- بحزوى تُرى يوماً وفي الهند تارة
٩٨- ومذهبكم يبدو لنا بعقيدة
٩٩- أمّن كان هذا نهجه وشعاره
١٠٠- وأبدت يا زنديق شرّ مقالة
١٠١- بدرت بأمر جدك الجهم قاله
١٠٢- ومن لم يقل رب الوري فوق عرشه
١٠٣- فقبلك جَعْدٌ ثم جهم وبشركم
- إمام الهدى من كل ما أحدثوا يبرا
حنابلة ما خالفت أحمداً شبرا
كما دنته سرّاً وأعلنته جهرا
إمام الهدى لا شك من كفركم يبرا
لكونك لا دنياً حويت ولا أخرى^(١)
فذا شرحه نبديه حالاً لمن يقرأ
وتُحيي رسومات الهوى كلها طراً
تحل بذي وقتاً وتذهب للأخرى
مع الماتريدي الخبر أكرم به حبرا
وفي يمنٍ وقتاً وحيناً ففي بُصرى
تدور مع الأهواء شهراً يلي شهرا
يعيب على نجد ويعزي لهم كفرا
بقولك رب الناس يُعبد لا يدرى
وجددت دعواه وبؤت به وزرا
غدا مشركاً قبحاً له وأتى الكفرا
وابن دؤادٍ حكموا الرأي والفكرا^(٢)

(١) هيُّ بن بَيِّ: يقال للرجل لا يُعرف من هو ولا أصله.

(٢) يُشبه الناظمُ النبهانيَّ بأسلافه من الجهمية المبتدعة الذين أنكروا صفات الله - عز وجل -؛ كالجعدي بن درهم، والجهم بن صفوان، وبشر المريسي، وابن أبي دؤاد.

أما الجعدي بن درهم فهو أول من ابتدع أن الله ما اتخذ إبراهيم خليلاً، ولا كلم موسى، وأن ذلك لا يجوز على الله. وكان شيخاً للجهم بن صفوان. قتله الأمير خالد القسري - رحمه الله - في

- ١٠٤- وقد قُتلوا والحمد لله بعد ما
 ١٠٥- وعبت على سكان نجد لقولهم
 ١٠٦- وحجتهم فيه الكتاب وسنة
 ١٠٧- إخالك لم تدر بقول إلها
 ١٠٨- ولو طالعت عينك ستّ صحاحهم
 ١٠٩- وسلمت للمنقول سالمت أهله
 ١١٠- وقلت بأن الله فوق سمائه
 ١١١- فمن كان لا يكفيه حيّ إلها
 ١١٢- وما انتحلت أصحابه ثم تابع
- بكفرانهم أفتى الألى قد علو قدرا
 على عرشه الرحمن سبحانه يُدري
 وإجماع من إجماعه حجة كبرا
 ولم تك تتلوه صباحاً ولا عصرا
 لزال الذي قد حل من قلبك الجذرا
 وواليتهم حباً وقلدتهم عشرا
 بذات وقهر فوق عرش علا قدرا
 ويغنيه ما أبداه طه لنا جهرا
 وسادة دين الله أجمعهم طُرا

يوم عيد الأضحى سنة ٩٤هـ، قائلاً: أيها الناس ضحوا، تقبل الله أضحياتكم؛ فإني مضج
 بالجعد بن درهم! ثم نزل فذبحه. ولذا قال ابن القيم في نونيته:

شكر الضحية كل صاحب سنة لله دَرَك من أخسي قربان

انظر: «سير أعلام النبلاء» (٥/٤٣٣)، و«البداية والنهاية» (١٠/١٩)، وانظر للرد على من
 حاول تضعيف قصة مقتله: رسالة «مقالة التعطيل والجعد بن درهم» للدكتور محمد بن
 خليفة التميمي - وفقه الله -.

وأما الجهم بن صفوان، فقد قال عنه الذهبي: «أس الضلالة، ورأس الجهمية، وكان ينكر
 الصفات، ويقول بخلق القرآن، ويقول إن الله في الأمكنة كلها» - تعالى الله عن قوله علواً
 كبيراً -، قتله الأمير سلم بن أحوز سنة ١٢٨هـ. انظر: «سير أعلام النبلاء» (٦/٢٦).

وأما بشر المريسي، فهو أحد المبتدعة الضلال، أخذ مقالة الجهم، ونشرها، ودعا لها، وقد
 كفره علماء عصره، وأفتوا بإباحة دمه، هلك سنة ٢١٨هـ. انظر: «لسان الميزان» (٢/٢٩).

وأما ابن أبي دؤاد؛ فهو القاضي الجهمي البغيض، كان قاضياً للمعتصم ثم للوائق، وحملهما
 على امتحان الناس بخلق القرآن، هلك من جرّاء فالج أصيب به، سنة ٢٤٠هـ. انظر: «لسان
 الميزان» (١/١٧١).

- ١١٣- فذلك زنديق نقول بكفره
 ١١٤- وقولك يا أصل الفساد وإلفه
 ١١٥- (لقد عم في هذا الزمان فسادهم
 ١١٦- أقول فهم قد عم في الأرض رشدُهم
 ١١٧- هم العرب العربا بوادي حنيفة
 ١١٨- وأيُّ فساد قد أتوه أبـن لنا
 ١١٩- فهل أشركوا بالله قطباً وصالحاً
 ١٢٠- وهل عطلوا ربّاً علا فوق عرشه
 ١٢١- وهل أولوا كالأشعرين وحيّه
 ١٢٢- وهل قبلوا رأي ابن سينا وجنده
 ١٢٣- وهل جصصوا قبراً وطافوا بقبة
 ١٢٤- وهل حسنوا فعل الروافض أم حكوا
 ١٢٥- وهل جوزوا للعيدروس تصرفاً
 ١٢٦- وهل صفقوا يوماً بذكر طريقة
 ١٢٧- وهل شربوا خمراً وللرأي حكّموا
 ١٢٨- فهذي المساوي قد تناهت بداركم
 ١٢٩- بأي دليل قلت عمّ فسادهم
 ١٣٠- وقولك يا أكار شام وثوره
 ١٣١- (رموا بضلال الشرك كلّ موحد
- بشر ونظم لا مخافة لا عذرا
 بما كنت تبديه وتشره نشر
 فما تركوا شاماً ولا تركوا مصرأ
 ودعوتُهم مصرأ وشامأ وزد شحرا
 صلاحهم قد طبّق السهل والوعرا
 ليعلمها أعلام من سكن الغبرا
 وهل ندبوهـم في شدا ئدهم جهرا
 وقالوا بأن الله يُعبد لا يُدري
 وهل هجروا قول الرسول لنا هجرا
 وهل رجحوا قولاً على السنة الغرا
 وهل نحروا للقبر أو نذروا نذراً
 لبدويّ مصر دعوةً توجب الكفرا
 وما كان في بغداد يأتونه نكرا
 كما صفق الضلال تزمـره زمرا
 أجـبني وهل سوق الفجور أتوا جهرا
 كذلك أضعاف لها فاتت الحصرأ
 فما تركوا شامأ وما تركوا مصرأ
 بما أنت مأواه وروضته الغبرا^(١)
 إذا لم تكن منهم عقيدته تبرأ

- ١٣٢- كذبت فهم ما كفروا من موحد
 ١٣٣- فهل قاله الحبر الإمام محمد
 ١٣٤- وهل نجله عبدالرحمن قاله
 ١٣٥- وهل قاله عبداللطيف برده
 ١٣٦- وهل قاله نجل لسحمان حبرنا
 ١٣٧- عقايد سكان اليمامة كلها
 ١٣٨- فما كفروا مثل الإباضي مذنباً
 ١٣٩- تكفر من يدعوا الولي لحاجة
 ١٤٠- تكفر أيضاً من أباح محرماً
 ١٤١- وقولك يا نَعَاب شام وبومه
 ١٤٢- (ومنهم سليمان بن سحمان لم يزل
 ١٤٣- نعم إنه دأباً يناضل جهده
 ١٤٤- وينظركم شزراً ويهتك ستركم
 ١٤٥- أتى كَسَمَ قِدماً وساكنُ إربل
- بأي كتاب دونوه لكي يُدرى
 إمام الهدى من جدد الشرعة الغرا^(١)
 بشرح على التوحيد أكرم به سفرنا
 على نسل جرجيس الذي جوز الكفرا^(٢)
 بأسفاره الغرا لترميهم وزرا
 مسطرة فيها وكل لها يقرى
 ولكن ذنب الشرك قالوا به كفرا
 ومن قلد الجهمي والجعد أو بشرنا
 وقد خالف الوحيين إن فقد العذرا
 لشيخ حوى مجداً وما خالف الذكر^(٣)
 يجادل أهل الحق أجمعهم طرا
 جنود بني الأهوا ومن نصر الكفرا
 وأسفاره قد أوغرت منكم الصدرنا
 ضلالات أوهام كما جتته جهرا^(٤)

(١) أي أن أئمة الدعوة من لدن الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - وأبنائه وأحفاده؛ كالشيخ عبدالرحمن بن حسن، وابنه الشيخ عبداللطيف، ومثلهم الشيخ سليمان بن سحمان - رحمهم الله - لم يكفروا الموحدين من أمة محمد، إنما كفروا أهل الشرك.

(٢) داود بن جرجيس؛ أحد دعاة القبورية الذين رد عليهم الأئمة. له ترجمة في «المسك الأذفر» (ص ٤٥٩).

(٣) النعَاب: الغراب.

(٤) الكسم: سبق أنه أحد من ناوأ الدعوة ورد عليه الشيخ ابن سحمان - رحمه الله - وساكن إربل: لم يتبين لي من هو. وإربل مدينة تقع في الجنوب الشرقي لمدينة الموصل

- ١٤٦- وحدادُ صنعا والعراقيُّ بعده
 ١٤٧- رسائل جهل أبدروها لجهلهم
 ١٤٨- وحالاً ترى من ذا الهزير نكايه
 ١٤٩- وقلتَ مقالاً زائغاً ليس مرتضى
 ١٥٠- (وَأَلْفَ كُتُباً كُلِّهَا مِنْ ضَلَالِهِ
 ١٥١- أَقُولُ فِيمَنْ الشَّيْخُ أَبَدَى عَوَارِكُمْ
 ١٥٢- فَنَالَ الْفَتَى عَمَّا بَدَأَ مِنْ عُلُومِهِ
 ١٥٣- وَأَسْفَارَ مَنْ أَبَدَى الْهَوَى مِنْ شَقَائِهِ
 ١٥٤- وَمَنْ أَنْتَ وَالْعِلْمُ الشَّرِيفُ وَفَهْمُهُ
 ١٥٥- مَتَى صَرْتَ تَدْرِي بِالْعُلُومِ وَأَهْلِهَا
 ١٥٦- وَهَلْ أَنْتَ إِلَّا شَاعِرٌ وَعَوِيلٌ
 ١٥٧- فَتَلْتَ بِهَذَا فِي الْوَرَى شَرَّ مُحَنَةٍ
- وأحمدُ زيني والبُصَيْلُ حكوا نكراً^(١)
 سليمان أرداهم وأوردهم شراً
 تعود بحول الله مندحراً دحراً
 بشعر ركيك قد غدا يشبه البعراً
 عليه غدت ناراً ونال بها خسراً)
 فأكرم به شهماً وأكرم به خبراً
 ثناء وفي الأخرى المسرة والبشرى
 ففي سَقَرٍ مأواه تسعره سعراً
 لتقدح في كُتُبِ سَمْتٍ فِي الْهَدَى الْبَدْرَا
 لتقدح في خَبَرِ حَوَى الْفَخْرِ وَالْأَجْرَا
 بكتب ضلال أو بكتب حوت سحرا
 كأشقى ثمود عندما أحدث الشرا

=

بالعراق. والذين ردَّ عليهم الشيخ ابن سحمان - رحمه الله - من أهل العراق ثلاثة: أولهم: الشاعر جميل الزهاوي، رد عليه بكتابه «الضياء الشارق...»، وثانيهم: الشيعي العاملي الحائري البصري، رد عليه بكتابه: «الحجج الواضحة...»، وثالثهم: عبدالكريم البغدادي، رد عليه بكتابه: «كشف الشبهات التي أوردها عبدالكريم البغدادي». انظر: رسالة «الشيخ سليمان بن سحمان وطريقته في تقرير العقيدة»، (ص ١٤٠، ١٤٥، ١٤٨).

(١) أي: علوي الحداد، وجميل الزهاوي الشاعر العراقي، وأحمد زيني دحلان، ومحمد بن سعيد بابصيل، وجميعهم ممن ناوا الدعوة السلفية، ورد عليهم الشيخ ابن سحمان - رحمه الله - . وقد سبق ذكر رده على الحداد والزهاوي. أما رده على بابصيل وشيخه دحلان فهو بكتاب «البيان المبدي لشناعة القول المجدي». انظر للمزيد عنه: رسالة «الشيخ سليمان بن سحمان وطريقته في تقرير العقيدة» للأخ محمد بن حمود الفوزان، ص (١٢٥).

- ١٥٨- وقال حليف السوء والغبي والهوى
 ١٥٩- (وفي قطرٍ قد ضل مثل محمد
 ١٦٠- وألف في تضليل الأنام رسالة
 ١٦١- فهل بعد هذا الزيغ يعتب مسلم
 ١٦٢- أقول نعم إنني أكفرُ من غدا
 ١٦٣- ويمدح نهجاً للفلاسفة الألى
 ١٦٤- وينكر أوصاف الكمال لربنا
 ١٦٥- فمثلك نوليهِ الضلالة والردى
 ١٦٦- لتعلم أن الحَي فيه كمأته
 ١٦٧- وأن ثغور الدين حراسه بها
 ١٦٨- وشبّهته بالهر يابن فويرة
 ١٦٩- يحدد أنياباً له وأظافراً
 ١٧٠- سأقطع من هاماتكم كل قمح
 ١٧١- وكل بني جهم وشيخ طريقة
 ١٧٢- وكم فارة بالفسق عاثت فقطعت
 ١٧٣- بأي دليل أم بأية سنة
 ١٧٤- فلستُ بخمار ولا كنتُ حاكماً
 ١٧٥- ولستُ بجهمي ولا كنتُ مشركاً
 ١٧٦- ولم أكن ذا فحش ولا إلف خنا
- وإلف التي لم يعطها أحدٌ مهراً
 إلى حسن يُعزى وقد أشبه الهرا
 فأعظم بها زوراً وأعظم بها وزراً
 إذا خاض من أوصاف تضليله بحراً
 بدنياه يدعو غير من سَمَك الخضرا
 ويختار شركاً ثم يحسبه أجراً
 كقولك إن الله يُعبد لا يدرى
 بنظم وشر لا مخافة لا عذرا
 وقد حددو للمعتدي البيضَ والسُمرَا
 فأصبح دينُ الله مرتفعاً قدراً
 فلا غرو أن المرء قد أشبه النمرا
 لقطع جلود طالما كسبت كفرَا
 بحول إله العرش أجزركم جزراً^(١)
 أبادره كتباً وألقمه صخرَا
 لها إرباً أظفارُ من تدّعه هراً
 ترى هجونا ديناً تخوض به بحرا
 بقانون آراء لترمينَا وزرا
 ولا خارجياً لا ولا زغت في المسرى
 كما نقلوا عنك الغواية والسُكرى

(١) قمح: ما خلف الرأس.

- ١٧٧- ولا رافضياً كي أضلّ دايمًا
 ١٧٨- بملة إبراهيم في دين أحمد
 ١٧٩- ولو كنتَ درزيّاً لقلتَ فذا امرؤ
 ١٨٠- وكنتَ كعُباد الصليب إذا ادعوا
 ١٨١- فلستَ على شيء من الدين واقفاً
 ١٨٢- ولكنك القس الذي لخبائه
 ١٨٣- لذلك أبديتَ الهجاء لذوي الهدى
 ١٨٤- وقال الذي لم يستحي من رذيلة
 ١٨٥- (وألفتُ في فضل استغاثتنا به
 ١٨٦- سأنيك عما قد مدحت جهالة
 ١٨٧- كتابك فيه كلُّ شرك وبدعة
 ١٨٨- به الكذب والتفليس والبدع التي
 ١٨٩- ومذهبُ جهم ثم أشياخ غيه
 ١٩٠- مباحثه كانت حكايات كاذب
 ١٩١- وراجت لدى أوباش مصر وغيرهم
 ١٩٢- فقرّضه أحبار سوء وحزبه
 ١٩٣- فلما رأى محمود شكري كتابه
- بنظم ونشر ثم تنظرنا شزرا
 جريت وما قد زغت عن ذلك المجرا
 يطالبنا وترّاً لسبط أبي الزهرا^(١)
 على دعوة الإسلام في شامكم وترا
 لذلك قد عاديته في الوري جهرا
 تجلبب بالإسلام كي يغرس الكفرا
 فحرّرتها نثراً وروجتها شعرا
 ففاه بما يستوجب المقت والوزرا
 أجلّ كتاب لم يدع للسوى عذرا)
 لأنك لا تدري اليمين من اليسرى
 شواهدُ زور وسمه في الوري أخرى
 فلاسفة اليونان تدعوا له جهرا
 عقيدتك الشنعا شرحت بها صدرا
 وأضغاث أحلام ظننت بها خيرا
 فظنوا السراب الماء والخزف الدرّا
 فتاه دعي نبهان من مدحهم كبرا
 تداركه رداً وياداره كسرا

(١) أي: لو كان النبهاني درزيّاً، لقلتُ بأنه يطلب الثأر منا لمقتل الحسين بن علي - رضي الله عنهما -! ظناً منه - كسائر الروافض - أن أهل السنة راضون بمقتله! والحق أن الرافضة هم من غدر به وخذله حتى قُتل - رضي الله عنه -. ولييان هذا يُنظر كتاب: «من قتل الحسين؟» لعبدالله بن عبدالعزيز.

- ١٩٤- وقابله نقضاً وشتت شمله
 ١٩٥- فأكرم به ليشاً جرياً غشمشماً
 ١٩٦- فكان لهذا العصر إنسان عينه
 ١٩٧- أما ظن هذا الغمر أن كماتنا
 ١٩٨- تذبُّ عن الدين الحنفي بأنفس
 ١٩٩- وقال أخو الشيطان لا بل قرينه
 ٢٠٠- (فهلا عفا عنا لذنوب بزعمة
 ٢٠١- أتدعو لشرك في مقالة ناصح
 ٢٠٢- فكيف تريد العفو عما جنيته
 ٢٠٣- فمن جال في الميدان أو حَلَّ في الحمى
 ٢٠٤- لنفسك لُـم أو فانعها بقصائد
 ٢٠٥- فأكرم بمحمود الأوسي في الورى
 ٢٠٦- فآلقمكم صخرأ بغاية رده
 ٢٠٧- فغايتة كم كسَّرت من قوائم
 ٢٠٨- كليث أبي شبلين ما قط يشني
 ٢٠٩- فتى عَطَّر الأرجاء منه فواضل
 ٢١٠- يحاكي ضياء الصبح إن عسعس الدجى
 ٢١١- به بلغ الدين الحنفي قصده
 ٢١٢- (وقولك كم قد صغت فيه قصيدة
- وعارضه بالحق والآية الكبرى
 على هالك من عادى لدين أبي الزهرا^(١)
 وناضره الرائي وآيته الغرا
 لدى الثغر دأباً لا تفارقه شبرا
 كماء الهدى لم تخش زيدا ولا عمرا
 دعي بني نهبان من نجس البحرا
 لخدمتنا روح الوجود أبا الزهرا)
 وتزعم عن جهم أتى المذهب الأحرا
 وذنك شرك ليس يُغفر في الأخرى
 سيلقى حماة البأس في حلة خضرا
 بما كسبت وزرا بما أتلفت قدرا
 وأنعم بهذا الشهم شكراً له شكرا
 وقد حَزَّ منك النحر بل قصم الظهر
 وكم شاد بيتاً للهدى وسما فخرا
 عن المطلب الجلا يميناً ولا يسرى
 فأوصافه مسك زكى عنبرا نشرا
 بعلم وفضل طَبَّق السهل والوعرا
 وقطَّب وجهُ الزيف دوماً فما افترا
 ونوعت في إمداحه النظم والنثرا

(١) الغشمشم: الجري، الذي لا يُثنيه عن مراده شيء.

وكانت على أعداء خير الورا جمرأ
 بدور علوم كل سطر حوى دُرأ
 ليُصلح ما أفسدت من جهة أخرى
 لكنت بنظم الشعر في مدحه برأ
 كما جتته جهراً وروجه شعراً
 بمنهجه يسري إذا اجتنب الوزراً
 أضلّ كتاب لم يدع لكمو عذراً
 وكانت على أعداء خير الورى جمرأ
 على ملحد بالدين والمصطفى أزرأ
 أما في بنيتها من يوسّده القبرا
 وأغرا بني الإسلام في أمة أخرى
 بدنيا وفي أخراه قد ربح الخسرى
 كشيخ منار السوء يمنحهم شكراً
 فسحقاً لهم سحقاً وخسراً لهم خسراً
 على منهج القرآن والسنة الغرا
 وأنوارهم قد عمت البر والبحرا
 فأكرم به شيخاً وأكرم به حبرا
 فصير عيش المارقين بها مُرا
 وشتت أهل الغي إذا عمهم ضرا

٢١٣- فكانت على الأجباب جنة عدنهم
 ٢١٤- شواهد حق أطلعت في سطورها
 ٢١٥- أقول لعمرى إن شعرك لم يكن
 ٢١٦- فلو أنك استهديته باتباعه
 ٢١٧- وهيهات أن يرضى بإفك وبدعة
 ٢١٨- فيجدي الفتى مدحُ الرسول إذا غدا
 ٢١٩- وما كنت قد ألفتَه في استغائة
 ٢٢٠- فغاييتنا كانت من الله نعمة
 ٢٢١- فيا أمة الهادي لقد طال صبركم
 ٢٢٢- أيهجو بني السمحاء في الشام جهرة
 ٢٢٣- فهلا هجا للشرك والغى والهوى
 ٢٢٤- وقولك يا ضليل يا أخسر الورى
 ٢٢٥- (يذم هداة المسلمين وغيرهم
 ٢٢٦- خبائث أرواح تحن لبعضها
 ٢٢٧- أقول هداة المسلمين الذين هم
 ٢٢٨- أولئك أهلٌ للمدائح والثنا
 ٢٢٩- ومنهم رشيدٌ ذو المنار وشيخه
 ٢٣٠- إمام الهدى في مصر أحرز شهرة
 ٢٣١- وقد خدم الإسلام والدين والنهى

- ٢٣٢- فشيخ الهدى يُدعى محمد عبده
 ٢٣٣- وأعلا منار الدين بعد دثوره
 ٢٣٤- فلما انقضت أيامه وحياته
 ٢٣٥- تخلف عنه في الفضائل كلها
 ٢٣٦- فذم الذي يرضى الإله بدمه
 ٢٣٧- فأنى على محمود شكري وسفره
 ٢٣٨- خبائث أرواح تحن لبعضها
 ٢٣٩- ولكنها أرواحكم ونفوسكم
 ٢٤٠- فكم بدعة أحييت وكم سنة نفت
 ٢٤١- مشايخ دجالون لا در دُرُكم
 ٢٤٢- (وقولك هم أعداء طه فبعضهم
 ٢٤٣- وقد جعلوا لي حصّةً من كبارها
 ٢٤٤- أقول لعمر الله إنك مفتر
 ٢٤٥- وهم دونكم أحباب طه ودينه
 ٢٤٦- يوالون من والى ويجفون من غوى
 ٢٤٧- وأنت الذي صيّرت دعوة غيره
 ٢٤٨- وإنك والله العظيم لصدّه
 ٢٤٩- وتدعو لدى الجال رجالاً حسبهم
 ٢٥٠- وحصتك الكبرى نعم غير أنها
- ١- به انتعشت مصرٌ به قد سمت قلداً^(١)
 ولم يخش فيما قال زيداً ولا عمرا
 وراح إلى دار الخلود له البشري
 رشيدُ الرضى تلميذه من علا البدرا
 ومن يستحق المدح أسدى له خيرا
 ومن يتق الأهواء يمنحه شكرا
 نقول فذا حق به خبرٌ يُدرى
 فسحقاً لها سحقاً وخسراً لها خسرا
 وكم نشرت شراً وكم روجت كفرا
 مفاسدكم قد عمّت البر والبحرا
 عداوتهم كبرى وبعضهم صغرا
 لما علموا من حبه حصتي الكبرى
 على فئة هم حبه هم به أحرى
 وهم شيدوا الإسلام شدوا له ظهرا
 ولم يطلبوا من غيره النفع والضرا
 من البر ترجو أن تنال به أجرا
 لكونك جهمياً ومن يعبد القبرا
 وهم تحت أطباق الثرى ملكوا الأمرا
 لقد كبرت إثماً فزدت بها خسرا

(١) سبق في المقدمة بيان شيء من انحرافات محمد عبده ومدرسته العقلية بمصر.

كذلك النصارى إذ دعو مريم العذرا
ومن عبَد المخلوق قبحاً له دهرها
من الدين بل نالوا المذلة والخسرا
لواليت قرآنأً وستته الغفرا
لقدمت ما يرضى وقبلته عشرا
لجانبت مَنْ للاعتزال غدا حبرا
لأوليتهم حمداً وواليتهم جهرا
لقلت بني نجد سمو في الهدى البدرا^(١)
لقلت هم الأخيار كانوا بلا إمرأ
ولست بنبهاني بطنأ ولا ظهرا
تُكفر قوماً أيدوا دينه نصرا
نرى حبهم وزراترى بغضهم أجرا
تُنفّر عنهم كل من سكن الغبرا
تقول بني نجد أنت كل ما ازورا
وما جاء من غي وما قاله شعرا
وقد أورثوهم عنهم الزور والوزرا)
وحكم قانوناً وبالدين قد أزرى
فصار شقي القوم أرفعهم قدرا
علينا وساموا ديتنا الخسف والخسرا

٢٥١- يهود عُزير قد غلت بنبيهم
٢٥٢- وإخوانك الأرفاض في الآل قد غلو
٢٥٣- ولم يظفروا في ذي المحبة ذرة
٢٥٤- ولو كنت ذا حب لدين إلها
٢٥٥- ولو كنت ذا حب لطفه وهديه
٢٥٦- ولو كنت حقاً لابن إدريس تابعاً
٢٥٧- ولو كنت من نبهان أصلاً ومولداً
٢٥٨- ولو كنت من نبهان بطنأ ومحتدا
٢٥٩- ولو كنت من أتباع سنة أحمد
٢٦٠- إخالك يادجال من عنصري الردى
٢٦١- بأي دليل أم بأي شريعة
٢٦٢- بأي دليل أم بأية سنة
٢٦٣- بأي دليل أم بأية حجة
٢٦٤- بأي دليل أم بأي شريعة
٢٦٥- وقال عدو الله في هذيانه
٢٦٦- (ضعاف النهي أعراب نجد جدودهم
٢٦٧- ضعاف النهي من جانب الوحي جهده
٢٦٨- ضعاف النهي من أسكنوك بدارهم
٢٦٩- ضعاف النهي من وازر الغي والهوى

- ٢٧٠- ضعاف النهي من أعلن الخمر والخنا
 ٢٧١- ضعاف النهي من طاف حول قبورهم
 ٢٧٢- لصاحب عبّادان أو بدويكم
 ٢٧٣- كبار الحجبى أهل النهى أهل نجدنا
 ٢٧٤- ففي كل قطر كل أروع وارث
 ٢٧٥- وقد ملكت خير البلاد جدوذهم
 ٢٧٦- وهذا بإقرار الغوي بفضلهم
 ٢٧٧- فماذا يقول الواصفون بوصفهم
 ٢٧٨- فخذ طعنة نجلاء من يد فارس
 ٢٧٩- ودونك عقداً يُخجل النظم نظمهُ
 ٢٨٠- بديهة فكر قد حوت كل معجز
 ٢٨١- وناظمها ذوا الفقر ذاك محمد
 ٢٨٢- إلى قطرٍ يُعزى وذاك عرينه
- ولم تَرَمْنَهُم من تصدى لها نكرا
 ولمثلهم قد جَوَزَ النذر والنحرا
 وجيليُّ بغداد ومن سكنوا القبرا^(١)
 أجلّ الورى ديناً وأعظمهم قدرا
 لآباء صدق قبله فتحوا القطرا
 وما رهبوا قتلاً وما رهبوا أسرى
 كما قاله نظماً برائية صغرى
 وقد أعجزت أو صافنا النظم والشرا
 تمزق منك النحر والهَامَ والظهرا
 وخوداً أرضت منك القبول لها مهرا
 لأعدائه إذ أججت في الحشا جمرا
 سلالة مرزوق وقد ألف الكرا
 وقد حلّ قدماً من محافلها الصدرا

(١) البدوي هو الصوفي الشهير الملقب عندهم بالسيد (!) أبو العباس أحمد البدوي، ولد بمدينة فاس بالمغرب، ثم رحل أبوه إلى مكة سنة ٦٠٣هـ، وعمره إذ ذاك سبع سنين، وكان لكثرة ما يتلثم لُقّب بالبدوي، اعتزل الناس ولازم الصمت، ثم سافر إلى العراق، ثم إلى مصر، حيث استقر في طنطا، وفيها هلك سنة ٦٨٦هـ. انظر: «جمهرة الأولياء» للمنفوي (٢/٢٣٧). ولمعرفة حقيقة دعوته، وأنه رافضي متستر بالتصوف؛ لنشر التشيع في مصر، انظر: «السيد البدوي - دراسة نقدية» لعبدالله صابر، و«السيد البدوي ودولة الدراويش في مصر» لمحمد فهمي عبداللطيف. و«جيلي بغداد» هو الشيخ عبدالقادر الجيلاني، المتوفى (سنة ٥٦١هـ). انظر لبيان حاله، ومعرفة أكاذيب الخرافيين عليه: رسالة «الشيخ عبدالقادر الجيلاني وآراؤه الاعتقادية والصوفية - عرض ونقد» للدكتور سعيد بن مسفر القحطاني - وفقه الله -.

- ٢٨٣- فتى لا يداري في أمور كثيرة ولا يثني عجزاً لخطبٍ علا قدرا
 ٢٨٤- وقد زایل الأهوال حتى أبادهـا وكافحها دهرأ وناظـلها فكرا
 ٢٨٥- وكم فل جمعاً أشبهوك بغـيهم وشتت شملاً من ذويك حكوا وزرا
 ٢٨٦- كمن كان في البحرين مائل فارة وفي هجر قومٍ لثام أتوا شرا^(١)
 ٢٨٧- وكالفارسي الغمر أحمد من غدا يناضل جهلاً في الكويت فما برأ^(٢)
 ٢٨٨- فلم لا هجار ستاق مع قطر كوهج لما قلدوا جهماً لما ابتدعوا نكرا^(٣)

(١) لعله يقصد شرف اليماني، نزيل البحرين، وإمام وخطيب أحد جوامعها، الذي ردّ عليه الشيخ ابن سحمان - رحمه الله - بكتابه: «تأييد مذهب السلف وكشف شبهات من حاد وانحرف، ودعي باليماني شرف». (انظر: الشيخ ابن سحمان وطريقته في تقرير العقيدة، ص ١٢٦)

ومما يرجح هذا: قول المرزوقي في تقريره لكتاب الشيخ ابن سحمان «كشف الشبهتين»:

وفاسق كان بالبحرين قلدهم في يوم عيد هذا من غير ما فكر

ومعلوم أن شرف اليماني هاجم دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في خطبة يوم العيد، انظر: «الدرر السنية» (١٢/ ٥٠٤).

وقوله: «وفي هجر..» لعله يقصد بعض آل المبارك «الأشاعرة» سكان الأحساء، الذين رد عليهم ابن سحمان. (انظر المصدر السابق، ص ١٤٠). ومما يرجح هذا: قول المرزوقي في تقريره لكتاب «كشف الشبهتين» للشيخ ابن سحمان:

آل المبارك قوم السوء في هجر لثام طبع عداة الدين والأثر

انظر: الطبعة الأولى من «كشف الشبهتين»، (ص ٨٣).

(٢) لم يتبين لي من هو. ويوجد في علماء الكويت المعاصرين للمرزوقي: الشيخ أحمد الفارسي. انظر: «علماء الكويت وأعلامها» للأستاذ عدنان الرومي، ص (٢٣١-٢٤٥).

(٣) رستاق، وكوهج: قرستان من قرى الساحل الشرقي للخليج.

جاء في كتاب «تاريخ لنجة» للأستاذة كاملة القاسمي (٩٢٢/٢) أن رستاق «قرية متوسطة» تتبع لنجة. وجاء في كتاب «تاريخ لنجة» للأستاذ حسين العباسي (ص ٤٧ و ٥١) أن كوهج: «مهد العلم والتعليم في تلك الديار»، تتبع منطقة بستك القريبة من لنجة. وقال الأستاذ محمد غريب حاتم عنها: «اشتهرت قرية كوهج بمدارسها الدينية». (تاريخ عرب الهولة، ص ١٦٧)

- ٢٨٩- فيا من سكانا عند يوسف خفية
 ٢٩٠- دهاه لدى الميدان قاصمةُ البلا
 ٢٩١- ألافابزوا جهراً لجند بني الهدى
 ٢٩٢- فيا أيها المغرور ذو الجهل والهوى
 ٢٩٣- أولاء أتوما قد حكيتَ تعمدا
 ٢٩٤- فردك أهلُ الحق في كل بدعة
 ٢٩٥- وقد علمَ الأقوامُ في كل موطن
 ٢٩٦- ولستَ بكفٍ أن تُجاب بكلمة
 ٢٩٧- هجوتَ بني التقوى لشهوة من غوى
 ٢٩٨- أصبتَ بداء لا يفوت من الردى
 ٢٩٩- ومن كال مُدَّ الشر نجزيه جهرة
 ٣٠٠- لصُغراك بين الناس خُذها عجالة
- فيوسفُ كالعنقاء تُذكر لا تُدرى^(١)
 فعاد حقيراً خائباً نائلاً خُسرَى
 لتوردكم حتفاً وتجزركم جزرا
 دعي بني نهبان من جوز الكفرا
 وزدتَ عليهم في فظائعك الأخرى
 بمحكم قول الله والسنة الغرا
 بأنك فائرٌ لا تساوي ولا بَعرا
 لكونك لا علماً حويت ولا قدرا
 فذق غَمَّ ما أبديت من فكرهم دهرأ
 فهيئات أن تلقى لما قلتَ عذرا
 على المُدَّ أصواعاً ونُسلفه عشرا
 وإن لم تب عنها ترى الآية الكبرى

تمت، والحمد لله رب العالمين

* * *

(١) لعله يقصد: يوسف بن شبيب الذي رد عليه الشيخ ابن سحمان بكتابه «كشف الشبهتين».

الحمد لله الذي جنبنا زيف الزننين وانتحال الجهمية . والمشركين * والصلاة
والسلام على سيدنا محمد خاتم النبيين * وعلى آله واصحابه الطاهرين * اما
بعد ففي سنة ١٣٢١ هـ رأيت رائية لرافع الراية الحزب الشيطاني * الماحد
الشهير يوسف النبهاني * فاذا هي مشتملة على الافك و خبث الانتحال *
ومدح الجهمية القبرورية الضلال * وتكفير العرب الخبايا النجديين *
وهجا لأكابر العلماء السابقين * كمحمود شكري ومحمد عبده والافقاني
جمال الدين اذا آتيت انه خاتمة الدجاجلة الثلاثين * وانه من سماوة الدجال
الاعور اللعين * فبادرت لنظاله في الميدان * ولو انه الآن في خبر
كان . ايلم حزبه ان للدين حماة وانصار * وانه ما نال من اسفاره الا
اوزر والمار * ولولى حذر المقاب * لما حررت له جواب *
والله المرجوا ان يجزل لي النواب * بقمع هذا الماحد المرتاب اللهم
اياك ابعد واياك استعين * فيما ارجوه واخافه من امر الدنيا والدين

﴿ ٤٤ ﴾

و كم قل جما اشبهوك بغيرهم و شنت سلا من ذويلك حكو اوزرا
 كن كان في البحرين ما تل فارة و في هجر قوم لشام اتوا سرا
 و كالفار سني النمر احمد من غدا يناضل جهلا في الكويت فما برا
 فلم لاهجآ رستاق مع قطر كرمج لما قلدوا جهما لما ابتدعوا نكرا
 فيا من شكنا عند يوسف خفية فيوسف كالغناء تذكر لا يدري
 دهاه لدى الميدان قاسمة البلا فماد حقيرا خائبا نا ئلا خسري
 الافا برزوا جهرا لجند بني الهدى لتورد كم حتما و تبرزكم جزرا

فيا ايها المفروز ذو الجمل والهو دعي بني نهان من جوز الكهرا
 اولاء اتو ما قد حكيت تعدا وزدت عليهم في فضائك الاخرى
 فردك اهل الحق في كل بدعة بحكم قول الله والسنة الترا
 و قد علم الاقوام في كل موطن بانك فار لا تساوي ولا بمرأ
 واست بكفوان تجاب بكلمة لكنك لا علاما حويت ولا قدرا
 هجوت بني التقوى لشهوة من غوى فذق فم ما ابدت من فكرهم دهرأ
 اصبت بداه لا تغوت من الردى فبهات ان تلقى لما قلته عذرا
 ومن كال مد الشر نجزيه جهرة على المد اصواغا و نسلفه مشرا
 لصنراك بين الناس خذها عجلة وان لم تب عنها ترى الآية الكبرى

محمد بن حسن المرزوقي القطري

الضوء القرآني والسني على عقيدة النبهاني

لفضيلة الشيخ
عبدالقادر حبيب الله السندي
- رحمه الله -

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى. وبعد:
فلقد كنت حررت بعض الملاحظات الخفيفة على كتابة محمد حسن بن علوي بن عباس، تلك الكتابة التي كتبها مدحاً، وثناءً على محمد زاهد الكوثري، وأحمد زيني دحلان، وكنت قد بينت بعض حال المذكورين في مقال متواضع نشرته مجلة الجامعة الإسلامية الغراء في عددها الثالث من السنة السابعة، وهو بعنوان: (عرض ونقد لما كتبه محمد علوي مالكي حول الكوثري، والدحلان).

وكنت قد نفيت في المقال المذكور معرفتي لبقية الرجال الذين ترجم لهم، وهم الذين تتلمذ عليهم والده علوي بن عباس، أو كانت له بهم صلة علمية، إلا أنني قد أمعنت النظر مرة ثانية فيما كتبه محمد علوي في رسالته «إتحاف ذوي الهمم العلية برفع أسانيد والدي السنية» المطبوعة بدمشق الشام في عام ١٣٨٧هـ؛ فوجدت رجلاً آخر قد ترجم له في رسالته المذكورة؛ وهو «يوسف بن إسماعيل بن حسن النبهاني الشامي» صاحب «كتاب شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق»، ذلك الكتاب الذي رد عليه العلامة الإمام محمود شكري الألوسي في كتابه البارع العظيم «غاية الأمان في الرد على النبهاني»، هذا الكتاب المبارك الذي يقول عنه شيخنا العلامة الشيخ محمد بن عبدالله بن سبيل النائب للشئون الدينية بالمسجد الحرام، وإمام الحرم المكي - متعنا الله بحياته -

ناقلاً عن العلامة الشيخ رشيد رضا: غاية الأمانى في الرد على النبهاني، كتاب مؤلف من سفرين كبيرين لأحد علماء العراق الأعلام، المكنى بأبي المعالي الحسيني السلامي الشافعي، رد فيها ما جاء به النبهاني في كتابه شواهد الحق، من الجهالات، والنقول الكاذبة والآراء السخيفة، والدلائل المقلوبة في جواز الاستغاثة بغير الله تعالى، وما تعدى به طوره في سب أئمة العلم، وأنصار السنة، كشيخ الإسلام ابن تيمية، إلى أن قال: وفي هذا الكتاب ما لا أحصيه من الفوائد العلمية، في التوحيد، والحديث، والتفسير، والفقه، والتاريخ، والأدب، وما انفرد به بعض المشاهير، فأنكره العلماء عليه؛ كالإنكار على الغزالي وابن عربي الحاتمي وغيرهما، فعلى هذا الكتاب نحيل الذين يكتبون إلينا في الشرق والغرب يسألوننا أن نرد على النبهاني، وكذا من اغتروا بقوله، ونقله، وظنوا أن قولنا في الاعتذار عن عدم قراءة كتبه، والرد عليها، أنه لا يوثق بعلمه، ولا نقله، هو من قبيل السب، حاشا لله، ما هو إلا ما نعتقه فيه أو في كتبه بعد النظر في بعضها، ورؤية ما فيها من الأحاديث الموضوعة، والنقول المكذوبة، والاستنباطات الباطلة، ممن جعل نفسه بالاستنباط مجتهداً وهو ينكر الاجتهاد ويعترف بأنه ليس أهلاً له. اهـ^(١).

قلت: ولقد وجدت محمد علوي مع وجود كلام أهل العلم في النبهاني قد أثنى عليه في رسالته المذكورة ثناءً عطرًا، ووصفه بأوصاف كبيرة، ولقبه باللقاب ضخمة، وهو بعيد عنها بُعد المشرق من المغرب،

(١) «غاية الأمانى في الرد على النبهاني»، (١/ ١٠).

فلما كان هذا الشئ العظيم، والوصف مخالفاً للواقع، وتأيداً له في طعنه في أئمة الدعوة المحمدية من السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين في النهج القويم، والصراط المستقيم، والعقيدة الصافية النقية؛ كالإمام شيخ الإسلام ابن تيمية، وتلميذه الرشيد البار الإمام ابن قيم الجوزية، ومن معهم إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها؛ كالإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمهم الله تعالى؛ أحببت أن أبين بعض حال النبهاني وما كان عليه من سوء الحال وشنيع المقال، مع بيان منزلته العلمية، وما قام به من الطعن في دعوة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، ونشره الكفر الصريح، والضلال المبين، والبدع المذمومة بجميع أنواعها، ناقلاً ذلك عن كتابه شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق، ليس ذلك تشنيعاً على أحد أو شماتة فيه، ولكن بياناً للحق - إن شاء الله تعالى -، ورفعاً لشأن الدعوة المحمدية، ونشرها، ودفاعاً عن الإسلام وعن دعوته الكريمة السامية.

ولقد وُجد في رسالة محمد علوي ملاحظات أخرى ضرورية، وهي خطيرة جداً، سوف أتعرض لها - إن شاء الله تعالى - فيما بعد في حلقات مسلسلة؛ بياناً للحق وتوضيحاً له، وأداء للأمانة العلمية، وتبرئة للذمة أمام الله تعالى، الذي أخذ الميثاق والعهد على أهل العلم بتبليغ الحق وتفسيره أمام الخلائق، مع دعائي وتضرعي إلى الله جل وعلا أن يجعلنا وسائر أهل العلم من دعاة الحق وأنصاره، وأعوانه، حتى نلقى الله تعالى بقاء كريم مُرضٍ. فإن وفقت في هذه الكتابة بإصابة الحق والصواب؛ فهو محض كرم وفضل وتوفيق من الله تعالى، وإن كان غير ذلك فهو من

نفسى، ومن الشيطان، فلا حول ولا قوة إلا بالله تعالى، وهو حسبي ونعم الوكيل.

قال محمد حسن في رسالته المذكورة مترجماً للنبهاني: العلامة أبوالمحسن يوسف بن إسماعيل بن حسن النبهاني، الشامي، الشافعي مذهباً، المولود سنة ١٢٦٦هـ والمتوفى ١٣٥٠هـ، حسان آل البيت، وبوصيري عصره، الشاعر، المفلق، الذائع الصيت، محب آل البيت، متمكن في اللغة العربية، والفنون الأدبية، مداوم المطالعة، ولم يشتغل بالتأليف في العلوم الأدبية مع تبحره فيها، بل اقتصر على المدائح النبوية، والموضوعات الدينية، وأول ما ظهر من مؤلفاته «الشرف المؤبد لآل سيدنا محمد»^(١).

قلت: لا يوافقكم أهل العلم العاملون بالكتاب والسنة وإجماع الأمة ممن عَرَفُوا هذا الرجل معرفة جيدة بتشبيهكم له بحسان بن ثابت الأنصاري شاعر رسول الله ﷺ، الذي نافح عن رسول الله ﷺ، وعن رسالته السامية المخرجة من ظلمات الشرك والبدعة إلى نور العلم الصحيح، والتوحيد الخالص، والعقيدة الصافية النقية، قال الحافظ: وفي الصحيحين من طريق سعيد بن المسيب قال: مر عمر رضي الله تعالى عنه على حسان في المسجد وهو ينشد الشعر فلحظ إليه، فقال: كنت أنشد وفيه من هو خير منك، ثم التفت إلى أبي هريرة فقال: أنشدك الله أسمعت النبي ﷺ يقول: أجب عني، اللهم أيده بروح القدس؟ وقد أخرج

(١) «إتحاف ذوي الهمم العلية»، ص (٢٦-٢٧).

الشيخان أيضاً من حديث البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ قال لحسان: «أهجهم - أو هاجهم - وجبريل معك».

وقال الإمام أبوداود في سننه: حدثنا لوين، عن ابن أبي الزناد عن أبيه، عن هشام بن عروة^(١)، عن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ كان يضع لحسان المنبر في المسجد يقوم عليه قائماً يهجو الذين كانوا يهجون النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «إن روح القدس مع حسان مادام ينافع عن رسول الله ﷺ»^(٢).

قلت: فهذه الأحاديث نص صريح على أنه ﷺ رضي بشعر حسان ووافقه على ما دعا إليه؛ من تقوية العقيدة الإسلامية، وهجاء الكفار المعاندين لدعوة رسول الله ﷺ في شعره، فدعا له ﷺ بالتأييد، والتوفيق والسداد.

فأين منزلة هذا الصحابي الجليل المؤيد بدعوة رسول الله ﷺ له، من منزلة النبهاني الذي قضى حياته كلها تقريباً في معارضة الدعوة المحمدية، وهي دعوة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام؟! كما سوف يأتي ذلك مفصلاً إن شاء الله تعالى.

كفى النبهاني كفراً بواحاً، ومعصية كبيرة، ومخالفة صريحة لرسول الله ﷺ ولدينه المتين ونظامه الرفيع أن يرأس في آخر حياته محكمة الحقوق المدنية ببيروت، وهي محكمة مدنية، لا دينية، لا يخفى حالها

(١) في الأصل عن أبي الزناد وفي السنن (٣٠٤/٤): حدثنا ابن أبي الزناد عن أبيه عن عروة وهشام عن عروة اهـ. الناشر.

(٢) «الإصابة» (١/٣٢٦).

السيء ونظامها اللعين المخالف لكتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ.

قال الأستاذ عمر رضا كحالة - عن النبهاني -: «تولى القضاء في قصبة جنين من أعمال نابلس، ورحل إلى القسطنطينية. وعين قاضياً بكوي سنجق من أعمال ولاية الموصل، فرئيساً لمحكمة الجزاء باللاذقية، ثم بالقدس، فرئيساً لمحكمة الحقوق ببيروت»^(١).

وقال الأستاذ خير الدين الزركلي: «قال صاحب معجم الشيوخ: للنبهاني كتب كثيرة خلط فيها الصالح بالطالح، وحمل على أعلام الإسلام؛ كابن تيمية وابن القيم حملات شعواء، وتناول مثل الإمام الألوسي المفسر، والشيخ محمد عبده، والسيد جمال الدين الأفغاني، وآخرين، ورد عليه محمود شكري الألوسي في غاية الأمان في الرد على النبهاني، والثاني الآية الكبرى على الرائية الصغرى»^(٢).

قلت: كيف هو محبُّ آل البيت النبوي ويرأس في آخر حياته محكمة الحقوق المدنية ببيروت؟! يقول العلامة الألوسي بعدما نقل عنه العقائد الفاسدة الكفرية؛ كعقيدة وحدة الوجود والاتحاد والحلول. قال رحمه الله تعالى: «هذا حال النبهاني في عقائده، وجهله في العلوم العقلية والنقلية أشهر من أن ينه عليه؛ كما ستعلمه إن شاء الله تعالى، لكن بقي علينا بيان حاله وما هو عليه إلى اليوم من أفعاله، وأعماله، وحيث أنني لم أقف على حقيقة أمره - وإن كان ما نشره من الكتب تطلعنا على حلوه

(١) «معجم المؤلفين» (١٣/ ٢٧٥-٢٧٦).

(٢) «الأعلام» (٩/ ٢٢٩).

ومره - سألت عنه بعض الأفاضل من الأصحاب ممن رآه واجتمع به، وعرف ما عنده من الفصول والأبواب، فكتب كلاماً طويلاً فيه، وعرفني بظاهره، وخافيه، فمن ذلك قوله: أن النبهاني قد قضى شطراً من عمره في المحاكم النظامية، وتسمى أيضاً بالمحاكم القانونية، ثم ذكر كلاماً طويلاً في بيان حال تلك القوانين، وما فيها من المخالفة لقواعد الدين، ثم قال: إن النبهاني تولى رئاسة الجزاء في بيت المقدس عدداً كثيراً من الأعوام، وبين حقيقة هذا المنصب وما يتعاطاه الرئيس من الأحكام، قال: ثم تحول إلى رئاسة محكمة البداية في بيروت، وبين ما يرى في هذا المحل من الوظائف والمواد، ثم قال: وإن أوهم البيوت لبيت العنكبوت.

قلت: إن كان صادقاً عليه ذلك المقال، يكون تائهاً في أودية الجهل والضلال، فكيف يدعي الإيمان فضلاً عن دعواه المحبة لسيد ولد عدنان، وهو معرض عن هديه، وسنته، ناءٍ عن العمل بشريعته؟! فهلا قرأ قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [المائدة: ٤٥]، ﴿وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [المائدة: ٤٧] (١).

قلت: فليقارن بين ما ادّعى من المحبة لرسول الله ﷺ ولآله، وبين ما تولى من المناصب الهامة في تلك المحاكم القانونية المدنية المخالفة لما جاء به رسول الله ﷺ، من النظام العادل الموافق للطبيعة البشرية جمعاء، فعجباً لهذه المحبة المزعومة، ودعوى صاحبها الطويلة

(١) انظر: «غاية الأمانى» (١/ ٥٣).

العريضة، وهو بعيد عنها بُعد المشرقين عن المغربيين، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

وأما البوصيري؛ فهو محمد بن سعيد البوصيري الشاعر، فلم يكن من أهل العلم ولا البصيرة^(١)، وكان يعاني من الكتابة، كما حكى ذلك العلامة ابن العماد في (شذرات الذهب)، والصفدي في (الوافي بالوفيات)، وابن شاكر الكتبي في (فوات الوفيات) وغيرهم من أهل العلم رحمهم الله تعالى، فما له معروف عندهم، وهو صاحب قصيدة (البردة)، وأكثر شعره مخالف لدعوة الكتاب والسنة، وإجماع الأمة، وكانت وفاته في مصر في القرن السابع في بوصير، قرية من قرى مصر، وليست له منزلة علمية كبيرة، فلا بأس أن تُشبهوا النبهاني به؛ لأنهما وقفاً موقفاً واحداً، يحاربان دعوة رسول الله ﷺ، تلك الدعوة الكريمة التي لأجلها أودى رسول الله ﷺ أشد الأذى من قريش، وانجرحت قدماء بالطائف، فهاجر لأجلها من مسقط رأسه ﷺ مكة المكرمة إلى المدينة المنورة، فلقي في سبيل نشرها ما لقي من ألوان المتاعب والمصاعب، التي لا نظير لها في تاريخ الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، ولأجلها سقطت ثنيته في غزوة أُحُد. وقد يكون حال البوصيري المذكور أحسن بكثير من حال النبهاني الذي ذهب مذهباً بعيداً جداً، وقد نقله عنه الشيخ محمود شكري الألوسي في كتابه (غاية الأمان في الرد على

(١) إنما اشتهر بقصيدته الشهيرة «البردة». ينظر لبيان القوادح العقدية التي اشتملت عليها: مقال:

«قوادح عقدية في بردة البوصيري»؛ للدكتور عبدالعزيز آل عبد اللطيف. (مجلة البيان، عدد

النبهاني)، إذ قال رحمه الله تعالى: «الأمر السابع من تلك الأمور: أن من علم حال النبهاني وما هو عليه من المعرفة، وما يعتقده من العقائد، ويراه من الآراء، لم يلتفت إلى ما ذكره في كتابه الذي سماه (شواهد الحق)، ولا غيره من هذيانه الصريح، فإن الرجل جاهل - كما ستعلمه من رد كتابه هذا -، سقيم الفهم بإخبار العدول الثقات، ورواية الصادقين من الرواة، وما نشره من هذيانه، أعدل شاهد على ذلك، وأصح دليل على ما هنالك، فضلاً عما ذكره فيه جهابذة العصر الذين رأوه، وخالطوه، وعرفوا حاله، وشاهدوا أعماله، ومع ذلك نذكر كلام بعضهم فيه، ليحمد الله من عوفي من شقائه، وعضال دائه.

قال العلامة السيد الفاضل السيد بدر الدين الحلبي في كتابه (الإرشاد والتعليم) عند ذكره مقالات الأمم - ما نصه: ومن شنيع مقالاتهم في الإسلام قولهم: إن النبي ﷺ لا يخلو منه زمان ولا مكان، يريدون بذلك أنه ما من زمان إلا وهو فيه موجود، ولا من مكان إلا وهو فيه موجود، قال حفظه الله تعالى: وهذه المقالة الشنيعة لم نرها لأحد من المتكلمين المتقدمين منهم والمتأخرين، ولا رأيناها في كتب العقائد، ولا كنا نظن أحداً يقول هذه المقالة الشنيعة، وإنما ذكرها يوسف بن إسماعيل النبهاني البيروتي صاحب الكتب الكثيرة في الأدعية والصلوات، في منظومة له سماها (طيبة الغراء)، ناقلاً لها عن البرهان الحلبي.

ثم أجابه الشيخ محمود الألوسي بقوله: ويا ليت شعري، أي دليل قام عند هذا الذي قال هذه المقالة الشنعاء حتى قال بها؟! هل تلا في ذلك آية منزلة من كتاب الله تعالى، أو حديثاً صحيحاً من سنة رسول الله ﷺ؟!!

إن قال ذلك، فقد كذب وشهد على نفسه بالكذب، أو ساق الدليل الذي أورده المتكلمون على أن الباري جل شأنه لا يحويه زمان ولا مكان في النبي ﷺ، فحكم له بما حكم به للباري جل وعلا، فهو عين الشرك الصريح، ومثل هذه العقائد الفاسدة الباطلة الكاذبة يلقيها أهل الغفلة من المتممين للعلم في آذان العامة، فتصادف منهم قبولاً، وتجتمع عليها قلوبهم حتى يصير من المتعذر نزعها من أذهانهم، وربما كفروا من أنكرها عليهم، ورأوا أن إنكار ذلك نوع من الإلحاد في الدين، واستخفاف بصاحب الشريعة المطهرة ﷺ اهـ.

قلت: هذه عقيدة أهل الحلول والاتحاد، وهم القائلون بوحدة الوجود، وإمامهم في ذلك محي الدين ابن عربي الحاتمي المكي صاحب فصوص الحكم والفتوحات المكية وغيرها من الكتب الكفرية، وهو القائل: سبحان من أظهر الأشياء وهو عينها، وقال عبدالكريم الجيلي: إن النصارى لم يكفروا بأصل الحلول، وإنما كفروا بالحصص الذي تضمنه كلامهم، إن الله هو المسيح لا غيره من الأشياء، ولو عموماً لم يكفروا. وهذا الكلام مما تقشعر منه جلود المؤمنين، نقول: فقول النبهاني إن النبي ﷺ لا يخلو منه زمان ولا مكان ناقلاً ذلك عن البرهان الحلبي هو من شُعب ذلك الوادي.

وهناك بوصيري آخر، وهو إمام أهل الحديث في عصره، وهو الإمام العلامة أحمد بن أبي بكر بن إسماعيل بن قايماز عثمان بن عمر الكتاني المحدث شهاب الدين، ولد في محرم سنة ٧٦٢هـ، سمع الكثير من البرهان التنوخي، والبُلُقيني، والعراقي، والهيثمي، وحدث، وخرَّج،

وألف تصانيف حسنة، منها زوائد سنن ابن ماجه على الكتب الخمسة، وزوائد سنن البيهقي الكبرى على الكتب الستة، وزوائد المسانيد العشرة على الكتب الستة، وهي مسند الطيالسي، ومسند مسدد بن مسرهد، والحميدي، والعدني، وابن راهويه، وابن جُميع، وابن أبي شيبة، وعبدُ بن حميد، وابن أبي أسامة، وأبي يعلي، ولم يزل مكباً على كتب الحديث وتخرجه إلى أن مات رحمه الله تعالى في محرم سنة أربعين وثمانمائة، قاله الحافظ تقي الدين بن فهد المكي. فإن أردتم تشبيه النبهاني بهذا الحافظ فلا يرضى أحد من أهل العلم بالحديث، فأرجو أن يكون قصدكم بالبوصيري محمد بن سعيد الشاعر المعروف!

وأما قولكم في حق النبهاني: متمكن في اللغة العربية، والفنون الأدبية، مداوم المطالعة، ولم يشتغل بالتأليف في العلوم الأدبية مع تبحره فيها.

قلت: ليس الواقع كما ذكرتم، بل الشواهد والحقائق التي سوف أنقلها لكم من كلامه في كتابه الذي سماه (شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق)، ترد عليه ردّاً قاطعاً، فتجعله إنساناً لم يشم رائحة العلم، أو عنده علم إلا أنه خالف طريق العلم الصحيحة، عناداً وتكبراً وزوراً وبهتاناً على أئمة الدعوة المحمدية، وإن كان الأول فهو أهون، وإن كان الثاني فالخطب جَلَل كبير خطير.

إذا كنتَ لا تدري فتلك مصيبة وإن كنت تدري فالمصيبة أعظم قال في كتابه (شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق) المطبوع بمصر سنة ١٣٢٣هـ: «الباب الثالث: في نقل كلام الإمام العلامة ناصر

السنة في هذا الزمان سيدي أحمد دحلان مفتي الشافعية في مكة المشرفة في كتابه (خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام)، وذكر الشبه التي تمسك بها الوهابية: ينبغي أولاً أن نذكر الشبهات التي تمسك بها ابن عبد الوهاب في إضلال العباد، ثم نذكر الرد عليه ببيان أن كل ما تمسك به زور، وافتراء، وتلبيس على عوام الموحدين، فمن شبهاته التي تمسك بها: زعمه أن الناس مشركون في توسلهم بالنبي ﷺ وبغيره من الأنبياء والأولياء الصالحين، وفي زيارتهم قبره ﷺ وندائهم له بقوله: يا رسول الله، نسألك الشفاعة، وزعم أن ذلك كله شرك، وحمل الآيات القرآنية التي نزلت في المشركين على الخواص والعوام من المؤمنين، كقوله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٥، ٦]، وقوله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونُ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٣]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦]، وقوله تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَتَمَهُ إِلَى الْمَاءِ لِتَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَلِيغٍ، وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [الرعد: ١٤]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ يَكْفُرُونَ بَشْرِكِكُمْ وَلَا يُنْشِكُكُمْ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣، ١٤]، وقوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا

تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾ [الإسراء: ٥٦، ٥٧].

وأمثال هذه الآيات كثير في القرآن، كلها حملها على الموحدين، قال محمد بن عبد الوهاب: إن من استغاث أو توسَّل بالنبي ﷺ أو بغيره من الأنبياء والأولياء والصالحين، أو ناداه أو سأله الشفاعة؛ فإنه يكون مثل هؤلاء المشركين، ويكون داخلًا في عموم هذه الآيات، وجعل زيارة قبر النبي ﷺ أيضاً مثل ذلك»^(١).

قلت: هذا كلام شيخ والدكم نقلته لكم حرفياً، والذي وصفتموه بقولكم: متمكن في اللغة العربية، والفنون الأدبية، يشهد عليه كلامه هذا بالجهل المركب، والسفاهة المتناهية، لم يسبق لها مثال سابق في تاريخ العلم، وأنا سوف أتصدى لكلامه هذا بالرد عليه فقررة فقررة، مستعيناً بالله جل وعلا، ومستمدداً العون منه سبحانه وتعالى؛ لكي يتضح حاله وحال أتباعه الذين يُضللون الأمة الإسلامية، وما أكثرهم اليوم لا كثرهم الله تعالى.

فأقول: إن عنوان كتابه هذا - شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق - غير صحيح، فضلاً عما في داخل الكتاب من الضلال المبين، والكفر الصريح، والكتاب أجدر به أن يسمَّى: شواهد الضلال والكفر، والعياذ بالله.

أخرج الإمام البخاري ومسلم وأحمد في مسنده من حديث أبي

(١) «شواهد الحق» للنبهاني، ص (٧٥، ٧٦)، من طبعة سنة ١٣١٣ هـ بمصر.

هريرة رضي الله تعالى عنه، قال: قام فينا النبي ﷺ فذكر الغلول فعظمه، وعظم أمره، قال: «لا ألفين أحدكم يوم القيامة وعلى رقبته فرس له حمحمة، يقول: يا رسول الله، أغثني. فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك، وعلى رقبته بعير له رغاء، يقول: يا رسول الله، أغثني. فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك، وعلى رقبته صامت، فيقول: يا رسول الله، أغثني. فأقول: لا أملك لك شيئاً، قد أبلغتك، أو على رقبته رقاع تخفق، فيقول: يا رسول الله، أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئاً، وقد أبلغتك» ثم ذكر الحديث^(١). قال الحافظ: «قوله: «لا أملك لك شيئاً» أي: من المغفرة؛ لأن الشفاعة أمرها إلى الله تعالى، وقوله: «أبلغتك» أي: فليس لك عذر بعد الإبلاغ»^(٢).

قلت: فالشاهد في هذا الحديث الشريف على بطلان عنوان الكتاب - أي كتاب النبهاني - وعدم صحته واضح بين، وهو أنه ﷺ، وإن كان هو صاحب الشفاعة العظمى - كما جاءت بذلك الأحاديث الكثيرة - لا يغث يوم القيامة أحداً قبل أن يأذن الله تعالى له بالشفاعة العظمى؛ ليشفع لمذنب أمته ﷺ دون الكفار والمشركين، فكيف يُستغاث به بعد انتقاله ﷺ من هذه الدنيا الفانية إلى الرفيق الأعلى؟! مع أن يوم القيامة هو أقرب الأوقات وأنسبها للاستغاثة به ﷺ؟! وهو الصادق المصدوق ﷺ يقول يوم القيامة لصاحب الفرس والبعير ويكرر: «لا أملك لك شيئاً، وقد

(١) أخرجه البخاري، الجهاد (١٨٩). ومسلم، الإمارة (٢٤). والإمام أحمد في «المسند» (٤٢٦/٢).

(٢) «فتح الباري» (١٨٥/٦-١٨٦).

أبلغتك» فالنبهاني في عنوان كتابه هذا يُكذب النبي ﷺ في مقالته تلك المباركة يوم القيامة، والتي أجمعت الدنيا كلها من السلف والخلف من علماء السنة المطهرة، وعلى رأسهم أئمة الهدى الأئمة الأربعة: الإمام الجليل أبو حنيفة، والإمام الشافعي، والإمام مالك، والإمام أحمد بن حنبل، والبخاري، ومسلم، وغيرهم رحمهم الله تعالى، على أن تلك المقالة صدق، وحق، ودين، وأن صاحب الفرس الذي يأتي إلى النبي ﷺ مستغيثاً به؛ أن ذنبه ذاك ليس من الشرك بل من الكبائر، والذي يتبرأ منه رسول الله ﷺ قبل أن يأذن له ربه جل وعلا بالشفاعة، فكيف حال من يدعو من دون الله تعالى، ويستغيث به في أمور لا يستطيعها أحد إلا المولى جل وعلا؟!

ومن هذا القبيل: خطابه ﷺ لابنته البتول فاطمة الزهراء أم الحسن والحسين رضي الله تعالى عنهم أجمعين، وعمته صفية بنت عبدالمطلب الهاشمية القرشية رضي الله تعالى عنها. أخرج الإمام البخاري في الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله تعالى عليه: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، فقال: «يا معشر قريش، أو كلمة نحوها، اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم من الله شيئاً.. يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبدالمطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، يا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا أغني

عنك من الله شيئاً»^(١)، ومن هذا القبيل ما أخرجه الإمام أحمد في المسند من حديث أبي هريرة رضي الله تعالى عنه بإسناد صحيح، خطابه ﷺ لعمه العباس بن عبدالمطلب رضي الله تعالى عنه، قال العباس رضي الله تعالى عنه: يا رسول الله، أنا عمك كبرت سني، واقترب أجلي، فعلمني شيئاً ينفعني الله به، قال: «يا عباس، أنت عمي ولا أغني عنك من الله شيئاً، ولكن سل ربك العفو والعافية في الدنيا والآخرة» قالها ثلاثاً. الحديث^(٢). فكان النبي ﷺ - معاذ الله - عند النبهاني ومن سار على نهجه - الذي هو متمكن في اللغة العربية ومحب لآل البيت في نظركم في عنوان كتابه (شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق) - غير صادق في خطابه هذا لجملة من أقاربه ﷺ، وهم: عمه العباس، وعمته صفية، وابنته فاطمة رضي الله تعالى عنهم.

وهؤلاء الثلاثة الذين تخلفوا من أكابر الصحابة رضي الله تعالى عنهم في غزوة تبوك عن رسول الله ﷺ، وهم: كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع رضي الله تعالى عنهم، الذين اعترفوا بتخلفهم من غير عذر عند رسول الله ﷺ، فقال لهم ﷺ تلك المقالة المعروفة التي تناقلها ثقات المحدثين بأسانيدهم الصحيحة عن رسول الله ﷺ: «قوموا حتى يقضي الله فيكم، وليس لكم عندي شيء يخرجكم من موقفكم هذا»، ونهى جميع الصحابة رضي الله تعالى عنهم عن كلامهم إياهم، فكان أمرهم وشأنهم

(١) أخرجه البخاري في «الجامع الصحيح».

(٢) الإمام أحمد في «المسند» (٢٠٦/١).

معروفاً معلوماً لدى جميع الصحابة رضي الله عنهم، وقد صور القرآن الكريم حالتهم التي وصلوا إليها في النهاية، إذ يقول جل وعلا في محكم كتابه: ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ [التوبة: ١١٨].

لماذا لم يستغيثوا برسول الله ﷺ وهو بين أظهرهم ﷺ؟! ولماذا لم يُغثهم رسول الله ﷺ في تلك الحال، وهو رؤوف رحيم كما وصفه ربه جل وعلا في كتابه إذ يقول جل وعلا: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]؟!

أهذه الآيات نزلت أيضاً في قريش - في نظر النبهاني الذي هو متمكن في اللغة العربية عندهم -؟! فانظر حال من اعتذر بتخلفه عن رسول الله ﷺ، من الكذبة المنافقين وغيرهم، الذين قبل منهم رسول الله ﷺ عذرهم وبايعهم ودعا لهم بالمغفرة ﷺ، فكان دعاؤه لهم حسب ما ظهر له ﷺ من أمرهم وشأنهم، دون ما كان في قلوبهم وضمايرهم من الكذب والغش، ولم يفدهم ذلك شيئاً، بل زادهم نقمة وعذاباً، وقد صور القرآن الكريم حالتهم إذ يقول جل وعلا: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَأَ اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّهِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنْشِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ سَيَعْلَمُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِنُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ

رَجَسٌ وَمَا وَنُهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٥﴾ يَحْلُوتُونَ لَكُمْ لِرِضْوَانِهِمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿[التوبة: ٩٤-٩٦].

فكفى النبهاني معصية كبيرة على أقل تقدير أن يكذب الله تعالى في كلامه هذا المبارك، ورسوله ﷺ في صحيح سنته المطهرة في عنوان كتابه هذا (شواهد الحق بالاستغاثة بسيد الخلق).

وقد استغاث به ﷺ في آخر حياته عبدالله بن أبي بن سلول، المنافق المعروف، عندما بعث ابنه عبدالله الصحابي الجليل رضي الله تعالى عنه إلى رسول الله ﷺ، وذلك بعد مرجعه ﷺ من غزوة تبوك لكي يدعو له ويصلي عليه بعد موته، وفعلاً توجه إليه رسول الله ﷺ، فدعا له وصلى عليه صلاة الجنازة، وهو على قبره، وقد ذكر عمر رضي الله تعالى عنه النبي ﷺ بجميع مواقف هذا المنافق التي وقفها ضد الدعوة المحمدية.

ألم تكن هذه استغاثة تمكن منها النبي ﷺ في حياته الدنيوية في حق ابن أبي بن سلول؟ ولكن ماذا كان من أمرها، وشأنها فيما بعد؟! هل نفعت صاحبه مع اعترافه بمقام النبي ﷺ الرفيع عند مولاه جل وعلا؟! نعم: ينزل القرآن بعد وفقات قليلة مبيناً حال هذه الاستغاثة، وقيمتها؛

إذ يقول جل وعلا مخاطباً نبيه - الشافع العظيم في يوم الجزاء - ﷺ:

﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ

بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ. وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿[التوبة: ٨٠]،

نقف هنا قليلاً لكي نطلع على موقف المصطفى ﷺ بعد نزول هذه الآية الكريمة، هل توقف عليه الصلاة والسلام عن الاستغفار والدعاء له؟! أو

ثارت فيه عاطفته العظيمة ورحمته المثالية، ورأفته الشامخة كما وصفه الله جل وعلا، فاستمر في الدعاء والاستغفار للمنافق المذكور، وقال ﷺ: «إن الله تعالى لم ينهني في هذه الآية صراحة عن الاستغفار والدعاء، وسوف أزيد عليه فوق السبعين ما لم أنه عنه»، ولا يزال الفاروق يذكره مواقف هذا الظالم المنافق ويقول له ﷺ: فذاك أبي وأمي إن الله قد نهاك في هذه الآية - وقد وردت الأحاديث الصحيحة الكثيرة في هذا المعنى - ولم يقتنع المصطفى عليه الصلاة والسلام بكلام عمر رضي الله تعالى عنه، ثم ينزل القرآن الكريم بفصل الخطاب، إذ يقول جل وعلا: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِّنْهُمْ مَّتَّ أَبَدًا وَلَا نَقَمَ عَلَى قَبْرِهٖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَآ تَوْأَمَهُمْ فَنَسِوْنَ﴾ [التوبة: ٨٤].

فقد عرفنا إن شاء الله تعالى أثناء سرد هذه الأدلة من الكتاب والسنة أن تسمية النبهاني لكتابه ذاك باطل شرعاً، وعقلاً، أما الشرع فقد مضت بعض الأدلة على ذلك، فارجع إليها أيها الأخ الكريم بالنظر الصحيح والعقل السليم، وأما العقل، فهو يمنع الإنسان الفطري عن هذه الغواية، والضلالة، التي تمسك بها النبهاني ومقلدوه، لأنها تخالف دعوة جميع الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، الذين بعثهم الله تعالى ببعثة مباركة عظيمة؛ بتوجيه الإنسانية كلها إلى خالقها، وبارئها جل وعلا في جميع أنواع العبادة، دون أن تصرف منها شيئاً لغير الله تعالى، سواء كان هذا الغير ملكاً مقرباً، أو نبياً مرسلًا، أو ولياً صالحاً. فإن عبدوا واستغيث بهم بعد موتهم في أمر لا مجال لهم في التصرف فيه، ولا قدرة لهم في العطاء والمنع، فعبادتهم راجعة إلى الشيطان اللعين، لأنه هو الذي تسبب

في تحويل هذه الفطرة السليمة إلى الفطرة الخبيثة، وهذا واضح بين جلي، لا يخفى على أحد ممن فطره الله تعالى على فطرة سليمة، فكان هذا الكتاب معولاً هداماً، ووسيلة خبيثة، وسعيًا شيطانيًا في الوقوف أمام دعوة جميع الأنبياء والرسل، الذين يقول الله تعالى في حقهم: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وأما قول النبهاني في استشهاده بكلام إمامه أحمد زيني دحلان وتلقيه له بأنواع من الألقاب الضخمة، ومنها قوله فيه: الإمام العلامة ناصر السنة... إلخ. فقد قلدتموه أنتم أيضاً في رسالتكم (إتحاف ذوي الهمم العلية برفع أسانيد والدي السنية)، بتلقيكم له أعظم وأكبر مما لقبه به النبهاني، إذ قلتم: إنه شيخ الإسلام، ومفتي الأنام، والحجة، والمشارك، الزاهد، الناسك، وغير ذلك من الأوصاف الكبيرة، وقد بينت بعض حاله، وكشفت عن بعض أمره، وهو لا يستحق هذه الأوصاف بحال من الأحوال، وكنت قد نقلت عن الأستاذ الكبير العلامة الشيخ محمد رشيد رضا من مقدمته العلمية التي وضعها على كتاب (صيانة الإنسان من وسوسة الشيخ دحلان) للعلامة الأثري الشيخ بشير السهسواني الهندي رحمه الله تعالى، ولقد عرفنا بعض المعرفة عن حقيقة هذا الرجل، أعني أحمد زيني دحلان، وما تمسك به من العقائد الفاسدة الخرافية، مع أدلتها التي هي أضعف من بيت العنكبوت، فارجع أيها الأخ الكريم إلى كتاب (صيانة الإنسان) فإن فيه زيادة، وكفاية، إن شاء الله تعالى.

وأما الشبهات التي نقلها محبكم، ومحب آل البيت في نظركم عن

شيخه أحمد زيني دحلان وهو بدوره يزعم فيقول: ناقلاً عن شيخ الإسلام ومجدد الملة المحمدية الحنفية السمحة الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى، بنقل غير معزو إلى أحد من كتبه الجليلة ورسائله النافعة، إذ قال عامله الله بما يستحق: فمن شبهاته التي تمسك بها زعمه أن الناس مشركون في توسلهم بالنبي ﷺ. فأين قال ذلك شيخ الإسلام؟! وفي أي كتاب صرح فيه بأن مجرد التوسل بالنبي ﷺ وبغيره من إخوانه الأنبياء والصالحين شرك يخرج عن الملة؟! فإن ثبت عنه رحمه الله تعالى ذلك بنقل صحيح في كتاب ما من كتبه العظيمة أو رسائله النافعة فيُحمل على الوسيلة الشركية التي يطلب فيها أصحابها من النبي ﷺ ما نفاه عن نفسه الزكية الطاهرة في أحاديثه الصحيحة المخرجة في الكتب الصحاح المعتبرة عند أهل الحديث، وما نفاه عنه مولاه جل وعلا في محكم كتابه، إذ قال جل وعلا مخاطباً نبيه ﷺ عندما كان يحاول بحرصه الشديد هداية عمه أبي طالب عند موته، قال الله تعالى:

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦]، وقال جل وعلا:

﴿إِنْ تَحَرَّصَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ﴾ [النحل: ٣٧]، وأما توسل الصحابة رضي الله تعالى عنهم بدعائه ﷺ في حياته فهذا مشروع ثابت بإسانيد صحيحة كثيرة، لا غبار على صحتها، ومن ينكر ذلك فهو ضال مضل، ولم ينكر شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى هذه الوسيلة أبداً، بل إنها جائزة ومستحبة في نظره، وأنظار أهل الحديث رحمهم الله تعالى، وهي أيضاً مشروعة في حق كل من كان من أهل الخير، والصلاح، والعبادة، والزهد، والورع، وهو على قيد الحياة

يُطلب منه الدعاء، ويقال له: ادع الله لي يا أخي بصلاح الدين والدنيا والآخرة، ونحو ذلك، وأما توسل الصحابة رضي الله تعالى عنهم بذاته الشريفة أو ذوات أخرى من الأنبياء والرسل الصالحين الميتين، فلم يثبت في ذلك حديث صحيح خال من الشذوذ، أو عمل من أحد الصحابة بعد انتقال المصطفى ﷺ إلى الرفيق الأعلى، إلا حديث الأعمى - الذي تشبث به النبهاني ودندن حوله، ومعه مقلدوه وأتباعه - وسوف أتكلم عليه بالإسهاب متناً، وإسناداً^(١) إن شاء الله تعالى عند الرد على النبهاني باستدلالة به، وبأحاديث أخرى على دعواه الباطلة، كل ذلك بالتفصيل.

فكان هذا التوسل بذاته الشريفة، وبذوات أخرى عملاً محدثاً في الإسلام، نشأ عن الجهل، وقلة العلم بقواعد الشريعة الغراء، ومنافٍ لكمال عدل الله تعالى، ورحمته وشفقته على عباده، ومخالفٌ للقواعد الإسلامية التي بنى عليها رسول الله ﷺ دعوته وجهاده لإعلاء كلمة الله تعالى، ولم يقل أحد من أهل العلم إن هذه الوسيلة شرك، بل إنه عمل محدث في الإسلام، وإن صاحبها المتمسك بها على خطر عظيم، جسيم، من أمر دينه، فليحذر منها، لأنه على قنطرة إبليسية خطيرة، تسقطه في أحضان الشرك في يوم من الأيام.

وأما مقالة النبهاني الشنيعة في شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب

(١) يلاحظ أن المؤلف - رحمه الله - لم يف بوعده في تخريج الحديث ولعله يقصد ذلك في كتاب آخر. اهـ. الناشر. قلت: ولبيان ضعف حديث «الأعمى» الذي يحتج به القبوريون تُنظر رسالة: «هدم المنارة لمن صحح أحاديث التوسل والزيارة»، للشيخ عمرو عبد المنعم سليم، (ص ١١٢-١٢٥).

رحمه الله تعالى، وهي قوله: «إن كل ما تمسك به الوهابية، وابن عبد الوهاب في إضلال العباد فهو زور، وافتراء وتليس على عوام الموحدين».

قلت: والأمر بالعكس كما سيأتي ذلك مفصلاً إن شاء الله تعالى عند كلامي عن الآيات القرآنية التي ساقها النبهاني في كتابه الباطل، وجعلها خاصة في كفار مكة الذين حاربوا دعوة رسول الله ﷺ، ولا يتناول منطوقها ولا مفهومها في نظره بعد وفاة النبي ﷺ أحداً من المسلمين الحاليين، فلا يوجد في زعمه كفر ولا شرك أصلاً بعد وفاة النبي ﷺ في ذرية الذين آمنوا به ﷺ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، هكذا زعم هو وأتباعه الذين قلدوه في نظريته هذه.

ما هو مفهوم كلمة الوهابية عند النبهاني وأتباعه؟

لقد كنت في بلادي السند وأنا صغير لم أبلغ الحلم أسمع هذه الكلمة من أفواه مشايخ الطرق الذين كانوا دائماً وأبداً يحذرون عوام الناس وخواصهم منها، ووضعوا لها مفهوماً خطيراً، تقليداً لغيرهم ممن سمعوا منهم، لدعاية خبيثة مأكرة، مع علمهم أنها جاءت من أسيادهم المستعمرين الذين كانوا يحكمون البلاد الهندية وغيرها بالحديد والنار، لكي يصدوا بها الناس، لئلا يقبلوا على هذه الدعوة الكريمة التي جدد الله بها دينه، وأعلى بها كلمته، وكان العدو يخشى من ظهور هذه الدعوة الكريمة، وانتشارها في العالم كله، خصوصاً في القارات التي كانت تحت سيطرته وبطشه؛ لأن هذه الدعوة الكريمة كانت تقف أمام العدو بالمرصاد، وتحول بينه وبين مخططاته الاستعمارية الخبيثة.

ولم يكن هذا النوع من الدعوة الكريمة منحصرأ وجوده في نجد

وحدها فقط، بل كان في كل مكان وزمان، هناك رجال مخلصون يدعون إلى هذه الدعوة الكريمة، إلا أن الدعوة لم تلق دعماً قوياً، ومساندة فعالة مثالية إلا في ديار نجد على يد الأمراء السعوديين، وعلى رأسهم الإمام محمد بن سعود تغمدته الله برحمته ورضوانه، وجعل الجنة مثواه وسائر أبنائه وأحفاده رحمهم الله تعالى، فتقوى أمر هذه الدعوة السامية، فصار لها صدى عظيم في أنحاء العالم، وأعدل دليل على ذلك أن الإذاعة البريطانية كانت تقول: إن الجيش الوهابي فعل كذا، وترك كذا، ومن هنا كان انتشار هذه الكلمة بمفهومها الخاص في أطراف العالم، نعم وصل صوت الدعوة الحلو الرنين، من أقصى الدنيا إلى أعلاها، ومن أعلاها إلى أقصاها، في وقت لم تكن وسائل المواصلات موجودة البتة بمثل ما توجد في الوقت الحاضر، إلا أن العدو اللعين الماكر اتخذ - بسياسته الماكرة الخبيثة، وحيله الإبليلية دفاعاً لنفسه، ومخططاته الاستعمارية - سماسرة مأجورين من كل نوع وصنف في كل مكان، ممن عُرفوا ببيع الضمائر رخيصة للاستعمار، وهم يتسبون إلى العلم زوراً وبهتاناً، أمثال أحمد زيني دحلان بمكة، والنبهاني بالشام، وأحمد رضا خان بالهند، وغيرهم، عاملهم الله تعالى بما يستحقون.

نعم اتخذهم العدو، واشترى ضمائرهم بمبلغ كبير من المال؛ لكي يشوهوا حقائق هذه الدعوة السامية، فأساءوا إليها بتلصيقهم إياها بأنواع من الدعايات المغرضة الفاسدة، فحرفوا مبادئها العليا، وقواعدها الرفيعة، وفي ضوء تلك الدعاية حرفوا القرآن الكريم ونصوص السنة الصحيحة حسب هواهم الفاسد، فجعلوا لهذه الكلمة (الوهابية) مفهوماً

خاصّاً، ومعنى بشعاً خبيثاً لكي يدندنوا حوله، فلما كان نجد قد ورد ذكره في الأحاديث الصحيحة وعدم دعاء الرسول ﷺ لأهله، دون أن يحققوا ما هو النجد المعني في الحديث الشريف، ولم يلتفتوا إلى تلك القرائن الواضحة الظاهرة التي تنطبق على ذلك النجد، وما هو كلام أهل الحديث من أمة محمد ﷺ في نجد، الذي عناه رسول الله ﷺ في حديثه. وقد ذكر العلامة ياقوت الحموي في معجم البلدان عشرات من النجود وكذا غيره، وليس المراد الذي عينوه هم، فتركوا كل هذا مع علمهم وبقينهم أن نجداً الوارد في الحديث ليس هو الذي عينوه، وأشاروا إليه في هذه الدعاية الماكرة الخبيثة الفظيعة، التي أقامها الاستعمار وعملاؤه في أطراف العالم، على أنقاض هؤلاء السماسرة الدخلاء المأجورين، ومن هنا كان هذا المفهوم الجديد الخبيث شائعاً وذائعاً في أطراف العالم، وهو أن الوهابية تعادي الرسول ﷺ وتحرم الصلاة عليه، وهدمت القباب والأبنية التي كانت مبنية على قبور الصحابة وغيرهم، رضي الله تعالى عنهم، وكان للاستعمار في كل بلد وقرية ممثل يقوم بنشر هذه السخافات والترهات، ومن هنا انتشرت كلمة (الوهابية) في العالم كله، في شرقه وغربه وجنوبه وشماله، بمفهومها الخاص، فانظر فلسفة المستعمر.

إن الداعي في نجد إلى هذه الدعوة المحمدية كان اسمه بلا خلاف بين جميع المسلمين (محمد بن عبد الوهاب)، فكان من الواجب أن تُنسب الدعوة بمفهومها الخاص عند هؤلاء بالقياس الصحيح عند جميع أهل اللغة (بالمحمدية)؛ لأن اسم صاحبها والداعي لها (محمد) وليس (عبد الوهاب)، إلا أنهم لم يرضوا بهذه النسبة الصحيحة الموافقة للواقع

واللغة العربية، خوفاً على كشف مؤامرتهم الخبيثة أمام عوام الناس من المسلمين وخواصهم، لأن الدعوة إذا حملت اسماً صحيحاً، ونسبة صحيحة فلا بد لها من قبول، وإقبال عليها، لأنها تحمل اسم رسول الله ﷺ، وكنت ممن اغتر بهذه الدعاية الماكرة الخبيثة وأنا في بلدي - السند -، فلما أكرمني الله تعالى بالهجرة إلى هذه البلاد المقدسة وذلك في عام ١٣٦٨ هـ من بلدي ومسقط رأسي، حظيت بلقاء إنسان كريم فاضل جاء من الهند إلى المدينة مهاجراً إلى الله تعالى، وكان حاله سابقاً كحالي، إلا أنه رحمه الله تعالى التجأ بعد الله تعالى إلى مطالعة كتب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى عن طريق الشيخ العلامة الطيب الأنصاري رحمه الله تعالى، فتلذذ بمطالعتها جداً، حتى اعتنق العقيدة السلفية عن طريق هذه الكتب النافعة، ولا بد من ذكر هذا الرجل رحمه الله تعالى، وهو العلامة الأثري الشيخ رشيد أحمد بن إبراهيم الهندي رحمه الله تعالى المتوفى في ذي القعدة عام ١٣٨١ هـ بالمدينة المنورة وكان رحمه الله تعالى قد أسس بعد اعتناقه العقيدة السلفية مدرسة - بناء على موافقة سامية كريمة - سماها دار العلوم السلفية، ومن هنا بدأت لي حياة جديدة بقاء هذا الرجل الكريم، فكان يلقي إليّ دروسه في المسجد النبوي الشريف مساءً، وكان يبكي كثيراً عند إلقائه الدروس في التوحيد فرحاً واستبشاراً، وكان يقول دائماً رحمه الله تعالى: لو مت يا بني قبل اعتناق هذه العقيدة الصافية النقية لمت على غير ملة الإسلام، ولما كان يأتي اسم شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى وكذا اسم الإمام ابن القيم والإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى

أثناء إلقاء الدروس كان يترحم عليهم كثيراً، ويمجد ذكرهم وشأنهم، ودائماً يوصي الطلبة بمطالعة كتبهم رحمه الله تعالى، وفي تلك الأيام بالذات قد كشف الله تعالى عن قلبي الغطاء، ثم عرفت بعد ذلك أن الدنيا والله في غيوبتها وضلالها إلا ما شاء الله تعالى، ولقد تأكدت حينئذ تماماً أن هذه الوهابية المزعومة في أنظار هؤلاء لا تعادي الرسول ﷺ أبداً، وإنما هي التي تحبه وحدها، لما درست عنها دراسة وافية شافية، وعما تعتقده في رسول الله ﷺ، وهي التي توجب الصلاة على الرسول ﷺ، وتجعلها ركناً من أركان الصلاة، فإن تركها أحد عامداً أو ناسياً، بطلت صلاته عندها، وهذا هو مذهب أهل الحديث، بينما تنص كتب أخرى فقهية من التي تمسك بها هؤلاء الذين أقاموا هذه الدعاية الكبرى على أن الصلاة على رسول الله ﷺ ليست ركناً من أركان الصلاة عندهم، فإن تركها أحد ناسياً سجد سجدتي سهو، فلا تبطل صلاته عندهم.

ومن هنا كتب العلامة المحدث الشيخ مسعود عالم الندوي كتاباً بارعاً عظيماً في ترجمة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى باللغة الأردية دفاعاً عن رسول الله ﷺ، وعن دعوته الكريمة، وفند جميع شبه أهل الباطل: من عباد القبور والأضرحة التي تمسكوا بها، فجزاه الله تعالى أحسن الجزاء، وجعل الجنة مثواه - هذا هو مفهوم الوهابية عند النبهاني في كتبه ورسائله، وللمقال بقية في العدد القادم، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله وكفى، وصلاة وسلام على عباده الذين اصطفى، وبعد:
فهذه حلقة ثانية من المقال الذي نشرته مجلة الجامعة الإسلامية
الغراء في عددها الثالث الصادر من السنة الثامنة في شهر ذي الحجة لعام
١٣٩٥ هـ. والذي وعدت فيه القراء الكرام بإتمام الموضوع في حلقات
مسلسلة، وها أنا مع الموعد المذكور داعياً المولى الكريم سبحانه
وتعالى أن يهدينا جميعاً إلى صراطه المستقيم، ومنهجه القويم، الذي
رسمه الله جل وعلا على لسان المصطفى ﷺ للإنسانية كلها.

وكم كنت سعيداً في هذه الكتابة المتواضعة أن تكون مناقشتي مع
إنسان ينتسب إلى رسول الله ﷺ نسباً وصهرأً، فوالله إن له في نفسي لمنزلة
كبيرة من الناحية المذكورة، وأما الحق فهو واضح بين لا غبار عليه أمام
من رزقه الله تعالى فهماً ثاقباً، وعلماً نافعاً، وبصيرة تامة، ولقد ظل رسول
الله ﷺ في حياته المكية بصفة خاصة بعد البعثة شارحاً هذه الدعوة
الكريمة التي لأجلها خلق الله الكون، وبعث الرسل، ولقد ضرب رسول
الله ﷺ أمثلة رائعة في دعوته السامية أثناء وجوده بمكة، والمدينة، أثناء
أسفاره المتعددة لإعلاء كلمة الله تعالى، حتى لقي ربه جل وعلا، فلم
يترك خيراً ﷺ إلا ودلّ الأمة إليه، ولم يترك شراً إلا وحذر الأمة منه،
فكان أعظم الخير الذي أتى به ﷺ هو توحيد الله تعالى ذاتاً وصفة
وعبادة، فهو محور أساسي للكائنات كلها، تدور حوله جميع أعمال
الخير والبر، إن صح هذا الأساس أو البنيان فقد صحت بقية الأعمال

والعكس بالعكس، ومن أعظم الشر الذي حذر منه رسول الله ﷺ الأمة هو الشرك بجميع أنواعه الظاهرة والباطنة.

ولقد شرح القرآن الكريم هذين المعنيين، وكذا السنة النبوية المطهرة، شرحاً وافياً وفصلاً تفصيلاً كاملاً، فلم يترك المجال لأحد كائناً من كان ممن ادعى النبوغ في البلاغة، والفصاحة، أن يخالف هذا الأساس المتين، والبرهان الواضح، والحجة القوية الباهرة: ﴿أَفَمَنْ أَتَسَسَ بُنْيَكنَهُ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مَنْ أَتَسَسَ بُنْيَكنَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَانْهَارٍ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (١٠٩) لَا يَزَالُ بُنْيَنُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿[التوبة:

١٠٩-١١٠]، ولقد ظل النبهاني الذي مدحتموه في رسالتكم مخالفاً لدعوة رسول الله ﷺ طوال حياته ظاهراً وباطناً، أما الظاهر فقد أوضحت ذلك في المقال السابق؛ لكونه تولى تلك المناصب الهائلة ضارباً بأحكام الباري جل وعلا وأحكام رسوله ﷺ عرض الحائط، ولم يبال بشيء يردعه عما أقبل عليه وفرح به، من تحاكمه وحكمه إلى الطاغوت الكافر اللعين، وأما الباطن فلتنكره لدعوة رسول الله ﷺ، وهي دعوة التوحيد الخالص، فكتب كتاباً خبيثاً لا يزال وصمة عار يحارب فيه أولئك الأمجاد الكرام من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، الذين جدد الله تعالى بهم الدين، وأعلى بهم كلمته ونشر بهم رسالة نبيه ﷺ، وأسفاً على النبهاني وعلى أتباعه الذين يمجّدونه ويرفعون ذكره، وحاله معروف واضح أمام من أعطى أدنى فهم وعلم، ومعرفة في الدين، ولقد زعم النبهاني في كتابه (شواهد الحق) - وهي شواهد الضلال

والكفر - أن الآيات القرآنية التي ساقها في التوحيد ونبذ الشرك أنها لم تكن تشمل المؤمنين الموحدين في نظره، وليست العبرة بعموم اللفظ عنده، وقد خالف في ذلك جهابذة المفسرين، ومع ذلك هو متمكن في اللغة العربية ومتبحر فيها!! وها أنا أبدأ بالرد عليه فيما زعم وحرف كتاب الله تعالى، مستمداً العون من الباري جل وعلا، والتوفيق والسداد في القول والعمل، مسترشداً في ذلك بما جاء عن الله تعالى، في كتابه الحكيم، وفي صحيح سنة رسوله الكريم ﷺ، وبأقوال أهل العلم من السلف الصالح رحمهم الله تعالى.

زعم النبهاني في هذا الكتاب: أن قوله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾ [الجن: ١٨]، وكذا قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ﴾ [٥-٦]، وإذا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿ [الاحقاف: ٥-٦]، وكذا قوله تعالى: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٣]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦]، وقوله تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبْسِطٍ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِلَاقِحِهِ وَمَا دَعَا الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [الرعد: ١٤]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾ [١٣]، إن تدعوهم لا يسمعوأ دعاءكم ولو سمعوا ما استجابوا لكم ويوم القيامة يكفرون بشرككم ولا ينبئك مثل خبير ﴿ [فاطر: ١٣-١٤]، وقوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفِ الضَّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْيِيلًا﴾ [٨] أولئك الَّذِينَ يَدْعُونَ

يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ إِلَيْهِمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٦﴾ [الإسراء: ٥٦-٥٧]، قال النبهاني عقب هذه الآيات: وأمثال هذه الآيات كثير في القرآن، كلها حملها - أي محمد بن عبد الوهاب - على الموحدين، وقال في موضع آخر من كتابه - قبل سرد هذه الآيات -: وزعم - أي محمد بن عبد الوهاب - أن ذلك كله شرك، وحمل الآيات التي نزلت في المشركين على الخواص والعوام من المؤمنين. ثم ساق هذه الآيات الكريمات.

فأقول: لقد صدق العلامة محمود شكري الألوسي في كتابه (غاية الأمانى في الرد على النبهاني) إذ قال رحمه الله تعالى: «فإن الرجل جاهل - أي يوسف النبهاني - كما ستعلمه من رد كتابه هذا، سقيم الفهم بإخبار العدول الثقات ورواية الصادقين من الرواة، وما نشره من هذيانه الصريح، أعدل شاهد على ذلك وأصح دليل على ما هناك، فضلاً عما ذكره فيه جهابذة العصر الذين رأوه وخالطوه، وعرفوا حاله، وشاهدوا أعماله»، ثم ذكر فيه بقية الكلام^(١).

قلت: الآية التي ساقها النبهاني من سورة الأحقاف، وهي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ﴾ [الأحقاف: ٥]، إن هذه الآية نزلت بمكة تصف حال المشركين الذين كانوا يعبدون الأصنام، وهي اللات والعزى والهبل وغيرها من الأصنام، والآية تحكي قصة حال المشركين، وعن سفاهة

(١) «غاية الأمانى في الرد على النبهاني» (١/٥٣).

عقولهم، وفساد فطرتهم، إذ كانوا يدعون من دون الله تعالى هذه الأصنام، وإن كانت عبادتهم، ودعاؤهم لم تكن مقصودة لها، لأنهم اتخذوها علامات، وشعائر لأصحابها، لكي يتصوروا وجودهم عن طريق هذه الأجسام الحجرية عند الدعاء والاستغاثة بهم، ولقد أخرج الإمام البخاري في الصحيح، وكذا الإمام ابن المنذر وابن مردويه في تفسيرهما عن عبدالله بن عباس رضي الله تعالى عنهما قال: صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب: أمّا ود فكانت لكلب بدومة الجندل، وأمّا سواع فكانت لهذيل، وأمّا يغوث فكانت لمراد ثم لبني عطيف بالجرف عند سبأ، وأمّا يعوق، فكانت لهمدان، وأمّا نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم، أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً، وسموها بأسمائهم ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك ونسخ العلم عُبدت (١).

قلت: فهذه الرواية الصحيحة تزيل شبهة قوية تمسك بها النبهاني ومن سار على منهجه من الأقزام، بأن قريشاً كانت تعبد الأصنام الحجرية معتقدة فيها الخير والشر، والأمر ليس كذلك، وإنما كانت تعبد مسمياتها كما تشير إليه هذه الرواية، ولقد شرح هذه الرواية الحافظ في الفتح شرحاً مفصلاً ورد على الواقدي في زعمه إذ قال: كان ود على صورة رجل، وسواع على صورة امرأة، ويغوث على صورة أسد، ويعوق على

(١) أخرجه البخاري في التفسير، سورة رقم (٧١)، باب (١)، حديث رقم (٤٩٢٠)، (٨/٦٦٧)، (الفتح). انظر: «الدر المنثور» (٨/٢٦٩).

صورة فرس، ونسر على صورة طائر، ثم قال الحافظ: وهذا شاذ، والمشهور أنهم كانوا كانوا على صورة البشر، وهو مقتضى ما تقدم من الآثار في سبب عبادتها، والله أعلم^(١).

قلت: الذي حكم عليه بالشذوذ هو منكر؛ لأن الواقدي متهم بالكذب فلا عبرة بروايته، وأما أصنام قريش: فمنها اللات، والعزى، والهبل، وأساف، ونائلة، فهي أيضاً أسماء لرجال صالحين، قال الإمام ابن الأثير في (النهاية): وفي حديث مجاهد في قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ [النجم: ١٩]، قال: كان رجل يلت السوق لهم، يريد أن أصله اللات بالتشديد؛ لأن الصنم سمي باسم الذي كان يلت السوق عند الأصنام، أي يخلطه، فخفف، وجعل اسماً للصنم^(٢)، وقد أخرج البخاري في الصحيح بإسناده عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى: ﴿اللَّتَ وَالْعُزَّىٰ﴾: كان اللات رجلاً يلت السوق للحاج^(٣) وقال الحافظ في (الفتح): وأخرج ابن أبي حاتم من طريق عمرو بن مالك، عن أبي الجوزاء، عن ابن عباس، ولفظه فيه زيادة، كان يلت السوق على الحجر، فلا يشرب منه أحد إلا سمن، فعبدوه، واختلف في اسم هذا الرجل، فروى الفاكهي من طريق مجاهد قال: كان رجل في الجاهلية على صخرة بالطائف وعليها له غنم، فكان يسلو من رسلها،

(١) «الفتح» (٦٦٩/٨).

(٢) «النهاية» لابن الأثير (٣٢٠/٤).

(٣) البخاري، حديث رقم (٤٨٥٩).

ويأخذ من زبيب الطائف والأقط فيجعل منه حيساً، ويطعم من يمر به من الناس، فلما مات عبده^(١)، ثم قال الحافظ: فقد أخرج الفاكهي من وجه آخر عن ابن عباس أن اللات لما مات، قال لهم عمرو بن لحي: إنه لم يمت، ولكنه دخل الصخرة فعبدها، وبنوا عليها بيتاً، وقد تقدم في مناقب قريش أن عمرو بن لحي هو الذي حمل العرب على عبادة الأصنام^(٢).

قلت: وهكذا سائر الأصنام التي عبدت من دون الله تعالى، كانت هي علامات وشعائر فقط، من دون الله تعالى، كانت هي علامات وشعائر فقط، وإنما العبادة كانت لمسمياتها، كما روى لك حبر الأمة، وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله تعالى عنهما، وقد عرّف الإمام ابن الأثير - وهو إمام في اللغة - الصنم بقوله: هو ما اتخذ إلهاً من دون الله تعالى، وقيل: هو ما كان له جسم أو صورة، فإن لم يكن له جسم أو صورة فهو وثن^(٣).

قلت: فعلى هذا التعريف تدخل فيه القبور وغيرها التي تعبد من دون الله تعالى، وإن كانت عبادتها راجعة إلى الشيطان لا إلى أصحابها، إلا إذا كانوا راضين بها في حياتهم، فهؤلاء هم الطواغيت. وقد أوقع رسول الله ﷺ اللعن على الذين اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد، سداً للذرائع وقطعاً لوشيجة الشرك، ومن الجهل الواضح أن يقال لإنسان يدعو غير الله تعالى

(١) «الفتح» (٦١٢/٨).

(٢) المصدر السابق.

(٣) «النهاية» لابن الأثير (٥٦/٣).

في أمر لا مجال للمخلوق ولا قدرة له على إنجازه، ثم يكون هذا الداعي لغير الله تعالى والمستغيث بسواه موحداً ومؤمناً في نظره، كما زعم النبهاني في كتابه (شواهد الحق). نعم يجب على المسلم أن يفكر في هذه الآية الكريمة وما في معناها وفي سياقها البليغ الفصيح الذي لا قدرة للإنسان مطلقاً أن يأتي بشيء من هذا الأسلوب البلاغي الحكيم، إذ يقول جل وعلا: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ وَهُمْ عَنِ دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ﴾ [الأحقاف: ٥]، فاستعمل جل علا في هذا السياق المبارك لفظة «من»، وهي تستعمل لذوي العقول عند جميع أهل اللغة ما عدا النبهاني - ومن سار على نهجه في الضلالة -، فإنه خالف اللغة العربية وقواعدها، ولقد سبق أن خالف السنة النبوية على صاحبها الصلاة والسلام، وخالف نص القرآن الكريم، وظاهره، ومنطوقه، ومفهومه، ولو لم يكن كما ذكر، فكيف ارتضى لنفسه أن يقبل رئاسة محكمة الحقوق المدنية ببيروت، ومات عليها، وهي محكمة لا دينية ولا مذهبية وكيف ينسب نفسه إلى الشافعي وهو بريء منه؟!، ولقد سبق أن نقلت عن (غاية الأمانى في الرد على النبهاني) ما قال فيه جهابذة العصر، وكيف جاز لمحِب آل البيت النبوي أن يخالف النظام السماوي العادل المبارك الذي أتى به رسول الله ﷺ من عند مولاه جل وعلا؟ فكما ارتكب النبهاني في قبوله تلك المناصب الكفرية جريمة كبيرة، ارتكب في تفسير هذه الآيات القرآنية وتحريفها على غير مراد الله جل وعلا، وعلى غير مراد رسوله ﷺ، إنها محنة عظيمة للإسلام أن يتلى بأشخاص لا حظ لهم من العلم النبوي الصحيح من علم الكتاب والسنة وإجماع الأمة من السلف

الصالح فيفتوا الناس بالضلال، والكفر، فضلوا وأضلوا.

نعم، لازلت في تفسير هذه الآية الكريمة من سورة الأحقاف، بأن الأصنام لم تتخذ غاية في الدعاء والعبادة، والاستغاثة، وإنما كان مقصود كفار قريش كما أخرج البخاري وغيره رحمهم الله تعالى في دعائهم واستغاثتهم بهؤلاء الرجال الصالحين، ولهذا يقول جل وعلا: ﴿أَلَيْسَ الَّذِينَ أَخْلَصُوا لِلَّهِ وَالَّذِينَ أَخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَولِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ [الزمر: ٣]، ولقد صور القرآن الكريم في هذه الآية الكريمة وغيرها موقفهم من عبادتهم، ودعائهم لغير الله تعالى، بأنهم لم يكونوا قد قصدوا دعاءهم وعبادتهم لهذه الأصنام ولا لأصحابها - أي مسمياتها -، وإنما كان قصدهم من ذلك العمل الشنيع، أن يقرب هؤلاء الأصحاب إياهم إلى الله زلفى، فكان المقصود عندهم هو الرب جل وعلا، كما نصت آية الزمر على هذا المعنى، فلم يكونوا قد اعتقدوا في هذه الأصنام الحجرية وغيرها الضر والنفع ذاتياً. ولقد أوضح القرآن الكريم هذا المعنى في آية أخرى ﴿إِنَّ الَّذِينَ نَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادُ أَمْثَلُكُمْ فَأَدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الاعراف: ١٩٤]، وقد أورد الإمام السيوطي في تفسيره الدر المنثور أثراً، إذ قال رحمه الله تعالى: أخرج عبد ابن حميد عن محمد بن كعب القرظي رضي الله تعالى عنه، في قوله تعالى: ﴿وَلَا سَؤَاعًا وَلَا يَفُوتَ وَيَعُوقُ وَشَرًّا﴾ (٢٣) وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ﴿[نوح: ٢٣-٢٤]. قال رحمه الله تعالى: كانوا قوماً صالحين بين آدم ونوح فنشأ قوم

بعدهم يأخذون كأخذهم في العبادة، فقال لهم إبليس: لو صورتم صورهم، فكنتم تنظرون إليهم، فصوروا، ثم ماتوا، فنشأ قوم بعدهم، فقال لهم إبليس: إن الذين كانوا من قبلكم كانوا يعبدونها؛ فعبدوها^(١).

قلت: فالأمر في ذلك واضح بين، جلي، لا يخفى على أحد، إلا من خبت فطرته، وبخست قريحته من عبَاد القبور والأضرحة، وقد عاملهم الشيطان نفس المعاملة التي عاملها قوم نوح، ثم مع قريش. وقال الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره الكبير مفسراً هذه الآية الكريمة: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [الأحقاف: ٥]: استفهام على سبيل الإنكار، والمعنى أنه لا امرأ أبعد عن الحق، وأقرب إلى الجهل، ممن يدعو من دون الله الأصنام فيتخذها آلهة، ويعبدها، وهي إذا دعيت لا تسمع، ولا تصح منها الإجابة، لا في الحال، ولا بعد ذلك اليوم، إلى يوم القيامة. ثم قال رحمه الله تعالى: وقال بعضهم: بل المراد عبدة الملائكة وعيسى، فإنهم في يوم القيامة لمظهرون عداوة هؤلاء العابدين.

قلت: هذا المعنى هو الصحيح؛ لأنه يؤيده قوله تعالى: ﴿وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ﴾ [الأحقاف: ٥]، وكيف يعقل وصف الأصنام وهي جمادات بالغفلة؟ وكيف جاز وصف الأصنام بما لا يليق إلا بالعقلاء؟ وهي لفظة «من»، وقوله: ﴿وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ﴾، أجاب الإمام الرازي عن هذا الاعتراض - مع ذكره - بقوله: قلنا إنهم لما عبدوها، ونزلوها منزلة من يضر

وينفع، صح أن يقال فيها: إنها بمنزلة الغافل الذي لا يسمع، ولا يجيب، ثم قال: وهذا هو الجواب أيضاً عن قوله: إن لفظة: «من» ولفظة «هم» كيف يليق بها؟

قلت: مع منزلته العلمية الكبيرة في الإسلام، وباعه الطويل في الكلام، والفلسفة وغيرها من العلوم، لم يصب الإجابة الصحيحة إلا في آخر كلامه؛ إذ قال رحمه الله تعالى: «وأيضاً يجوز أن يراد كل معبود من دون الله من الملائكة وعيسى وعزير والأصنام، إلا أنه غلب غير الأوثان على الأوثان»^(١).

قلت: هذا المعنى الأخير الذي ذكره، هو الوجيه والموزون؛ لأنه أيده القرآن الكريم في مواضع كثيرة، منها: قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ مَا أَنْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَالِمُ الْغُيُوبِ ﴿١٣١﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٦-١١٧].

قلت: فهذه الآية نص صريح على أنهم عبدوا عيسى عليه الصلاة والسلام، واستغاثوا به، ودعوه في أمور لم تكن له بها قوة على كشفها عنهم، فإذا كان عيسى عليه الصلاة والسلام وغيرهم من أنبياء بني إسرائيل عليهم الصلاة والسلام قد عبدوا من دون الله تعالى، كما نص

(١) «التفسير الكبير» للرازي (٢٨/٦).

القرآن الكريم، فغيره من الأولياء والصالحين من أمة محمد ﷺ من باب أولى، ولما لاحظ الصديق - رضي الله تعالى عنه - هذا المعنى في الأمة المحمدية ألقى أول خطبة بعد الخلافة، كما أخرجها البخاري في الصحيح، وابن ماجه في السنن، والإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة رضي الله تعالى عنها، وجاء في تلك الخطبة التاريخية المباركة: فتكلم أبوبكر، فحمد الله وأثنى عليه، وقال: ألا من كان يعبد محمداً فإن محمداً ﷺ قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت. وقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَلِنُفْسُهُمْ مَمِيتٌ﴾ [الزمر: ٣٠]، وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤]. الحديث (١).

قلت: فهل كان أبوبكر وعمر وهابيين في نظر النبهاني وأتباعه؟ لولا خوف الصديق رضي الله تعالى عنه من وقوع الأمة في الشرك، لما كان رضي الله تعالى عنه قد خطب بهذه الخطبة بهذه الصراحة الواضحة في هذا الوقت الحرج على الأمة، وقد أخرج الإمام البخاري رحمه الله تعالى في الجامع الصحيح من خطبة عمر رضي الله تعالى عنه في هذا الباب أيضاً، وذلك من حديث أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أنه سمع خطبة عمر الآخرة حين جلس على المنبر، وذلك في الغد من يوم توفي رسول الله ﷺ، فتشهد، وأبوبكر صامت لا يتكلم، قال: كنت أرجو أن يعيش

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» كتاب فضائل الصحابة، باب فضل أبي بكر، الباب رقم (٥)، الجزء الرابع.

رسول الله ﷺ حتى يدبرنا. ويريد بذلك أن يكون آخرهم، ثم قال رضي الله تعالى عنه: فإن يك محمد ﷺ قد مات، فإن الله قد جعل بين أظهركم نوراً تهتدون به بما هدى الله محمداً ﷺ، ثم ذكر الحديث (١).

ولقد برع الحافظ في الفتح في الكلام على هذا الحديث براءة علمية لا نظير لها في عصره فيما علمت، إذ تكلم على تخريج الحديث وزياداته وفنون إسناده، ولطائف معانيه، فجزاه الله تعالى خير الجزاء، ولم يترك شبهة إلا أزالها، وأثبت رحمه الله تعالى تلك المعاني السامية، التي حملها هذا الحديث الشريف في طياته، في إثبات الهداية القرآنية الإلهية، وكذا أثبت وفاة الرسول ﷺ وفاة حقيقة، وأن البقاء لله جل وعلا، ولا يزال القرآن الكريم يدعو بصراحة في آياته وسوره إلى المقصد الأعلى والأسمى الذي بعث لأجله رسول الله ﷺ، وسائر إخوانه من الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، في تثبيت العقيدة الصافية النقية: وهي عقيدة توحيد الألوهية وعقيدة توحيد الأسماء والصفات، فلا مجال لهؤلاء الخفافيش، ولا قدرة لهم في الإساءة إلى هذا الأصل العظيم، والبنیان الراسخ، والحجة القوية الباهرة التي ترك عليها رسول الله ﷺ أمته، ولا يمكن أن تنجح دعوة ما كائنة ما كانت، إن خالفت هذا الأصل الوثيق، والخط المستقيم، والمنهج الرفيع، فإن دعا أحد إلى إصلاح أحوال البشرية على غير الخط الذي رسمه القرآن الكريم، والسنة المطهرة، فإن دعوته لا تنجح أبداً، فإن ضربت لك أمثلة حية على ما

(١) المصدر السابق (٢٠٦/٣) فتح الباري.

قلت، ناقلاً ذلك عن الحوادث التاريخية المتواترة، منذ أن طلع نجم الإسلام في الآفاق إلى يومنا هذا، لما كانت تكفيني هذه الصفحات، وللعاقل اللبيب أن يقلب صفحات التاريخ الإسلامي الحافل، أو ينظر فيما وقع أمام عينه، وبصره من حوادث خطيرة، ضاعت فيها النفوس البريئة وانتهكت لها الأعراض، وسفكت عليها الدماء، ونهبت فيها الأموال، ثم يتذكر بعثة رسول الله ﷺ، هذا الانقلاب التاريخي العظيم، الذي تنفست فيه الإنسانية لأول مرة في التاريخ الإنساني الطويل، بنفس الراحة، والعزة، والكرامة، والشرف، وغير ذلك من المعاني السامية. نعلم بهذا التقرير الواضح، أن النبهاني كان كاذباً في دعواه التي ادعاها وهو أنه ليس هناك شرك، ولا كفر في أمة محمد ﷺ، وأن تلك الآيات القرآنية التي ساقها في كتابه، وزعم أنها لا تشمل المؤمنين الموحدين الحاليين في نظره، ولو دعوا غير الله تعالى، واستغاثوا به، وأن دعاء الأموات والاستغاثة بهم وهم في قبورهم ليس بشرك، وإنما الشرك في نظره دعاء الأصنام فقط، ولا يبالي بالقواعد الأساسية التي وضعها علماء التفسير، من السلف الصالح، في فن أصول التفسير؛ ومنها: «العبارة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب».

ماذا يقول النبهاني وأتباعه ومقلدوه في آية الحج؟! وهي قوله جل وعلا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمْعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ، وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ

عَزِيزٌ ﴿[الحج: ٧٣-٧٤].

قلت: لم تترك هذه الآية الكريمة أي شبهة قد يتمسك بها أهل الباطل، فإنها تصرح أن الذي يستحق الدعاء والاستغاثة لا بد من أن توجد فيه صفة الخالق، وهي أن يخلق الذباب، ولقد أوضح جل وعلا هذا المعنى في سورة فاطر إذ قال جل وعلا: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آتَيْنَهُم كِتَابًا فَهُمْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِّنْهُ بَلْ إِن يَبِدَّ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُم لِبَعْضٍ إِلَّا غُرُورًا﴾ [فاطر: ٤٠].

قلت: هذه الآية تفند الشبه التي تمسك بها النبهاني وأتباعه، والآية صريحة واضحة بيّنة لا غبار على معناها، أن من يدعى من دون الله يجب أن تتوفر فيه هذه الصفة التي نص عليها القرآن الحكيم، وهي أن يخلق أرضاً، أو يكون له شرك مع الله تعالى في خلق السموات، فلما لم توجد هذه الصفة، ولن توجد في مخلوق ما، مهما بلغ الرتبة العليا في منزلته عند مولاه جل وعلا، فلا حق له أن يسمح لأحد بدعائه إياه في أمر لا مجال له، ولا قدرة معه على كشف الأمور المفصلة، التي اختص الله تعالى وحده على كشفها وحلها، وهنا آية أخرى مماثلة في هذا المعنى في سورة الرعد، إذ قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُم مِّن دُونِي أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَبَّهُ الْخَلْقَ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: ١٦].

قلت: هذا وصف دقيق فيمن يستحق الدعاء، والاستغاثة والخوف، والخشية، والرجاء، والتوكل، والإنابة، والاستعانة، وغير ذلك من العبادات.

فهل يوجد هذا الوصف الذي أورده القرآن الكريم في سورة وآياته في غير الله تعالى من نبي مرسل، وولي صالح وشهيد؟ حتى يستحق الدعاء والاستغاثة؟ لا والله، ورب محمد ﷺ، ويقول ربنا تبارك وتعالى في سورة الأنعام: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُصِفُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٠]، فهذه الآيات كلها تتفق على معنى واحد، ولكن أين العقول الراجحة، والقلوب الواعية، والضمائر الحية التي تدرك هذا المعنى الظاهر؟ ويقول تبارك وتعالى في سورة الأعراف: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَأَسْتَكْبَرْتُ مِنْ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، فالآيات هذه تنادي بأن الذي أتى به النبهاني أنه فرية عظيمة، وافتراء مكشوف على الإسلام، والمسلمين، وأن الشبهة التي تمسك بها شبهة هزيلة نشأت عنده عن جهل مركب وفساد عريض في قلبه، وقد اكتفيت بالكلام على آية الأحقاف عن بقية الكلام على الآيات التي ساقها النبهاني - فإن الكلام عليها بمثل هذا الكلام الذي أورده على هذه الآية من الإطالة.

نعم يجب على المسلم التقي البار أن يتدبر في آيات القرآن الكريم التي فصلت هذه القضية، فشرحها شرحاً وافياً ولم تترك أي شبهة قد يتمسك بها ممن لا عقل له، ولا ضمير، وقد فسدت قريحته وخبثت فطرته بحكايات واهية كاذبة، وأرى من الضروري أن أورد هنا قصة غزوة أُحُد التي فيها عِبَرٌ ومواعظ، وما جرى فيها لرسول الله ﷺ في ذلك اليوم

العصيب، وما جرى لأصحابه رضوان الله تعالى عليهم أجمعين: من محنة عظيمة شاقة، إنها قصة جهاد طويل، وجهود مباركة أقدم عليها رسول الله ﷺ ومعه أصحابه، أخرج الإمامان البخاري ومسلم، وكذا الترمذي، وابن ماجه في سنتيهما، والإمام أحمد في مسنده من حديث أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه، أن النبي ﷺ كسرت رباعيته يوم أُحُد، وشجّ في جبهته، حتى سال الدم على وجهه، فقال ﷺ: «كيف يُفلح قوم فعلوا بنبيهم، وهو يدعوهم إلى ربهم» فنزلت هذه الآية: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٨]، ولقد عقد الإمام البخاري باباً في الجامع الصحيح بعنوان (باب ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون)، ثم ذكر الحديث، وقال الحافظ في الفتح شارحاً هذا الحديث: قوله: وقال حميد، وثابت عن أنس، شج النبي ﷺ يوم أُحُد فقال: «كيف يفلح قوم شجّوا نبيهم؟» فنزلت: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾، ثم قال الحافظ: قال ابن إسحاق في (المغازي): حدثني حميد الطويل، عن أنس قال: كسرت رباعية النبي ﷺ يوم أُحُد، وشجّ وجهه، فجعل الدم يسيل على وجهه، وجعل يمسح الدم وهو يقول: «كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو يدعوهم إلى ربهم» فأنزل الله الآية، ثم ذكر رواية مسلم، فقال: وأما حديث ثابت، فوصله مسلم من رواية حماد بن سلمة، عن ثابت عن أنس، أن النبي ﷺ قال يوم أُحُد وهو يسלט الدم عن وجهه: «كيف يُفلح قوم شجّوا نبيهم، وكسروا رباعيته وأدموا وجهه»، فأنزل الله عز وجل ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ الآية.

وذكر ابن هشام في حديث أبي سعيد الخدري أن عتبة بن أبي وقاص هو الذي كسر رباعية النبي ﷺ السفلى وجرح شفته السفلى، وأن عبدالله بن شهاب الزهري هو الذي شجه في جبهته، وأن عبدالله بن قمئة جرحه في وجنته فدخلت حلقتان من حلق المغفر في وجنته، وأن مالك بن سنان مص الدم من وجه رسول الله ﷺ ثم ازدرده، فقال: لن تمسك النار، وروى ابن إسحاق من حديث سعد بن أبي وقاص قال: فما حرصت على قتل رجل حرصي على قتل أخي عتبة بن أبي وقاص لما صنع برسول الله ﷺ يوم أُحُد، وفي الطبراني من حديث أبي أمامة قال: رمى عبدالله بن قمئة رسول الله ﷺ يوم أُحُد فشج وجهه، وكسر رباعيته فقال: خذها وأنا ابن قمئة، فقال رسول الله ﷺ وهو يمسح الدم من وجهه: «مالك أقمأك الله»، فسلط الله عليه تيس جبل؛ فلم يزل ينطحه حتى قطعه قطعة قطعة^(١). قلت: هكذا ترى وتشاهد في هذه القصة ما جرى لرسول الله ﷺ في ذلك اليوم، وما تلفظ به ﷺ عندئذ، وماذا كان جواب ربه جل وعلا في تلك الساعة؛ فتعلم أنه بشر لا يملك من الأمر شيئاً؛ إلا بإذن الله. فكيف يُدعى أو يُستغاث به بعد موته ﷺ؟!

تدبر أيها المسلم في دعوة القرآن الكريم الصريحة الواضحة، البينة، وماذا جرى لرسول الله ﷺ في سبيل إنجازها، ونشرها، وإيصالها إلى الناس، اقرأ القرآن قراءة تدبر وإمعان، وتفكير سليم، وافتح قلبك وضميرك لفهمها وتلقيها، وإياك وخزعبلات النبهاني والكوثري

(١) «الفتح» (٧/ ٣٦٥-٣٦٦).

والدحلان ومن سار على نهجهم في الكفر والضلالة، ثم اقرأ قوله تعالى في سورة الأعراف مرة ثانية: ﴿وَلَوْ كُنْتَ أَغْلَمَ الْغَيْبِ لَاسْتَكْثَرْتَ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٨]، ثم تدبر قصة أحد، وما جرى فيها لرسول الله ﷺ من محنة عظيمة، وما تلفظ به ﷺ، فإنك ستجد بين هذه الآية الكريمة وبين قصة أحد تطابقاً كاملاً، وموافقة تامة، وأن الله جل وعلا له حكمة بالغة فيما جرى لنبيه ﷺ يوم أحد، ويوم حنين، ويوم الطائف قبل الهجرة.

* * *

الفهرس

الموضوع	الصفحة
مقدمة.....	٥
ترجمة الصوفي يوسف النبهاني.....	١١
أقوال العلماء فيه وفي كتبه.....	١٦
كتابه «شواهد الحق في الاستغاثة بسيد الخلق»!.....	٢٩
سبب المنظومات.....	٢٩
المسائل التي انتقدها النبهاني على دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب	
- رحمه الله - مع ردها.....	٦١
(١) منظومة الشيخ علي بن سليمان بن يوسف - رحمه الله -.....	٧٣
ترجمته.....	٧٥
المنظومة.....	٨٠
(٢) منظومة الشيخ المؤرخ إبراهيم بن عيسى - رحمه الله -.....	١٠١
ترجمته.....	١٠٣
المنظومة.....	١١٥
(٣) منظومة الشيخ سليمان بن سحمان - رحمه الله -.....	١٢٩
ترجمته.....	١٣١
المنظومة.....	١٤٣
(٤) منظومة الشيخ عبدالعزيز بن إبراهيم السويح - رحمه الله -.....	١٧٥
ترجمته.....	١٧٧
المنظومة.....	١٧٩

الموضوع	الصفحة
(٥) منظومة الشيخ محمد بهجة البيطار - رحمه الله -	١٨٥
ترجمته	١٨٧
المنظومة	١٩٣
(٦) منظومة الشيخ محمد بن حسن المرزوقي - رحمه الله -	٢٠٥
ترجمته	٢٠٧
المنظومة	٢٤٦
رسالة: «الضوء القرآني والسني على عقيدة النبهاني»	
للشيخ عبدالقادر السندي - رحمه الله -	٢٦٩
الفهرس	٣١٧